

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة تأصيل العلوم



جامعة القرآن الكريم
وتأصيل العلوم

تصدر في مركز تأصيل العلوم
بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - السودان
السنة الحادية عشرة - العدد الحادي والعشرون

صفر ١٤٤٣ هـ

سبتمبر ٢٠٢١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

سورة الأنعام : 38

مجلة تأصيل العلوم

المشرف العام - مدير الجامعة

أ.د. أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم

رئيس هيئة التحرير

د. حامد إبراهيم علي محمد

مدير التحرير

د. فتح الرحمن عدلان موسى أحمد

هيئة التحرير

- | | |
|---------------------------------------|--|
| ١/ أ.د. محمد الفاتح زين العابدين أحمد | ٦/ د. مزمل حسن يوسف محمد |
| ٢/ د. الهندي أحمد الشريف مختار | ٧/ د. معتصم عبد الكريم المطري عبد الرحمن |
| ٣/ د. عائش علي عودة أبو عاذرة | ٨/ د. لؤي عبد الوهاب العوض الحسين |
| ٤/ د. حسن الفاتح الحسين محمد المبارك | ٩/ د. القاسم بابكر عبد الرازق محمد |
| ٥/ د. صديق زين العابدين النور أبكر | ١٠/ د. محمد عبد الرحمن أبو الحسن |

الهيئة الاستشارية

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| ١/ أ.د. محمد الإمام إبراهيم الإمام | ٨/ أ.د. عبد الله محمد الأمين النعيم |
| ٢/ أ.د. محمد أحمد محمد أبارو | ٩/ أ.د. حمزة السر محجوب |
| ٣/ أ.د. آدم أبو القاسم أحمد إسحق | ١٠/ أ.د. عبد الرحيم محمد خير |
| ٤/ أ.د. محمد حسب الله محمد علي | ١١/ أ.د. محمد أنور عيسى |
| ٥/ أ.د. عبده عبد الله حسن داؤود | ١٢/ د. برير سعد الدين الشيخ السمانى |
| ٦/ أ.د. علي العوض عبد الله الصاحب | ١٣/ د. محمود مهدي الشريف خالد |
| ٧/ أ.د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي | ١٤/ د. الطيب عبد القادر عبد الماجد |
- ١٥/ أ.د. إسماعيل صديق عثمان

الترجمة

د. عبد الخالق عبد الله بابكر الحاج
أ. علي دوكة علي

التدقيق اللغوي

د. هاجر أحمد العباس

أعضاء مجلس مجلات الجامعة

- | | |
|---------------|--|
| رئيساً | ١- مدير الجامعة |
| رئيساً منوباً | ٢- نائب مدير الجامعة |
| عضواً | ٣- وكيل الجامعة |
| عضواً | ٤- أمين الشؤون العلمية |
| عضواً | ٥- عميد كلية الدراسات العليا |
| عضواً ومقرراً | ٦- عميد عمادة البحث العلمي |
| عضواً | ٧- رئيس قسم البحث العلمي بعمادة البحث العلمي |
| أعضاء | ٨- رؤساء التحرير بالمجلات العلمية المحكمة بالجامعة |

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان
مجلة مركز تأصيل العلوم
ردمد: 1858 - 6961 ISSN
جمهورية السودان – ولاية الجزيرة – ود مدني

المراسلات

ترسل الرسائل باسم السيد رئيس هيئة التحرير
مركز تأصيل العلوم – ود مدني – السودان – ص.ب: ٢٢٢
تلفونات : 00249111191670 – 00249118009937 – 00249123221583
فاكس: 0511832715 – البريد الإلكتروني: E-mail: mtaaseel@gmail.com
الموقع الإلكتروني: Website: <http://www.uofq.edu.sd>

التصميم والإخراج الفني

محي الدين علي فضل الله أحمد
تلفونات : 0111123923 – 0922619996
E-mail: mohie62@gmail.com

الطابعون

مطابع الفرقان – الخرطوم
تلفونات : 0122631834 – 0122141712

قواعد النشر في المجلة

- ١- تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتسم بالأصالة والمنهجية السليمة في مجالات المعرفة المختلفة من داخل السودان وخارجه.
- ٢- أن يخدم البحث قضايا التأصيل العلمي والمعرفي وفقاً لمنهج الإسلام.
- ٣- أن لا يكون البحث سبق نشره أو مقدماً للنشر لدى جهة أخرى.
- ٤- أن يمثل البحث إضافة أو مساهمة علمية جادة في العلم والمعرفة.
- ٥- يجب أن يتصدر البحث ملخصاً بعناصره المعروفة علمياً، لا تقل عن ١٥٠ كلمة ولا تزيد عن ٢٠٠ كلمة باللغتين (العربية دوماً، وبالإنجليزية أو لغة البحث).
- ٦- يقسم متن البحث تقسيماً واضحاً (مباحث أو مطالب ونحوهما) بالإضافة إلى الخاتمة بالنتائج والتوصيات.
- ٧- أن يكون التوثيق للمعلومات وفقاً للمنهج العلمي بأسفل الصفحة، وأن توضع قائمة المصادر والمراجع في ذيل البحث بدون تكرار مرتبة ترتيبياً أبجدياً.
- ٨- يقدم البحث مطبوعاً علي برنامج (WORD) بخط Simplified Arabic بحجم الخط ١٤ لنص المتن، و١٢ للتوثيق في الهامش مع مراعاة هوامش الصفحة ٢سم علوي وسفلي وأيسر، و٣سم أيمن، وإذا كان البحث باللغة الإنجليزية يكون بخط Times New Roman وبحجم ١٢ لنص المتن، و١٠ للهامش.
- ٩- يسلم عدد ٣ نسخ ورقية (WORD) ونسخة الكترونية (WORD) وفقاً لمواصفات البند (٨).
- ١٠- لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة A4، ولا تقل عن ١٥ صفحة بما في ذلك الأشكال والملاحق.
- ١١- تسلم البحوث مباشرة إلى رئيس قسم التحرير والنشر وفي حالة الإرسال يرسل البحث برسم رئيس هيئة تحرير مجلة تأصيل العلوم عبر البريد الإلكتروني (mtaaseel@gmail.com).
- ١٢- يخضع البحث للتحكيم المختص علمياً، وذلك بعد اجتياز البحث للفحص الأولي، وأن المجلة غير ملزمة برد البحث إلى صاحبه مطلقاً.
- ١٣- تؤول حقوق نشر البحوث والدراسات كاملة للمجلة.
- ١٤- تخضع أولويات نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية محضة ضمن اختصاصات هيئة التحرير.
- ١٥- يتحمل الباحث مسئولية إخلاله بالأمانة العلمية عن بحثه وما يترتب على ذلك.
- ١٦- يرفق الباحث أو الباحثون مع البحث صفحة عنوان البحث ونبذة تعريفية عن نفسه أو أنفسهم، تشمل: (التخصص الدقيق، والعنوان كاملاً، وأرقام الاتصالات السارية) بغرض التواصل معهم متى تطلب ذلك.

ملاحظة:

- يدفع الباحث أو الباحثون من داخل السودان مبلغ وقدره ١٠٠٠ جنيه سوداني ومن خارج السودان مبلغ ١٠٠ دولاراً أمريكياً.
- البحث المنشور بالمجلة يمثل رأي كاتبه، وليس بالضرورة أن يمثل رأي المركز.

محتويات العدد

الصفحة	الباحث	اسم البحث
ح		كلمة العدد
١	د. الصادق عوض الفاضل عبد الله	الاستجابة لله ولرسوله مفهومها وأثرها على ضوء القرآن الكريم
٢٧	د. عمر إسماعيل عبد الله سليمان	إشارات إعجازية في التشريع القرآني - الطهارة أعموداً
٦٣	د. محمد الحافظ أكبر محمد	مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير
٨٧	د. محمد حسن محمد عبد الرحمن	صفات الجن في القرآن الكريم
١١١	د. أحمد محمد الفاتح منصور الصديق	قاعدة اليقين لا يزول بالشك وأثرها على سلامة العلاقات الاجتماعية
١٤٣	د. صديق زين العابدين النور أبكر	المقاصد الشرعية المرعية في تكاليف الشريعة الإسلامية» دراسة مقاصدية في شعيرة الصلاة - الزكاة - الصوم»
١٦٩	أ.د. أبكر عبد البنات آدم إبراهيم	الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية
٢٠٩	د. وليد خضر كافي فرج الله	سلطات الإدارة في الإشراف والرقابة علي تنفيذ العقود الإدارية والتعديل
٢٣٧	د. محمد حيدر الخبر الطيب	أثر العلاج الديني وفاعلية برنامج إرشادي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات جامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم
٢٧٧	د. السر أحمد محمد سليمان	الوظائف النفسية المشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم
٣٢٣	د. محمد عبد القادر الأمين حمد النيل	القومية المصرية في شعر أحمد شوقي: دراسة أدبية نقدية
٣٥٩	أ. فائقة خالد محمد عبد الله أ.د. زينب محمد إبراهيم كساب	فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التعليمية بمدارس ومراكز التربية الخاصة، دراسة ميدانية محلية مدني الكبرى، ولاية الجزيرة (٢٠٢٠م)

كلمة العدد

الحمد لله العليم علّام الغيوب الذي خلق كل شيء، وعلم الإنسان مالم يعلم وميزه على سائر الكائنات بالعقل من أجل إدراك أسرار الحياة ونيل سعادتها ودفع مفسدها عملاً بالعلم والبحث، خلافة في الأرض وإعماراً للكون تكليفاً من رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيّد الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين.
أما بعد،،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

إننا لنزداد شرفاً وسعادة أن نلتقيكم بالعدد الواحد والعشرين من مجلتكم (مجلة تأصيل العلوم) الراسخة في عالم البحث العلمي بكم جميعاً فضلاً عن السادة الباحثين الكرام الذين أعطوا البحث معناه فجادوا وبذلوا الجهد الغالي من أجل إنتاج الأصيل والنفيس في عالم المعرفة والعلم. هذا العدد بين جناحيه وخضراء ساحته اثني عشر بحثاً في موضوعات وتخصصات متنوعة، تأمل المجلة أن تكون مساهمة معرفية علمية وتأصيلية، وهي على النحو التالي:

جاء البحث الأول بعنوان: (الاستجابة لله ورسوله مفهومها وأثرها على ضوء القرآن الكريم) للباحث الدكتور/ الصادق عوض الفاضل عبدالله. والبحث الثاني بعنوان: (إشارات إعجازية في التشريع القرآني- الطهارة أنموذجاً) للباحث الدكتور/ عمر إسماعيل عبد الله سليمان. وكان البحث الثالث بعنوان: (مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير) أعده الدكتور/

محمد الحافظ أبكر محمد. وأما البحث الرابع فجاء بعنوان: (صفات الجن في القرآن الكريم) أعده الدكتور/ محمد حسن محمد عبد الرحمن، وكان البحث الخامس بعنوان: (قاعدة اليقين لا يزول بالشك وأثرها على سلامة العلاقات الاجتماعية) للدكتور/ أحمد محمد الفاتح منصور الصديق، وكان البحث السادس بعنوان: (المقاصد الشرعية المرعية في تكاليف الشريعة الإسلامية «دراسة مقاصدية في شعيرة الصلاة- الزكاة- الصوم») للدكتور/ صديق زين العابدين النور أبكر، وجاء البحث السابع بعنوان: (الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية) للأستاذ الدكتور/ أبكر عبد البنات آدم إبراهيم، ويأتي البحث الثامن بعنوان: (سلطات الإدارة في الإشراف والرقابة علي تنفيذ العقود الإدارية والتعديل) أعده الدكتور/ وليد خضر كافي فرج الله. وكان البحث التاسع بعنوان: (أثر العلاج الديني وفاعلية برنامج إرشادي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات جامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم) أعده الدكتور/ محمد حيدر الحبر الطيب، والبحث العاشر بعنوان: (الوظائف النفسية المشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم) للدكتور/ السر أحمد محمد سليمان، وجاء البحث الحادي عشر بعنوان: (القومية المصرية في شعر أحمد شوقي: دراسة أدبية نقدية) للدكتور/ محمد عبد القادر الأمين حمد النيل، وختاماً كان البحث الثاني عشر بعنوان: (فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التعليمية

بمدارس ومراكز التربية الخاصة ، دراسة ميدانية محلية مدني الكبرى، ولاية الجزيرة (٢٠٢٠م)) للباحثة/ فائقة خالد محمد عبد الله والباحثة الأستاذة الدكتورة/ زينب محمد إبراهيم كساب .
فجزاهم الله عنا جميعا خير الجزاء على هذا السخاء بهذه البحوث النفسية الثمينة .. ويسعدني أن أهيب بكل الباحثين والمسددين والداعين بكافة أنواع الدعم .. وإليكم أجمعين تحية أسرة المجلة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

د . حامد إبراهيم علي محمد
عميد مركز تأصيل العلوم
رئيس هيئة تحرير المجلة

الاستجابة لله ولرسوله مفهومها وأثرها على ضوء القرآن الكريم

د. الصادق عوض الفاضل عبد الله

ملخص

تناول هذا البحث موضوع الاستجابة في القرآن الكريم، وجاء بعنوان: "الاستجابة لله ولرسوله مفهومها وأثرها على ضوء القرآن الكريم"، وتكمن أهمية هذا البحث في أن القرآن هو أصل العلوم، وهدف البحث إلى بيان مفهوم الاستجابة وحكمها وأهميتها، اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث عمد الباحث إلى تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك من خلال تناول مفهوم الاستجابة وحكمها وأهميتها وأسبابها وأنواعها وآثارها ومعوقاتهما، وأهم ما خلص إليه البحث من نتائج: وجوب الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. أن الاستجابة من صميم عقيدة المسلم. خطر الاستجابة للشيطان وللطاغوت. وأوصى البحث بالآتي: العمل على تعميق مفهوم الاستجابة في زمن كثرت فيه المدارس الفكرية المتعددة. ضرورة إبراز الاستجابة لله ولرسوله كما صورها القرآن الكريم. الاهتمام بالتفسير الموضوعي وأنه من العلوم المحببة إلى النفس.

Abstract

This study dealt with subject of Responsiveness to Allah and His Prophet: Concept and Impact in the light of the Holy Quran, the significance of this study lies in the fact that Quran is source of the disciplines, the study aimed at clarifying concept, judgment, and importance of responsiveness, the researcher followed the inductive analytical method, the researcher divided the study into an introduction, four chapters and conclusion, via dealing with concept, judgment, importance, reasons, types, impacts and constraints of responsiveness, the most important findings of the study are: Necessity of responsiveness to Allah and His Prophet (PBUH). The responsiveness in origin of the Muslim belief. Banning of responsiveness to the demon "Satan" and the false gods. Acting upon deepening the concept of responsiveness in time in which the schools of thought are growing in number. Necessity of highlighting responsiveness to Allah and His Prophet (PBUH) as depicted by the Holy Quran. Paying attention to the subjective exegesis which is considered from the most interesting disciplines to the human psyche.

• الأستاذ المساعد بجامعة بحري - السودان.

مقدمة

القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، وعمل به هدي إلى صراط مستقيم، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم الذي لا تزيف به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تشيع منه العلماء، هو الذي لم تنتهي الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، والقرآن الكريم اشتمل على أصول العلوم ويهدي للتي هي أقوم في مجالات الحياة كافة، في العقيدة ثم العبادة ثم السلوك الأخلاقي الاقتصادي العلمي السياسي. ولن تدرك الأمة المجد والرفعة حتى تحكم بأمره وتجعل القرآن الكريم دسوراً لها تحكم به وترجع إليه في كل شؤونها وأحوالها وتترك ما سوى ذلك من البدع والأهواء وقوانين البشر وهذا التحري من أعظم الاستجابة لله تعالى وهكذا كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى أهمية الاستجابة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأثر تلك الاستجابة في حياة المؤمن.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في:

١. وأن القرآن الكريم أولى هذا الأمر اهتماماً كبيراً وكذلك السنة النبوية.
٢. إبراز موقف الصحابة رضي الله عنهم من الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
٣. إبراز كيفية بناء الشخصية المسلمة.

أهداف البحث:

١. التعريف بمفهوم الاستجابة حكمها وأهميتها.
٢. استعراض أسباب الاستجابة ومظاهرها في القرآن الكريم.
٣. بيان أنواع الاستجابة.
٤. التطرق لنماذج المستجيبين لله ولرسوله.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في النصف الأول من القرآن الكريم.

خطة البحث:

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الاستجابة.

المبحث الثاني: أسباب الاستجابة ومظاهرها في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أنواع الاستجابة.

المبحث الرابع: نماذج للمستجيبين لله تعالى ولرسوله وآثار الاستجابة ومعوقاتها.

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول مفهوم الاستجابة المطلب الأول تعريف الاستجابة لغة واصطلاحاً

أولاً: الاستجابة لغة:

الاستجابة مصدر استجاب، والجمع استجابات والمفعول مستجاب له، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]، وقد أثبت له اسم الاستجابة، ومنها استجاب له أي أطاعه فيما دعاه إليه، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وجمعها استجابات^(١).

ثانياً: الاستجابة اصطلاحاً:

قال المفسرون: هي ما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ففيه الحياة^(٢) وقال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤) هي الطاعة^(٣)، وهي الإجابة إلى ما دعاهم الله إليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الرسل والتزام الشرائع^(٤) قال الطبري (ت: ٣١١هـ): أجيبوه إلى ما دعاكم إلى الإيمان به والطاعة^(٥) وهي الإجابة إلى ما دعا الله من التوحيد والعبادة^(٦) وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه والاجتناب لما نهينا عنه^(٧).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٢٨٣/١، مختار الصحاح، محمد بن

أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٥، ١٩٩٩م، ١١٩/١.

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ٣٤٢/٢، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٠٢/٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٤٨٤/٣.

(٤) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ٣١/١٩.

(٥) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ٤٨٤/٣.

(٦) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ص ٦٤٤.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحيق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٩٥.

يعلم من مما ذكر أن الاستجابة تأتي بمعنى الإيمان والتقوى والانقياد والاستسلام والموافقة لأمر الله المسارعة لمرضاته.

قال ابن القيم (ت: ٧٢٨هـ): لأن الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب. فإن الله سبحانه بين العبد وبين قلبه. فيعلمه لاستجاب له قلبه، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه^(١). وقال ابن عاشور (ت: ١٣٨٤هـ) في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨] والسين والتاء في استجاب واللمبالغة في الإجابة، أي هي إجابة لا يخالطها كراهية ولا تردد^(٢).

المطلب الثاني

حكم الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

الاستجابة واجبة على كل مكلف وعلى الفور بلا تردد وبقدر الاستطاعة بامثال الأوامر الواجب فعلها وترك الأمور المنهي عن فعلها معنى ذلك أنه لا خيار للعبد هل يستجيب أو لا يستجيب. فأما استجابة لله تعالى ورسوله وإما إعراض عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

بل أن العبد لا يكون مؤمناً حقاً حتى يحقق هذا الركن. لذلك نجد أن القرآن الكريم جعل الاستجابة هي الاختبار الحقيقي للإيمان في قلب العبد ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] بل أمر بها في غير ما موضع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(١) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ٣٠١/١.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مرجع سابق، ١١١/٢٥.

المطلب الثالث

أهمية الاستجابة

جعل الله تعالى رضاه بالاستجابة له ولدينه ولرسوله: كما في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِبِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال أبو جعفر الطبري: يعني تعالى ذكره: بذلك وإذا سألك يا محمد عباد يعني: أين أنا؟ فإنني قريب منهم أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾^(١)، فإنني قريب. أجيب دعوة الداع إذا دعان. فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه. لم يقل: فقل لهم: إنني قريب، إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال. قريب. ولم يقل أسمع الدعاء، إنما عجل بإجابة الدعاء: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. إنها آية عجيبة. آية تسكب في قلب المؤمن الندوة الحلوة، والود المؤنس، والرضى الطمأنينة، والثقة واليقين. وفي ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود. يوجه الله عباده إلى الاستجابة له، والإيمان به، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِبِي﴾ فالثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك. وهي الرشد والهدى والصلاح. فالله غني عن العالمين^(٢).

وقوله: فليستجيبوا لي. قول يدل على الاستعداد للحضور نحو (ليبك)، فيجوز أن يكون المراد بالاستجابة امتثال أمر الله فيكون وليؤمنوا بي عطفًا مغاير أو المقصود من الأمر الأول الفعل ومن الأمر الثاني الدوام، ويجوز أن يراد بالاستجابة ما يشمل استجابة دعوة الإيمان، فذكر وليؤمنوا عطف خاص

(١) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ٤٨٠/٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط ٧ عشر، ١٤١٢هـ، ١٧٣/١.

على عامل لاهتمام به^(١). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف، والاستجابة: الإجابة. قال أبو عبيدة: معنى "استجيبوا" أجبوا، ولكن عرف الكلام أن يتعدى استجاب بلام، ويتعدى أجب دون لام. قال الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، وقد يتعدى استجاب بغير لام^(٢).

قال ابن القيم إن الله يحب المبادرة والمسارة إلى طاعته وخدمته والتنافس فيها فإن ذلك أبلغ في العبودية وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابق بعضهم بعضاً بالتقرب إلى الله تعالى ولا يؤثر الرجل منهم غيره^(٣). إذا فالعبد مأمور بالاستجابة السريعة ويقدم بلا تردد، فعن سفيان بن عبد الله الثقيفي، قال: قلت: يارسول الله حدثني بأمر أعصم به، قال: "قل: ربي الله، ثم استقم" قلت: يارسول الله ما أكثر ماتخاف علي؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»^(٤)، وروى أن عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، قال: استقاموا، والله، الله، ولم يروغوا وروغان الثعلب^(٥). هو حديث عن الإيمان والانقياد والتقوى، وحديث عن الاستسلام لمن لا نملك إلا طاعته بلا تردد وألا نقدم قولاً على قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ١٨٠/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٣٨٩/٧.

(٣) الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٠/٢١.

(٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، حديث ٣٩٧٢، ١٣١٤/٢.

(٥) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٣١/١.

المبحث الثاني أسباب الاستجابة ومظاهرها في القرآن الكريم المطلب الأول أمر الله بالاستجابة

إن الله تعالى خلق عباده لتحقيق عبوديته تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. لقد عمل القرآن الكريم على تأصيل مفهوم الاستجابة واقتربتها بالعبودية لتكون أساساً وقاعدة عامة تدرج تحتها كل الطاعات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ابتدأت الآية بالتقرير العقلي لطاعة الله ورسوله انتهت بتقرير أن الحياة لا تكون إلا في الاستجابة لله وللرسول فكل حياة خالية من طاعة الله ورسوله هي موت.

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) (أن الخطاب للمؤمنين المصدقين بالإخلاص. الاستجابة الإجابة، أما يحييكم أي يحيي به قلوبكم فتوحده، قال مجاهد والجمهور المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية وقيل لما يحييكم الجهاد فإنه سبب الحياة قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]^(١)، وقال ابن جرير الطبري ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، أطيعوا الله ورسوله، أيها المؤمنون، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم، ولا تخالفوا أمره وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة، فإن الله يهونه عليكم بطاعتكم إياه، ويعجل لكم منه ما تحبون^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٩/٧.

(٢) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٤٧٦.

وفي تقديري أنه بالمقابل حذر الله عن مخالفة أمره وعدم الاستجابة إليه ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوِإِذَا فُلِيحَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فليخش من خالف شريعة ربه وحكم الأهواء والبدع والشرائع المنسوخة أن تصيبهم فتنة من كفر ونفاق وبدعة أو يصيبهم في الدنيا عذاب من قتل أو حد، فتنة قال الإمام أحمد (ت: ٢١٤هـ) أتدري ما الفتنة؟ هي الشرك.

المطلب الثاني

الاستجابة ارضاء لله وطلباً للهداية والرشاد

الاستجابة أمر فرضه الله فرضاً وربط حياة العبد في الدنيا والآخرة وسعادته فيها بتحقيقها فذكر الله تعالى أصناف الناس وموقفهم من الاستجابة فالمؤمنون استجابوا لله تعالى ولرسوله طلباً لرضا الله تعالى: ﴿قَلْنَا اهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

يقول سيد قطب (ت: ١٣٨٧هـ) هي دعوة إلى الحياة بكل معاني الحياة إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة والاسطورة ومن العبودية لغير الله. يدعوهم إلى منهج حياة. لتحرير الإنسان وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده^(١). لذلك استجابوا لله ارضاءً له وطلباً للهداية فعقيدة بهذه النصاعة والوضوح حرياً بالعبد التمسك بها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، صورة مخيفة وصورة تستوجب الحذر واليقظة الكاملة، ولنتأمل دعاءه صلى الله عليه وسلم «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(٢).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ١٤٩٤/٣.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم ٢٦٥٤، ٢٠٤٥/٤.

المبحث الثالث أنواع الاستجابة المطلب الأول

استجابة محمودة لله ورسوله وداعي الله

تقدم الكلام عن الاستجابة وأهميتها وضرورة ذلك من خلال استقراء القرآن الكريم والسنة النبوية.

ودليل الإيمان هو سرعة الاستجابة لأمر الله ورسوله، لذلك قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه أمراً له أن يندرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]. وهذا إبراهيم عليه السلام استجاب لأمره تعالى قال تعالى: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، قيل: وفي طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: وفي تبليغ الرسالة، وقيل: وفي شرائع الإسلام، وقيل: وفي الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: وفي هذه العشر الآيات^(٢)، وهذا موسى عليه السلام استجاب لله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣]، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإنذار عشيرته وأهله قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] كما في الصحيحين عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، ٢٤٥/٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، ٣١٩/٢.

- حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيت كم لو أخبرتكم أن خيل اب الوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ماجرنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لكسائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢] (١).

من حقق العبودية لله تعالى لا يجد له مناصاً إلا بإجابة داعي الله قال جمهور المفسرين استجيبوا لطاعة الله تعالى في المنشط والمكروه وهذا شرط لتحقيق الإيمان بالله. قال السدي (ت: ١٢٨هـ) ففي الإسلام إحياءهم بعد موتهم بالكفر (٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، هذا مثال آخر من أمثلة الاستجابة لداعي الله يقول أهل السير والأخبار هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندب النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة للخروج لتعقب المشركين ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلداً فانتدبهم مع ما بهم من جراح للخروج طاعة لله ولرسوله. وقال ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ثم ساق السند عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) قال لما رجع المشركون من أحد قالوا: لامحمد اقتلتهم، ولا الكواعب أردفتهم، بئسما صنعتهم، ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد (٣). وفي الحديث عن عائشة (ت: ٥٧هـ) قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن كان أبوك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع أبو بكر والزبير). وقال ابن كثير

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، حديث رقم ٤٧٧٠، ١١١/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ، ٨١٦/٣.

انتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً، فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فانزل الله الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] (١).

مؤمني الجن والاستجابة لداعي الله: من المعلوم بدهاء أن الجن مكلفون كما أن الإنس أيضاً مكلفون لتحقيق العبودية لله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قال ابن كثير أي طائفة من الجن ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩]، أي استمعوا وهذا أدب منهم. وروى البيهقي من حديث جابر رضي الله عنهما قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتاً الجن كانوا أحسن معكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، إلا قالوا ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (٢). وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، يهدي إلى الحق فيه سرعة الاستجابة إلى داعي الله. وفي سورة الجن ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]. وقال الحافظ ابن كثير يفتخرون بذلك وهو مفخرة لهم وشرف رفيعو صفة سنة. يعلم من ذلك أهمية الاستجابة إلى داعي الله وداعي رسوله.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مرجع سابق، ١٤٧/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مرجع سابق، ٣٠٢٠/٧.

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قوله تعالى: (استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة ودعاكم الرسول لما يحييكم من الحق ويدخل فيه الأمر بإجابتهم لقتال والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وبالإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب^(١)، قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) يستدل بهذا الأمر بالاستجابة على أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال^(٢)، ومن دواعي الاستجابة الأدب معه صلى الله عليه وسلم أنهم وإذا كانوا معه على أمر جامع خطة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحدهم مذهباً في حياته حتى يستأذنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]، فإذا كان هذا مذهباً مقيداً بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه ودقيقه وجليله؟ هل يشرع الذهاب إليه من دون استئذان منه صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]^(٣).

المطلب الثاني

استجابة مذمومة للشيطان ولدعاة الضلال

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

(١) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ٤٦٥/١٣.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، مرجع سابق، ٣٤٢/٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٣/٣٩٠.

أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [الأعراف: ٢٧]. قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ): لا يمتحنكم بأن يمنعكم دخول الجنة ياغواثكم كما أخرج أبوكم من الجنة، كما امتحن أبوكم بأن أخرجهما منها ومعنى الكلام نصيبهم عن أتباعه والافتتان به، هذا تحذير منه تعالى لبني آدم عن اتباعه والانقياد إليه^(١)، وذكر مثله ابن جرير ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، و الرازي^(٢) و الشيخ صديق حسن خان^(٣).

والمعنى أن من اتبع الشيطان صار مقيداً به في الأمر بالفحشاء والمنكر. فالاستجابة للشيطان عاقبة الخسران والخذلان وفي الحديث «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(٤)، وهذا العمري من مظاهر الاستجابة للشيطان كسفك الدم، والوقوع في المعاصي والكفر بالله.

وهناك استجابة لدعاة والطواغيت والضلال من أولياء الشيطان، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، هم أعداء الرسل وأهل الإيمان الصادين عن سبيل الله من أهل الشرك والكفر والنفاق يحولون بين الناس وبين الهداية نصبوا أنفسهم لذلك، يقول تعالى: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء فلا يحزنك ذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال ورقة بن نوف للرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٠/٣.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، مرجع سابق، ٢٢٣/١٤.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ١٨٨/٩.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٨١٢، ٤/٢١٦٦.

لم يأت أحد بمثلما جئت به إلا عودي، ثم التبرؤ منهم يوم القيامة^(١). وفي وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): والتبرؤ تكلف البراءة وهي التباعد من الأمر الذي من شأن قربه أن يكون مضراول ذلك يقال تبارء إذا أبعدك لا لآخر من تبعة محققة أو متوقعة. والذين اتبعوا بالبناء إلى المجهول هم الذين ضلوا المشركين ونصبوا لهم الأنصاب مثل عمرو بن لحي، فقد أشعر قوله: اتبعوا أنهم كانوا يدعون إلى متابعتهم، وأيد ذلك قوله بعده فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا أي نجازيهم على إخلافهم. ومعنى براءتهم منهم تنصلهم من مواعيد نفعهم في الآخرة الذي وعدوهم في الدنيا والشفاعة فيهم، وصرّفهم عن الالتحاق بهم حين هرعوا إليهم. ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦] حالة أي تبرؤوا حال رؤيتهم العذاب^(٢).

وهكذا تكون الاستجابة لدعاة الضلال وهكذا تكون خاتمة مطاف ذلك وهو الخسران المبين.

(١) صحيح البخاري (بدء الوحي باب ٣) وصحيح مسلم (إيمان حديث ٢٥٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، مرجع سابق، ٩٧/٢.

المبحث الرابع نماذج للمستجيبين لله تعالى ولرسوله وآثار الاستجابة ومعوقاتها المطلب الأول الصحابة رضي الله عنهم

ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم وأعرف الناس بأحوال القرآن الكريم، فقد شاهدوا التنزيل لذلك حازوا قصب السبق فكانوا أعظم اسجابة لداعي الله تعالى، وهناك بعض النماذج تبين استجابة الصحابة رضي الله عنهم.

١. استجابة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر:

في غزوة بدر عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعقب عيرا لقريش فأفلتت العير ولم يبق إلا النفير، فاستشار الصحابة في ذلك، فقال: "أشيروا علي أيها الناس" وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يارسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك ما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟ قال: "أجل" قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إن الصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله^(١).

(١) السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م، ٣٩٢/٢.

ثم قال المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك^(١).

٢. استجابة الصحابة في قصة تحويل القبلة:

عن عبد الله بن عمر، قال: بينا الناس بقاء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة»^(٢).

٣. استجابة الصديق في قصة انفاذ جيش أسامة إلى بلاد الروم:

حين أجمع الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على رد جيش أسامة حين رأوا الردة قد استعرت نارها، وخافوا على نساء المدينة وذراريها، فقال: والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة، ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^(٣).

المطلب الثاني

آثار الاستجابة في الدنيا والآخرة

والاستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم من ثمراتها في الدنيا الحياة الطيبة، وفي الآخرة جنة الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) في أضواء البيان قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ [النحل: ٩٧]، ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن كل

(١) المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارس دنجونس، دار الأعلمي، بيروت، ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٤٨/١.

(٢) صحيح البخاري، ٨٩/١.

(٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٥٨٣/٧.

عامل سواء كان ذكراً أو أنثى عمل عملاً صالحاً فإنه - جل وعلا - يقسم ليحيينه حياة طيبة، وليجزينه أجره بأحسن ما كان يعمل^(١).

المطلب الثالث

معقوفات الاستجابة

هنالك أمور تحول بين العبد والاستجابة لداعي الله وسنجملها في عدة أمور:
أولاً: ضعف الإيمان بالله تعالى:

أجمع أهل العلم على أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وضعف الإيمان يحمل العبد على التكاسل والاستجابة لله تعالى، وذلك بترك الطاعات والقربات التي تقرب العبد إلى الله تعالى، فيبدأ بالتكاسل عن السنن، ثم الواجبات، ثم الفرائض، ثم التمرد على الله ودينه وشرعه.
ثانياً: الكبر:

بطر الحق وغمط الناس^(٢) كما جاء في الحديث.

من المعلوم أن الكبر ينقسم إلى باطن، وظاهر فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح وهو يمنع من الاستجابة كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله، فقال: «كل يمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، مامنه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه^(٣).

ثالثاً: الاستعلاء:

وهو السمو والارتفاع، واستعلى على الناس: غلبهم وقهرهم وعلاهم^(٤)، وفي اصطلاح علماء الأصول يستعمل الاستعلاء بمعنى إظهار العلو، سواء أكان

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٤٤٠/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكبر وبيانها، ٩٣/١، حديث رقم ٩١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٠٢١، ١٥٩٩/٣.

(٤) لسان العرب، لابن منظور.

هناك علو في الواقع أم لا (١).

رابعاً: اتباع الهوى:

يطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم غلب استعماله في الميل المذموم والانحراف السيئ، ونسبت البدع إلى الأهواء، وسمي أصحابها بأهل الأهواء؛ ومن مداخل الأهواء اتباع العادات والآباء وجعلها ديناً. قال تعالى في شأن هؤلاء: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، وكذلك من مداخل الهوى اتباع التصوف الفاسد وأخذ ما نقل عن المتصوفة من الأحوال الجارية عليهم، أو الأقوال الصادرة عنهم ديناً وشريعة، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة (٢).

خامساً: التقليد الأعمى:

التقليد هو العمل بقول الغير من غير حجة، والاتباع هو الرجوع إلى قول ثبتت عليه حجة (٣)، والافتداء هو التأسى، اقتدى به: إذا فعل مثل فعله تأسياً، والقدوة: الأصل الذي تتشعب منه الفروع (٤).

وكما قال أبو جهل عمرو بن هشام تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفر سيرها نقلوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدر كهذه؟! والله لائؤمن به أبداً، ولا نصدقه؛ فقام عنه الأخنس بن شريق (٥).

(١) حاشية البناي علي شرح المحلي علي جمع الجوامع عبدالرحمن بن جاد الله البناي ت ١١٩٨هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٣٦٩/١.

(٢) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٢/٢٩٣-٣١٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢/١٧٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٨/٥٦.

(٥) كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١/١٩٠.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التقليد الأعمى، حيث قال صلى الله عليه وسلم لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا^(١).

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م، ٤٣٢/٣.

خاتمة

أشكر الله عز وجل أن وفقني للكتابة في هذا الموضوع الموسوم بـ "موقف الصحابة رضي الله عنهم من الاستجابة لله ولرسوله في النصف الأول من القرآن الكريم" وفي خاتمته توصلت إلى العديد من النتائج والتوصيات:
أولاً: النتائج:

١. أن التفسير الموضوعي من الأهمية بمكان من التفسير.
 ٢. وجوب الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ظهر ذلك في عدة مواقف.
 ٤. أن الاستجابة من صميم عقيدة المسلم.
 ٥. خطر الاستجابة للشيطان وللطاغوت.
- ثانياً: التوصيات:

١. العمل على تعميق مفهوم الاستجابة في زمن كثرت فيه المدارس الفكرية المتعددة.
٢. يجب أن يكون القرآن الكريم هو دستور المسلم في حياته ومعاشه وتعامله وسلوكه.
٣. ضرورة إبراز الاستجابة لله ولرسوله كما صورها القرآن الكريم.
٤. الاهتمام بالتفسير الموضوعي وأنه من العلوم المحببة إلى النفس لسهولة تناوله وعرضه ومجاراته لأسلوب العصر.

المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دارالفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٧. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٨. تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.
٩. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط ١.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
١١. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
١٢. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٦. حاشية البناني علي شرح المحلي علي جمع الجوامع عبدالرحمن بن جاد الله البناني المتوفى ١١٩٨هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٨. الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت.
١٩. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٢٠. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبي هيزيد (ت: ٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٢١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، م١٩٩٨.
٢٢. السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.
٢٣. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٨. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
٢٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٠. كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٣٣. مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م
٣٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٥. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، دار الأعلمي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٣٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٤٢٧هـ، ط ٢، دار السلاسل، الكويت.

إشارات إعجازية في التشريع القرآني «الطهارة أنموذجاً»

د. عمر إسماعيل عبد الله سليمان*

ملخص

تجلت قدرة الله في خلق هذا الكون، وتنوع تلك المخلوقات، كما تجلت قدرته في ربطه بين كثير من تلك المخلوقات بسنن كونية تحكمها؛ لحكمة يعلمها هو، ومن هذه المخلوقات كائنات غير مرئية لنا بالعين المجردة فضلاً عن سماع ما يصدر عنها، ومن هذه الكائنات ما يعيش على أجسادنا وداخل كثير من أعضائنا، ولأن منها الضار كما النافع وقانا الله الضار بالتزام تعاليم هي من صميم ديننا الحنيف، وكل ذلك تفضلاً منه سبحانه، ووقوفاً على هذه المنة والفضل هدفت دراستي هذه إلى تسليط الضوء على ما جاء به القرآن في أمر الطهارة من تعاليم باهرة تعبدنا الله بها، وجعلها لنا وقاية واكتساباً لكثير من المنافع، وإلى إفادات المفسرين حول نصوص الطهارة المؤكدة لتحصيل الوقاية بالتزامها، معضداً بما ثبت من الحقائق العلمية التجريبية، مما يثبت أن القرآن من لدن حكيم خبير. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: عظيم لطف الله بخلقه في تشريع ما يصلحهم، وإلى أن حكمة الله في ربطه الأسباب بالمسببات من اللطف بمكان، وإلى تيسير الله لعباده كل تكليف جعل فيه صلاحهم، كما توصلت إلى أن كثيراً من ألفاظ القرآن في السياق التشريعي تحمل من الدلالات الإعجازية ما يعتبر قمة في الروعة والانبهار لكل من تأملها. أوصت الدراسة بضرورة التزام كامل التشريع الرباني في أمر الطهارة دون تجزئة لتحقيق المصلحة على الوجه الأكمل، كما توصي بتعليم الأطفال منذ نعومة أظفارهم ممارسة تفاصيل الطهارة بالصورة الصحيحة ليشبوا متجنبين كل ما من شأنه الخطأ في أدائها، كما توصي أجهزة الصحة العامة بالزام ومتابعة معدي الطعام في الأماكن العامة والخاصة بضرورة الالتزام بالنظافة والتحرز من كل ما يلوث الطعام حتى ينعم المجتمع بالصحة والعافية.

* معهد البحوث والدراسات الإسلامية - جامعة الجزيرة - السودان.

Abstract

The competence of Allah in the creation of this Universe is obvious, and the variety of those creatures, and His linkage of many of them with universal manners for a wise end that He knows, amongst these creatures, some are invisible to the naked eye let away to hear what occurs from them, some live our bodies and in our organs, and since some are harmful, Allah protects us with commitment to commandments which are part and parcel our grand religion. All of these are blessings from God Almighty. Addressing these boons and favours, my study aims to shed lights upon what Quran states concerning Purity, <Tahara>, from amazing commandments with which we worship God, and God has made them a protection and abstaining of so many benefits, the declarations of Interpreters [of the Holy Quran] about Purity texts seemed to gain protection by sticking to them, supported by experimental scientific facts which prove that the Quran is from Almighty God. The study followed the inductive and descriptive approach. The study arrived at various outputs some of which are: His Providence to His creatures in legalizing what suits them, and His final wisdom in linking.

مقدمة

الحمد لله القدوس المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال والصلاة والسلام على من نزهه الله من النقائص والأدناس وناداه قائلاً له: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٤-٥]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أثنى عليهم بارئهم عز وجل بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. إن من الضروري أن يحيا الإنسان مؤمناً بربه، مؤتماً بأوامره، ساعياً لمرضاته، مقبلاً على ما يصلحه ويصلح أمته، وخير ما يحقق ذلك أخذ المرء تعاليمه من كتاب ربه، ففي ذلك تكون سعاده ونجاته، ولأن الأمر بالتزام الطهارة تكاثرت نصوصه

في القرآن وفي السنة، ورتب على ذلك فوائد تنال من التزم تلك الطهارة، كان الوقوف على معرفة بعض هذه الفوائد مطلب ديني وديني، ذلك أن المجتمعات غير المسلمة إلى عهد قريب وقعت في مشاكل صحية وصلت في كثير منها إلى درجة الوباء لجهلها لأبجديات النظافة، ولم تمارسها إلا بعد اتصالها بالمجتمعات المسلمة، غير أنها بعد تقدمها المعرفي ووصولها لكثير من الحقائق بالتجربة، تنكرت هذه المجتمعات في استقائها لتلك التعاليم من المسلمين، بل وصفت المسلمين بالجهل والتخلف في ذلك، وباتت تضلل المفاهيم حتى أصبح بعض المسلمين يسلمون لهم بذلك. ولأن كثيراً من الأمراض التي تعاني منها مجتمعاتنا، سببها إهمال النظافة التي تضمنتها الطهارة التي حث عليها ديننا الحنيف منذ أربعة عشر قرناً-علماً بأن هذه الأمراض ترهق الأفراد والدولة على حد سواء- اتجه تفكيري لتتبع بعض الإشارات التي أتت في القرآن حول الطهارة، فعنونت لموضوع هذه الدراسة: ب(إشارات إعجازية في التشريع القرآني)، مجلياً فيه جوانب أسهمت في ثناء الله على قوم تتلى آياته بالثناء عليهم إلى قيام الساعة من مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أهداف الدراسة:

تمثلت أهداف الدراسة في الآتي:

- تسليط الضوء على ما جاء به القرآن في أمر الطهارة من تعاليم باهرة تعبدنا الله بها، وجعلها لنا وقاية واكتساباً لكثير من المنافع.
- الوقوف على إفادات المفسرين حول نصوص الطهارة التي يتأكد حصول الملتزم بها على الوقاية من أمراض يصل كثير منها إلى الفتك بالبشرية.
- العمل على برهنة أن القرآن من لدن حكيم خبير - لمن كان إيمانه بالمغيبات مهزوزاً أو معدوماً - معضداً بما ثبت من الحقائق العلمية التجريبية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهميتها في ضرورة تقوية إيمان الأمة بإبراز جانب الإعجاز في هذه القضية، إذ يتأكد لكل ناظر قدرة الخالق وإحاطة علمه بكل الأكوان منظورها وخفيها، وأنه -جلت قدرته- مصدر كل من الكونين المنظور والمسطور معاً، كما تتأكد أهميتها في إيقاف البشرية على أمر الطهارة التي تحصن من كثير من الآفات التي بها تهدر مقدرات الشعوب، كونها تضعف الطاقات أفراداً ودولاً.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١. لفت نظر البشرية لما يتضمنه القرآن من تعاليم باهرة؛ مما يسهم في الإقناع بأنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم .
٢. خطورة إهمال الطهارة على صحة المجتمع .
٣. لكون الحفاظ على صحة الفرد فيه اعتنام للوقت مما ينعكس على أدائه إيجاباً نوعاً وكماً، فيساهم بذلك في نهضة الأمة؛ لأخذ مكانتها في مصاف الأمم المتقدمة.
٤. الحفاظ على أموال الناس وعدم هدرها في علاج ما يمكن الوقاية من الوقوع فيه.

مشكلة الدراسة:

إن الله حباناً بتشريع قرآني قويم سعد بالحياة المتمسكون به عبر قرون متتالية، أما حدود المشكلة فيتلخص في استجلاء ما في التشريع القرآني من علاج ووقاية لكثير من أمراض تفشت بيننا؛ للخروج من تلك الأزمات الصحية والنكبات الوبائية، فتصح بذلك الأجساد والمعتقدات؛ مما يحدث أثراً واضحاً في نهضة الأمة.

منهج الدراسة:

اعتمدت المنهج الاستقرائي والوصفي، وذلك بتتبع موضوع الدراسة في الآيات ذات الصلة مستعرضاً أقوال المفسرين حولها وما أثبتوه من تحليل تلك النصوص لوصف الحالة، مع التعويض بما يلزم من السنة النبوية، موظفاً الدراسات الحديثة لاستجلاء الحقائق المرجوة موضع الدراسة.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث مبتدئاً بالمقدمة بعد المستخلص مروراً بالمباحث وصولاً إلى الخاتمة المشتملة على النتائج، بعدها قائمة بالمصادر والمراجع على النحو التالي:
مستخلص الدراسة.

المقدمة.

التمهيد: التناغم الروحي والجسدي.

المبحث الأول: الأثر الوقائي للطهارة.

المبحث الثاني: الكشف الإعجازي في العناية بالقلم.

المبحث الثالث: الأسرار الوقائية والصحية للوضوء.

المبحث الرابع: الوضوء وتوازن الطاقة.

الخاتمة.

التمهيد

التناغم الروحي والجسدي

إن الشيء الوحيد الذي يلبي للإنسان سائر متطلباته، ويسد له جميع الاحتياجات، هي العبادة بمعناها العام، وقد أشار إبراهيم (عليه السلام) إلى هذه الحاجات وهو يناقش قومه في عبادة الله تعالى ويدعوهم إلى نبد عبادة الأصنام، فجاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

إذن لا تخفى حاجة الإنسان - المركب من جسد وروح إلى العبادة، تلك العبادة التي تحتوي عناصر ثلاثة هي: الرقي الروحي، والتأمل والتفكير، والخضوع الجسدي.

فإذا كان الغذاء المادي يسد حاجات الإنسان الجسدية. فإنه لا يسد حاجاته الروحية والفكرية والعقلية والفطرية، إلا عبادته لله عز وجل. ومما يؤكد هذه الضرورة واقع البشرية في ابتعادهم عنها، أو تجاهلهم لها، أو انحرافهم بها، كما يظهر في أحوال الناس في زمن الفترات بين الرسل، وفي عصور الجاهلية القديمة والحديثة، حيث تخطوا في شئونهم كلها خبط عشواء، وأوغلوا في المادة حتى عبدوا كل شيء من دون الله، إلى أن أصبحوا عبيداً لغرائزهم وشهواتهم، ورجح آخرون جانب الروح فوقعوا في الترهيب والتبتل^(١).

بعد كل ما تقدم نجد أن الله قد تجب لعباده بكل معاني التجب، حيث خلقهم فأحسن خلقهم، وأظهر فضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، وسخر لهم ما في الكون جميعاً سماءه وأرضه، بره وبحره، وشرع لهم من الدين ما يضمن

(١) محمد أبو الفتح البيهقي - العبادة - دار السلام، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص: ٤٤ - ٤٥.

سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، فكان حقاً عليهم أن يحبوه، وأن لا يفضلوا على حبه أحداً كائناً من كان، ومن هنا كانت علاقة المؤمنين العابدين بربهم جل جلاله علاقة محبة متبادلة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. حيث ثبت أن جميع شرائع الدين إنما أريد بها منفعة المكلفين، وهذا ظاهرٌ مُدركٌ في حكم التشريع وعلل الشرائع، وموافقة جميعها للعقول المستقيمة الجارية على نسق العدل^(١).

نجد بما ثبت من واقع الممارسة والملاحظة، ومن تقارير الدراسات العلمية أن النظام الوقائي في ممارسة الطهارة - التي تعد شرطاً لكثير من الشعائر - من الوضوح والنجاعة بمكان، لا يستطيع أن ينكره أحد .

وإن للطهارة سرّاً لطيفاً يعيننا على إدراك قدرها، وهو أن المسلم حين يتطهر - طاعةً لله - فإن الله يتم نعمته عليه فيسمو بنفسه وروحه ويأخذه إلى آفاق من الطهر والنور ويضفي عليه سكينَةً وطمأنينةً وهدوءاً نفسياً لا تستطيع العقاقير الطبية أن تحدّثه بحال من الأحوال^(٢).

ولقد أرسى الإسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً حين كان العالم يغط في سبات عميق قواعد وأسس جاءت على شكل تعاليم عامة، يمارسها المسلم وإن كان لا يعلم حقيقة فوائدها الصحية، لكن بتقدم العلوم في القرن العشرين بدأت تتكشف كثير من تلك الأمراض ومسبباتها، وعُرفت الجراثيم ووسائل انتقالها وظروف معيشتها، حينئذ بدأت تتكشف الحقائق الصحية والحكم الطبية المذهلة التي تنطوي عليها التعاليم الإسلامية الخالدة، فزادتها نوراً على نور، وعضدت ربانية الإسلام ومنهجه الفريد^(٣).

(١) عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب - تيسير علم أصول الفقه - الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص: ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢) يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - مكتبة ابن حجر - دمشق، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٩٢٥ - ٩٢٦.

(٣) انظر: عبد الحميد القضاة - تفوق الطب الوقائي في الإسلام - ط ١: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص: ٦.

المبحث الأول الأثر الوقائي للطهارة

كانت توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله وعمله دستوراً للمسلمين، والبشرية جمعاء في طب الأبدان الذي يتمثل في حفظ الصحة الموجودة، وجلب الصحة المفقودة أو بالتعريف الحديث "الطب الوقائي" وهو يمثل الجزء الأول من دستور الصحة الإسلامي^(١).

والطب الوقائي كما جاء تعريفه: هو العلم المتعلق بمنع انتشار الأمراض الجرثومية والنفسية والعضوية لتحسين أداء الأفراد والمجتمعات^(٢).

وقد جاء هذا التعريف الحديث للطب الوقائي متوافقاً مع إشارات نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية إلى مسببات الأمراض، وماتبين بجلاء من طرق الوقاية منها بسبل ميسورة منتظمة في عقد فريد من الأوامر والتوجيهات، تمثل منهجاً رائداً لحفظ الصحة البشرية من الأمراض والعلل والأخطار التي تهددها بالعجز أو الهلاك^(٣).

ولقد حوت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً متكاملًا للطب الوقائي، يتكون من صحة الجسم وصحة العقل وصحة السلوك الخلقي والصحة النفسية، ويتعلق هذا المنهج بصحة الفرد لحمايته من الأمراض المعدية والعضوية، وصحة المجتمع ونظافة البيئة^(٤).

فقد حصر المختصون مسببات الأمراض في ثلاثة أقسام هي: الكائنات الدقيقة، المركبات العضوية، الاضطرابات النفسية^(٥). وتعتبر الكائنات الدقيقة

(١) عبد الجواد الصّاوي - إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - دار جيباد للنشر والتوزيع - السعودية ، ط ١ ، ١٤٣٣ - ٢٠١٢ م ، ص : ٣٨ .

(٢) عبد الحميد القضاة - تفوق الطبّ الوقائيّ في الإسلام - ص : ٥ .

(٣) عبد الجواد الصّاوي - إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص : ٢١ .

(٤) عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - دار جيباد ، ط ١ : ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م ، ص : ٢٥٥ .

(٥) عبد الجواد الصّاوي - إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص : ٢١ .

أمة من المخلوقات الحية التي لا تراها أعيننا، وتوجد في كل مكان: في الهواء والماء والتربة، وعلى أجسامنا وفي أفواهنا وأمعاننا، بل وأحياناً كثيرة في الطعام الذي نأكله، بعضها مفيد وبعضها ضار، وللوقاية من هذه الكائنات التي يمكن أن تصيب الإنسان بأضرار بالغة لا بد من مراعاة ثلاثة أمور:

١. التخلص من مخازن هذه الكائنات أو تنظيفها بقدر الإمكان.

٢. قطع الطرق الموصلة لهذه الكائنات إلى جسم الإنسان.

٣. تقوية جهاز المناعة والدفاع لدى الإنسان^(١).

وإذا علمنا أن الأطباء اليوم في العالم كله يولون اهتماماً كبيراً لقاعدة النظافة، لما لها من آثار مهمة في حماية الإنسان من أخطار الكائنات الدقيقة، وعلمنا أن هناك نصوصاً شرعية أتت قبل أربعة عشر قرناً أو يزيد، تتوخى وقاية الإنسان من الأمراض بأنواعها، ألا يظهر ذلك السبق العلمي الواضح للشريعة الإسلامية ونصوصها، وتأكيد أن هذا القرآن من لدن حكيم عليم؟! فلقد حرصت نصوص الشريعة أن تستأصل الكائنات الدقيقة من مخازنها لدى الإنسان، وتنظيف هذه المخازن بقدر الإمكان.

كما رسخت عملياً وسائل تحقيق هذه القاعدة بتشريع الوضوء والغسل، والتزام تطبيق سنن الفطرة، من سواك، ومضمضة، واستنشاق، وختان، وتقليم الأظافر، وحلق العانة، وغسل عقد الأصابع، ونظافة السبيلين، واجتناب النجاسات، والحفاظ على نظافة الثياب والمظهر العام. فهذه الأحكام الدقيقة المترابطة والتي لا مثيل لها في أي تشريع آخر، تهدف إلى تنظيف بؤر ومخازن الكائنات الدقيقة في الإنسان، من على الجلد ومن الأنف والحلق وقناة الهضم، مما جعل هذه التشريعات تحمي المسلم من شرور الأمراض السارية

(١) المصلح والصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٥٦ - ٢٥٧.

والعضوية^(١).

وبذلك يكون القرآن في تشريعه هذا عالج أحد أهم الأسس التي يقوم عليها بناء الصحة المتكامل على مستوى الفرد والمجتمع وهي: النظافة، والرياضة، والغذاء.

وإذا كانت النظافة عند البعض مجرد ذوق أو مزاج شخصي، أو كانت مرتبطة بالحالة الاقتصادية للإنسان أو الدولة، فهي في القرآن الكريم تخضع لنظام محدد يشعر الملتزم به بضرورة تنفيذه بدافع ذاتي، حيث اهتم القرآن اهتماماً خاصاً بالنظافة الشخصية ونظافة البيئة.

أولاً: النظافة الشخصية:

حض القرآن على أمرين هامين في حياة الفرد وهما: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر ومن الخبث.

وتأمل كيفية تحبيب القرآن إلى الطهارة عامة بأسلوب رقيق شائق ومحفز، حيث قال تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وطهارة الحدث الأصغر: الوضوء. وطهارة: الغسل.

والطهارة في اللغة تعني: النظافة حسية أو معنوية، وهي من كلمة: طهر. طهر الشيء طهارة، والاسم: الطهر، وهو: النقاء من الدنس والنجس، يقال: هو طاهر العرض، أي بريء من العيب، والجمع: أطهار، مثل: قفل وأقفال، وتكون الطهارة بمعنى: التطهير. وماء طاهر خلاف نجس، وطاهر: صالح للتطهير به، وظهر مبالغة، والأكثر: أنه لو صف زائد، وقيل: الطهور: هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره^(٢).

(١) عبد الجواد الصاوي - إعراب القرآن والسنة في الطب الوقائي والكاننات الدقيقة - ص: ١٥ - ١٦ . المصلح والصاوي ومشاركون

- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٥٨.

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - الناشر: المكتبة العلمية -

بيروت - ج ٢، ص: ٣٩٧.

والطهارة شرعاً: رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة بالماء، أو رفع حكمه بالتراب^(١).

وقد حث الشارع على نظافة الأبدان للعبادة وللحياة، ففي الأثر: (الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف)^(٢)، (الطهور شطر الإيمان)^(٣)، وأصل الشطر: النصف، فطهارة الأجساد مقدمة ومتممة لطهارة الإنسان في داخله، وإذا تتبعنا هذه الطهارة التعبدية، لوجدنا أن: الوضوء والغسل.

فإن الوضوء بكيفيته المعروفة شرط في إقامة الصلاة، ولا تصح بدونه إلا في حالات معينة حددها الشارع.

أ. ففي شأن الوضوء: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. فإذا علمنا أن عدد الصلوات في اليوم خمس صلوات، ما عدا السنن، وعلمنا اشتراط الوضوء للطواف بالبيت العتيق، ولمس المصحف ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، أدركنا تأثير الوضوء الوقائي وفوائده الصحية التي يمكن أن تجمل بما يلي:

١. الوقاية من انتقال كثير من الأمراض المعدية التي تنتقل بتلوث الأيدي، والتي أهمها ما يسمى بأمراض القذارة^(٤).

٢. تخليص الأجزاء المكشوفة من البدن من الأوساخ التي تعلق بها باستمرار، ومن ثم تحفظ وظائف الجلد من أن تتعطل.

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - المغني - الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج ١، ص: ٧.

(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني - المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، باب: العين، من اسمه عيسى، حديث رقم: ٤٨٩٣. ج ٥، ص: ١٣٩.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣. ج ١، ص ٢٠٣.

(٤) أمراض القذارة هي: الكوليرا والحمى التيفية، والزحار العصوي والالتهاب المعوي بالعصيات الكولونية، وتسمم الطعام الجرثومي، وتشكل هذه الأمراض أهم المشاكل الصحية في البلدان النامية، ومسئولة لحد كبير عن ارتفاع معدل الوفيات فيها، وتعتمد الوقاية منها على النظافة الشخصية كغسل الأيدي قبل كل طعام، وبعد كل تغوط. دياب وقرقوز - مع الطب في القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن - دمشق. بيروت. ط ٧٤٠٤، ص: ١٢١.

٣. تنشيط الدورة الدموية العامة وتجديد حيوية الجسم، بتنبيه الأعصاب، وتدليك الأعضاء^(١).

والإسلام في دعوته للنظافة، وجعله الطهارة شرطاً لصحة أهم عباداته من صلاة وطواف، بل جزءاً معتبراً من أجزاء الإيمان لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (الطهور شرط الإيمان)^(٢)، إضافة إلى اهتمامه بنظافة الفم الذي يعد منفذاً للغذاء وهو عضو التواصل، كما هو مدخل معظم الجراثيم إلى البدن، وربطه بوضوح بين نظافة الفم ورضا الرحمن في أحاديث متواترة منها، قوله (صلى الله عليه وسلم): (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)^(٣). كل ذلك يشي بأنه جعل النظافة قمة في التحضر^(٤).

ب. وفي شأن الغسل: طهارة الجسم من الجنابة بالنسبة للرجال وللنساء وكذلك الطهارة من الحيض أو النفاس بالنسبة للنساء، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ [المائدة: ٦]، وقال في شأن طهارة النساء: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والطهارة في الحالتين السابقتين تعنى غسل كامل البدن بالماء الطاهر، وقد بين القرآن بجلاء أن وسيلة الطهارة الأولى الماء، قال تعالى: ﴿وَيُنزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الأنفال: ١١]، حيث بينت الآيتان طهارة ماء السماء. فلقد ثبت أن الماء: هو الوحيد الطاهر المطهر غيره لمميزات فيه، أهمها أنه وسط غير ملائم لنمو الكائنات الدقيقة متى كان نقياً، لعدم احتوائه على العناصر الغذائية اللازمة لنموها، ولأن درجة حرارة الماء غير مناسبة لهذا النمو، كما أن درجة الضغط ال(أزموزي)^(٥) للماء

(١) عبد الحميد دياب وأحمد ترقوز - مع الطب في القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن - دمشق. بيروت. ط ١٤٠٤ هـ، ص: ١٢٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب: سواك الرطب واليابس للصائم. ج ٣، ص: ٣١.

(٤) محمد نزار الدقر - روائع الطب الإسلامي - موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net.

(٥) الضغط الأزموزي: أحد العوامل الفيزيائية التي تؤثر في الكائنات الدقيقة. فهو يمثل انتقال جزيئات الماء من المحلول الأعلى تركيزاً إلى الأقل تركيزاً ليحدث الاتزان. https://mawdo.com.

أفل منه عند هذه الكائنات، مما يؤدي إلى موتها وهلاكها^(١)، لذا فالماء في ذاته طهور، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

- أما فوائد الغسل الوقائية والصحية ولا سيما بعد الجماع فتتلخص في:
١. تخفيف الاحتقان الدموي في الجلد والأعضاء التناسلية مما يدفع الدم إلى أعضاء الجسم الهامة وخاصة القلب والدماغ.
 ٢. تخليص الجسم من الأدران العالقة به والتي تتكون من الطبقات المتوسفة^(٢) من الجلد، والمفرزات الدهنية والعرقية، ومن الغبار والأوساخ المختلفة.
 ٣. تنشيط الجسم، وبث الحيوية فيه، بعد خموله وذلك بتنبية النهايات العصبية التي في الجلد.
 ٤. تأمينه لسلامة وظائف الجلد العديدة والتي أهمها نقل الإحساسات وتنظيم الحرارة وحماية الجسم.
 ٥. عملية الاغتسال جهد عضلي تنشط القلب والدورة الدموية كما تنشط العضلات الإرادية بشكل عام.
- ج. أما طهارة الخبث: فمنها غسل الجسم أو قسم منه عند ملامسته النجاسات المختلفة من أبرزها البول، والغائط، وميتة الحيوان، والقيح والصديد، والقيء والقلس، والمسكر المائع. ومنها أيضاً: طهارة الملبس يقول تعالى: ﴿وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، فطهارة الثياب شرط لصحة العبادات، وهذا يتطلب من الإنسان حرصاً دائماً على طهارة ملبسه من جميع النجاسات كالتي مر ذكرها في طهارة الجسم. ولا يخفى ما لهذا الأمر من قيمة في إبعاد الإنسان عن مصادر التلوث بالعوامل المعدية^(٣).

(١) عبد الجواد الصّاوي - إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص: ٣٨.

(٢) التّوسف: تقشّر الجلد. الصّحاح، ٤ / ١٤٣٨.

(٣) دياب وقرقوز - مع الطب في القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن دمشق، ص: ١٢٣.

وإنه لحريٌّ بنا أن ندرك بذلك السبق العلمي والعملية للقرآن الكريم في تشريعه للوضوء والطهارة عموماً إذا طالعنا معطيات العلم الحديث حول العناية بالجلد، فالعناية بالجلد تتركز في الدرجة الأولى على النظافة وغسل الجسم، وخاصة الأجزاء المكشوفة. وإن التنظيف المستمر ضروري لتفتح مسام الغدد العرقية والدهنية .

فقد جاء أنه -لحفاظ على الصحة- يتحتم على الإنسان أن يغسل وجهه ويديه وشعره ورقبته مرتين في اليوم على الأقل، كما يجب عليه أن يولي النواحي الإبضية والتناسلية عناية خاصة، والاستحمام ضروري جداً على الأقل مرة بالأسبوع خلال الشتاء ومرتين أو أكثر خلال الصيف^(١).
ثانياً: نظافة البيئة وطهارتها:

قال تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، وفي هذه الآية إشارة إلى لزوم العمل على طهارة البيئة وخاصة بيوت الله، كما أن من شروط صحة الصلاة أن تكون في مكان طاهر من النجس والأقذار . قال القرطبي: وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الأنجاس والدماء^(٢).
وفي قوله تعالى: ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أورد ابن كثير في تفسيره أقوالاً لبعض علماء التفسير، ملخصه: أن ابن عباس قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء .

قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره^(٣). وقال ابن عاشور:
والمراد من تطهير البيت: ما يدل عليه لفظ التطهير من محسوس: بأن يحفظ

(١) دياب وقرقوز - مع الطب في القرآن الكريم نقلاً عن: عبد الكريم شحادة - المدخل إلى الأمراض الجلدية - ص: ١٢٣ .
(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ١٢، ص: ٣٧ .
(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ١، ص: ٤١٩ .

من القاذورات والأوساخ ؛ ليكون المتعبد فيه مقبلاً على العبادة دون تكدير، ومن تطهير معنوي: وهو أن يبعد عنه ما لا يليق بالقصد من بنائه من الأصنام والأفعال المنافية للحق، كالعدوان والفسوق، والمنافية للمروءة، كالطواف عرياً دون ثياب^(١).

ولا شك أن اعتبار البول والغائط والميتة وغيرها من الفضلات نجساً، يقتضي من الدولة أن تعمل على تصريف هذه الفضلات بأحسن السبل وعدم استخدامها في ري الأراضي والمزروعات مباشرة، ومن المعروف في الطب الوقائي أن سوء تصريف الفضلات من أهم أسباب انتشار الأوبئة والأمراض الإلتهابية في البلدان المتخلفة^(٢).

جاء في تفسير المنار: أن الطهارة ركن الصحة البدنية، وبيان ذلك: أن الوسخ والقذارة مجلبة الأمراض والأدواء الكثيرة، كما هو ثابت في؛ ولذلك نرى الأطباء ورجال الحكومات الحضرية، يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية - بحسب سنة الله تعالى في الأسباب - في الأمر بالمبالغة في النظافة، وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصلح الناس أجساداً، وأفلهم أدواءً وأمراضاً؛ لأن دينهم مبني على المبالغة في نظافة الأبدان والثياب والأمكنة؛ فإزالة النجاسات والأقذار التي تولد الأمراض من فروض دينهم، وزاد عليها إيجاب تعهد أطرافهم بالغسل كل يوم مرة أو مراراً . . .^(٣).

كان جديراً بهم ذلك لأنهم المعنيون بعمارة الكون وخلافة الله في، ولأن أخطر الأقذار وأسرعها ضرراً ما لصق بجسم الإنسان، وكان لزاماً- لما تقدم- التخلص منها .

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - التحرير والتنوير - (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ، ج ١، ص: ٧١٢.

(٢) دياب وقرقوز - مع الطب في القرآن الكريم - ص: ١١٨ - ١٢٤.

(٣) رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢١٧.

لذا كان الاستنجاء من خصال الفطرة وسنن الهدى العظيمة التي دعانا إليها المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، فقد أورد مسلم في صحيحه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عد عشرًا من الفطرة: (وانتقاص الماء)^(١). ولا شك بأن الهدى النبوي بتعليم الأمة قواعد الاستنجاء، إنما هو إعجاز تشريعي وسبق صحي في مجال الطب الوقائي سبق بها الإسلام كافة الأنظمة الصحية في العالم؛ إذ تنسجم هذه القواعد مع متطلبات الصحة البدنية في الوقاية من التلوث الجرثومي والحد من انتشار الأمراض السارية. فما يخرج من السيلين من بول وغائط يعتبر من أخطر الأسباب لنقل العدوى بالأمراض الجرثومية والطفيلية فيما إذا أهملت نظافتها؛ لذا دعت السنة النبوية إلى الاهتمام، وجعلت ذلك مدخلًا للعبادة الصحيحة عند المسلمين^(٢).

(١) صحيح مسلم "كتاب الطهارة باب: خصال الفطرة، حديث رقم: ٢٦١. ج ١، ص: ٢٢٣.

(٢) محمد نزار الدقر - روائع الطب الإسلامي - موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net.

المبحث الثاني

الكشف الإعجازي في العناية بالفم

إن الاهتمام بطهارة الفم وجعلها جزءاً من العبادة، لا يكاد يوجد في أي تشريع في هذه الدنيا، ولا شك في أن هذا يُعد من مكارم هذا الدين، وسبقاً تعجيزياً في باب التشريع، ذلك أن الفم إذا أهمل يكون مزرعة للأمراض وضرراً لصاحبه ومن يخالط^(١).

لذا كان مما يسبق الوضوء غالباً السواك وهو من سنن الفطرة أيضاً، يقول محمد رشيد رضا: السواك من سنن الوضوء والصلاة^(٢)، ولأن الفم وسيلة مناجاة الله بقراءة القرآن والتسبيح والدعاء ومختلف أنواع الذكر، يعتبر السواك من أكد السنن، فهو من السنن التي حث عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولاً وداوم عليها فعلاً بالليل والنهار، ومما اتفق رواة السنن على نقله قوله (صلى الله عليه وسلم): (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)^(٣)، وفي رواية: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالوضوء عند كل صلاة ومع كل وضوء سواك ولأخرت العشاء إلى الليل)^(٤)، وفي: (لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)^(٥)، وفي البخاري: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك)^(٦).

وفيه أيضاً: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء)^(٧)، وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي (صلى الله عليه وسلم): (كان إذا دخل

(١) عبدالمعز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - دار المدينة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩١م، ص: ٢٢-٣٢.

(٢) محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢٠٨.

(٣) سنن الترمذي: كتاب: الطهارة وسننها باب السواك، حديث رقم: ٢٨٧. ج ١، ص: ١٠٥.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي: مسند أبي هريرة، حديث رقم: ٢٤٤٨. ج ٤، ص: ٩٠.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجمعة باب: السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٨٧. ج ٢، ص: ٤. صحيح مسلم: كتاب الطهارة

باب: السواك حديث رقم: ٢٥٢. ج ١، ص: ٢٢٠.

(٦) صحيح البخاري: كتاب التمتني باب: ما يصح من اللو، حديث رقم: ٧٢٤٠. ج ٩، ص: ٨٥.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب: سواك الرطب واليابس، ج ٣، ص: ٣١.

بيته بدأ بالسواك^(١)، وجاء أيضاً: (أكثرت عليكم في السواك)^(٢)، وأكثرت عليكم أي بالغت في طلبه منكم، أو في إيراد الأخبار في الترغيب فيه. وقد بين (صلى الله عليه وسلم): أن العبد يكون محبوب المناجاة، إذا صدرت هذه المناجاة من فم طيب خال من الروائح الكريهة والجراثيم المتعفنة، فقال: (إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك)^(٣)، وجاء أيضاً: (صلاة سواك خير من سبعين صلاة بلا سواك)^(٤).

كما نهى (صلى الله عليه وسلم) أن يلج الناس المجتمعات بفم كريح المنظر لم يتطيب بالسواك، حيث يقول: (مالي أراكم تأتونني قلحاً^(٥) استاكوا)^(٦)، ويتكون القلح نتيجة عدم تنظيف الأسنان، وهو عبارة عن رواسب مثل فحمت وفوسفات الـ(كلس) والـ(مغنيزيوم)، مع المخاط اللعابي وفضلات طعامية تتوضع كلها فوق حافة اللثة وفي الثلم اللثوي وعلى عتق الأسنان، تتصلب مع مرور الزمن مشكلة القلح^(٧).

وللسواك فوائد طبية كثيرة للفم والأسنان حيث يحتوي على مواد مضادة للجراثيم وقد ثبت بالبحث أنه يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم المعدية والموجودة بالفم أهمها البكتريا السبحية والتي تسبب بعض أنواعها الحمى الروماتيزمية، كما وجد في السواك بعود الأراك مادة تجرف الفضلات وتزح القلح وتساعد على تلميع الأسنان، إضافة لتوافر حمض العفص فيه بكثرة، وهو حمض قاتل للجراثيم ومطهر قوي يشفي جروح اللثة والتهاباتها^(٨).

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب: السواك، حديث رقم: ٢٥٣. ج ١، ص: ٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة باب: السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٨٨. ج ٢، ص: ٤.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننهن باب: السواك، حديث رقم: ٢٩١. ج ١، ص: ١٠٦.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الطهارة باب: تأكيد السواك عند القيام إلى الصلاة، حديث رقم: ١٦١. ج ١، ص: ٦٢.

(٥) القلح والقلاخ: صفرة تعلو الأسنان في الناس وغيرهم، وقيل: هو أن تكثر الصفرة على الأسنان وتغلظ ثم تسود أو تخضر. لسان العرب. مادة: قلح، ج ٢، ص: ٥٦٥.

(٦) مسند أحمد: من مسند بني هاشم، حديث تمام بن العباس، حديث رقم: ١٨٣٥. ج ٣، ص: ٣٣٤.

(٧) محمد نزار الدقر - روائع الطب الإسلامي - موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة 55a.net.

(٨) المصلح والصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٦٣.

على السواك من أول عمره تحفظ له أسنانه التي هي ركن من أعظم أركان الصحة والجمال، وهو نعمة لا يعرف أكثر الناس قيمتها إلا بعد أن يفسدها التسوس، ويضطر إلى قلعها بعد أن يقاسي من آلامها ما يقاسي^(١).
جاء في تفسير المنار نقلاً عن مجلة "غازته باريس" الطبية تحت عنوان: "عناية العرب بالفم": بتأثير السواك تصير الأسنان ناصعة البياض، واللثة والشفتان جميلة اللون الأحمر، إلى أن قالت: وإنه ليسوؤنا ألا تكون عنايتنا بأفواهنا، ونحن أهل المدينة، كعناية العرب بها^(٢).

فالفم باعتباره المدخل الرئيسي للجسم، منه تعبر أرتال من الجراثيم الضارة، وفيه تستقر أنواع وأعداد هائلة من الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية، وينتج عن نموها وتكاثرها، أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحته، وعلى الأسنان ولونها وأدائها، ومن الأمراض التي تسببها: تسوس الأسنان والتهابات اللثة^(٣).

وفي تفسير المنار: إن ما في عود الأراك من المادة العفصية العطرية يشد اللثة، ويحول دون حفر الأسنان، وإنه يقوي المعدة على الهضم، ويدر البول^(٤).

وكم نشعر بعظمة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) لنا بالتسوك إذا علمنا بأنه قد ثبت تكون غلالة رقيقة من اللعاب تلتصق بالأسنان تسمى لويحة جرثومية، يسبح فيها عدد هائل من الجراثيم تصل إلى حوالي ١٠٠ بليون جرثومة في الجرام الواحد منها، وهذه اللويحة أو الطبقة تتكون سريعاً، حتى بعد تلميع الأسنان في أقل من ساعة، ويزداد سمكها ويحدث فيها ترسبات رخوة،

(١) محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ج ٦، ص: ٢٢٠.

(٣) عبد الحميد القضاة - تفوق الطب الوقائي في الإسلام - من الأبحاث المختارة في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي بإسلام

أباد، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص: ٩ - ١٠.

(٤) محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢٢٠.

كلما تركت من غير إزالة، وقد ثبت أن هذه الطبقة الجرثومية هي المسئولة عن أمراض اللثة ونخر الأسنان، وهذا يوضح لنا أهمية حث النبي أمته على دوام استعمال السواك عند كل صلاة أو وضوء، وقد كان رسول الله كما ثبت في الصحيحين، إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، فعن حذيفة (رضي الله عنه): (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه بالسواك)^(١)؛ لأن ركود اللعاب أثناء النوم أحد العوامل المهيئة لتكاثر الجراثيم وازدياد ترسباتها، وهذه اللويحة ليس لها علاقة بالأكل وفضلات الطعام، فهي دائمة التكوين، لذا تفهم الحكمة من ترغيب النبي وحضه على السواك وملازمته له حتى أثناء الصيام، فعن عامر بن ربيعة (رضي الله عنه) قال: (رأيت النبي يستاك وهو صائم ما لا أحصي)^{(٢)(٣)}.

وقد أجريت دراسة على مستعملي السواك ثبت خلالها أن السواك يزيل تلك اللويحة وهي بكر قبل عتوها وتأثيرها على الأنسجة^(٤).
وقد ثبت أيضاً أن للسواك تأثيراً مهبطاً للسكر، وتأثيراً مضاداً للسرطان^(٥).

- (١) صحيح البخاري: كتاب التهجد باب: طول القيام في صلاة الليل، حديث رقم: ١١٣٦. ج ٢، ص: ٥١. صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: السواك، حديث رقم: ٢٥٥. ج ١، ص: ٢٢٠.
(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم باب: سواك الرطب واليابس للصائم، ج ٣، ص: ٣١.
(٣) عبد الجواد الصاوي - الإعجاز في القرآن والسنة الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص: ٤٢ - ٤٣. المصلح والصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٦٢ - ٢٦٣.
(٤) المصلح - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٦٣.
(٥) عبد الجواد الصاوي - الإعجاز في القرآن والسنة الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص: ٤٥.

المبحث الثالث

الأسرار الوقائية والصحية للوضوء

فرض الله سبحانه وتعالى الوضوء على المسلم، وسن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيه سنناً، يغسل المسلم فيه الأجزاء المكشوفة من جلده خمس مرات في اليوم واللييلة، وفي كل مرة يغسل العضو ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] (١).

والوضوء بكيفيته المعروفة، فيه - إلى جانب الصفة التعبدية - إزالة الأدران والأوساخ التي تعلق بالأطراف من الجو، أو الحشرات، أو مصافحة الآخرين، أو الإمساك بأشياء قد تكون ملوثة، إلى غير ذلك مما يوجب التحوط بالغسل (٢).

ولذلك حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الإكثار من الوضوء وإتقانه، فيقول: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط) (٣).

وما أعظم حكمة الله - العليم الحكيم - وأشد وضوح إعجاز القرآن الكريم الذي خاطب الله فيه المؤمنين بما يصلح أحوالهم في دنياهم وأخراهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قائلًا آخر الآية: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

ومن دقائق موافقة السنة في الوضوء لقوانين الصحة تأكيد البدء بغسل الكفين ثلاث مرات، وهذا ثابت في كل وضوء، فهو غير الأمر بغسلهما لمن قام

(١) المصلح والصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص: ٢٥٩.

(٢) عبد العزيز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - ص: ٢٦. نقلًا عن: محمد زكي سويدان - الصلاة صحة ووقاية وعلاج، دار الهلال للطباعة: ١٩٧٤م.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم: ٢٥١. ج: ١، ص: ٢١٩.

من النوم، ذلك بأن الكفين اللتين تزاوُل بهما الأعمال يعلَق بهما من الأوساخ الضارة وغير الضارة ما لا يعلَق بسواهما، فإذا لم يبدأ بغسلهما، يتحلل ما يعلَق بهما، فيقع في الماء الذي به يتمضمض المتوضئ ويستنشق ويغسل وجهه وعينه، فلا يأمن أن يصيبه من ذلك ضرر مع كونه ينافي النظافة المطلوبة، ومن حكمة تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل جميع الأعضاء، اختبار طعم الماء وريحه فقد يجد فيه تغيراً يقتضي ترك الوضوء به^(١).

يقول صاحب كتاب "الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة": ولا يفوتنا أن ننبه عند الوضوء على محمّدة من محامد الشريعة، لم يكشف النقاب عن إعجازها إلا بعد تتطور العلوم والمخترعات الطبية، وهي أن النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - نهى المتوضئ عن إدخال يده في الإناء المفتوح عند إرادة الوضوء، إلا بعد غسلها ثلاثاً يصب الماء عليها ثلاثاً، وبخاصة إذا ما استيقظ من النوم، حيث أوجبه بعض الأئمة وجعله لازماً^(٢)، فقد أوجبه الإمام أحمد وداود الظاهري، لما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده)^(٣)، وفي رواية: (أو أين طافت يده)^(٤).

فاليد قد تطوف أثناء النوم ببعض أجزاء الجسم الملوثة بمرض أو جرح يحمل الجراثيم، أو قد تطوف لحكة تعتربه، كما يحدث في الديدان الخيطية التي تخرج من الأمعاء إلى الشرج^(٥)، يقول الدكتور سويدان عن هذه الديدان: (هي ديدان رفيعة طولها سنتم واحد، تعيش في الأمعاء الغليظة، وتخرج منها كثيراً أثناء النوم فتطوف حول الشرج، وتضع بويضاتها الخاصة، ويظل المريض

(١) محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢١٧.

(٢) انظر: ابن رشد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ج ١، ص: ١٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده... حديث رقم: ٢٧٨ - ج ١، ص: ٢٣٣.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الطهارة باب: التكرار في غسل اليدين، حديث رقم: ٢٠٩ - ج ١، ص: ٧٦.

(٥) عبد العزيز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - ص: ٢٧ - ٢٨.

يعاني من الهرش في هذه المنطقة أثناء النوم الذي يستحيل إلى نوم مضطرب له عواقبه السيئة . وعندما يهرش المصاب عند الشرح تعلق البويضات بأظفاره ، فتدخل من جديد في أمعائه عند تناول الطعام ، أو قد يلوث طعام الآخرين من يده وبرازه ، فتصيبهم العدوى ، وقد يعدي الآخرين حتى بمصافحتهم^(١) .

وقل مثل ذلك في كل الأمراض التي قد تنتقل بواسطة اليد من غير أن يدري ناقل المرض ولا المنقول له بذلك ، فسبحان الذي أنزل شرعه لرسوله وحيّاً أو حاه إليه^(٢) .

وحيّاً يلفت به النظر إلى علمه وحكمته وتقديره العجيب اللامتناهي في هذه الدقائق العلمية والكونية ، ومقررّاً شهادته بنبوة أكيدة ، مفادها حتمية وصول العلماء لحقيقة ذلكم الإعجاز ، بنص أبدي لا يقبل التغافل أو التبديل أو المساومة ولا المزايدة ، حيث قرر قائلاً: ﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] .

والمضمضة وهي: إدخال الماء إلى الفم وإدارته فيه ثم طرده ، كان هدى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي سنة في الوضوء والغسل ، وقد كان هدى النبي (صلى الله عليه وسلم) أيضاً أن يتمضمض بعد الطعام ، خاصة إذا كان دسماً ، فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شرب لبناً فمضمض وقال: (إن له دسماً)^(٣) .

ويتم بالمضمضة نظافة الفم وإزالة بقايا الطعام منه^(٤) ، تلك البقايا التي تتغذى عليها بعض الفطريات والطفيليات الأولية بأعداد هائلة ، وينتج من نموها

(١) محمد زكي سويدان - الصلاة وصحة ووقاية وعلاج - نقلًا عن: عبد العزيز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - ص: ٢٨ .

(٢) عبد العزيز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - ص: ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب الوضوء باب: هل يتمضمض من الوضوء ، حديث رقم: ٢١١ . ج ١ ، ص: ٥٢ . صحيح مسلم: كتاب الحيض باب: نسخ الوضوء من ما مست النار ، حديث رقم: ٣٥٨ . ج ١ ، ص: ٢٧٤ .

(٤) أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م ، ص: ١٥ .

وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحته وعلى لون الأسنان وأدائها، والمضمضة بالماء ثلاث مرات في خمس أوقات من اليوم، تخلص الفم من عدد هائل من هذه الكائنات وسمومها^(١).

وقد أكدت دراسة علمية حديثة: أن الغرغرة - المبالغة بالمضمضة - تمنع إصابات البرد والزكام بين الأصحاء، إذ تنظف الحلق من الجراثيم والميكروبات قبل انتشارها، مانعة ثلاثين في المائة من تلك الإصابات، وبذا تعتبر إجراءً وقائياً يساهم في تحسين الصحة العامة من جهة، وتخفيض النفقات والتكاليف العلاجية من جهة أخرى^(٢).

وهناك فائدة أخرى هامة جداً للمضمضة: أنها تقوي بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نضارته واستدارته وهو تمرين يعرفه المتخصصون في التربية الرياضية وهذا التمرين أيضاً يفيد في إضفاء الهدوء النفسي على المرء لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة^(٣).

أما الاستنشاق فهو إدخال الماء إلى الأنف، والاستنشاق إخراج منه بعد استنشاقه، وهما سنة مؤكدة في الوضوء والغسل عند جمهور الفقهاء عدا الحنابلة الذين قالوا بوجوبه فيهما^(٤)، كما أن ذلك مندوب عند القيام من النوم، جاء في الحديث: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فليستثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبیت على خياشيمه)^(٥)، ويعمل الاستنشاق والاستنشاق كلاهما معاً على التخلص مما تراكم في الأنف من مواد مخاطية، وما التصق بها من غبار وجراثيم مما يؤدي إلى تجديد طبقة المخاطية وتنشيطها لتقوم بوظيفتها

(١) عبد الجواد الصاوي - إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - ص: ٤١.

(٢) أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - ص: ١٦.

(٣) يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - مكتبة ابن حجر - دمشق، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٩٣٢ - ٩٢٢.

(٤) ابن قدامة المقدسي - المغني - ج ١، ص: ٨٨. وانظر: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرسي - دليل الطالب لنيل

المطال تحقيق: أبو قتيبة، الناشر: دار طبية للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص: ١٠.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: الإيتار في الأستنثار والاستجمار، حديث رقم: ٢٣٨. ج ١، ص: ٢١٢.

الحيوية على أتم وجه. فإذا ما علمنا أن أكثر الأمراض انتشاراً بين الناس كالزكام والأنفلونزا والتهاب القصبات إنما تنتقل إلى الإنسان عن طريق الرذاذ الذي يخرج من المريض، بواسطة الهواء الذي يمر عبر الأنف أدركنا أهمية الدعوة النبوية للالتزام بعملية الاستنشاق والاستنثار مع كل وضوء^(١).

وإذا كان من الممكن التخلص من جراثيم الأنف الطفيلية والمرضية باستعمال العديد من المطهرات الموضعية أو المضادات الحيوية فإن الوسيلة البسيطة السهلة، وفي نفس الوقت ذات الفعالية الأكيدة هي غسل الأنف بالماء النظيف عن طريق الاستنشاق ثم الاستنثار عدة مرات^(٢).

ويتجلى وجه الإعجاز أكثر في تأكيد الأمر بالاستنشاق أكثر من المضمضة، فمن الذي أعلم النبي الأمي محمداً (صلى الله عليه وسلم) وسلم بهذه المعلومات الدقيقة عن الأنف وجراثيمه، حتى يؤكد هذه التأكيدات عليه أكثر من المضمضة^(٣)، ثم ما فائدة تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم: (فليجعل في أنفه ماء ثم لينثر)^(٤) لا شك أن هذا الأمر مقصود؛ لأنه يادخال الماء فقط لا يتحقق الغرض المقصود) وقال: (استنثروا مرتين بالغتين أو ثلاثاً)، وقال: (وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً)^(٥).

وإن لغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة كبيرة جداً في إزالة الأتربة والميكروبات فضلاً عن إزالة العرق من سطح الجلد كما أنه ينظف الجلد من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية وهذه تكون غالباً موطناً ملائماً جداً لمعيشة وتكاثر الجراثيم^(٦).

(١) محمد نزار الدقر - روائع الطب الإسلامي - موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة 55a.net. www.

(٢) إسماعيل الحرفي - مقالات: جامعة الإيمان - تاريخ النشر: الأحد ٢٧ يناير ٢٠١٣ م.

(٣) المصدر نفسه، وبنفس التاريخ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: الإيتار في الاستنثار والاستحمام، حديث رقم: ٢٣٧. ج ١، ص: ٢١٢.

(٥) المستدرک علی الصحیحین: حدیث: یحیی بن سلیم، حدیث رقم: ٥٢٥. ج ١ ن ص: ٢٤٨.

(٦) يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - ص: ٩٣١.

وقد ثبت علمياً أن المكروبات لا تهاجم جسم الإنسان إلا إذا أهمل نظافته، حيث إن إقرازات الجلد المختلفة حينئذ من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثةً حكةً شديدةً على الأغلب تكون بأظافر غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجسم^(١).

وغسل الوجه ثلاث مرات عند كل وضوء يضمن النظافة الدائمة للعينين والمحافظة عليهما وتجنب الإصابة بالرمد الحبيبي "التراكوما" أو الرمد الصديدي "أو التهابات العينين"^(٢).

وفي محاضرة عن تطور فن التجميل تناولت مديرة معهد العلاج التجميلي في موسكو (١٩٦٩م) فضل الوضوء على الشعوب الإسلامية وأثره على بقاء الوجه في نضرة وحيوية وشباب عند الشيوخ منهم، وحتى في سن متقدمة، إذ إن تكرار غسيل الوجه بالماء وخاصة البارد منه، وما يرافقه من تدليك، ينشط بشرة الوجه وما فيها من خلايا وعضلات، ويجعل أنسجته مرنة وقوية غير مترهلة، مما يزيد في حيوية ونضارة البشرة، ويؤخر أو يقلل من ظهور التجاعيد فيها. . . ونضارة وجه الشخص الملتزم بالوضوء أمر ملاحظ لكل مبصر^(٣).

وإن مسح الأذنين في الوضوء يعد إبداعاً طبيّاً من أجل إزالة المواد الشمعية الزائدة، وما يتراكم عليها من غبار أو قاذورات داخلية، ربما تؤدي إلى انسداد الأذن أو إصابتها بالالتهابات التي قد تنتقل إلى الأذن الداخلية، ونسبب ضعف السمع، أو اضطراب توازن الجسم، نظراً لوجود مركز توازن الجسم في الأذن الداخلية^(٤).

(١) أحمد مصطفى متوتّي - الموسوعة الشاملة في الطبّ البديل - دار ابن الجوزي - القاهرة، ص: ٧٨.

(٢) أحمد بن سالم بادويلان - التداوي بالصلاة - دار الحضارة للنشر والتوزيع، ص: ٤١.

(٣) أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - ص: ١٩ - ٢٠.

(٤) أحمد بن سالم بادويلان - التداوي بالصلاة - دار الحضارة للنشر والتوزيع. ص: ٤١.

المبحث الرابع الوضوء وتوازن الطاقة

إن مما يعد من أحدث وأعجب الاكتشافات وأشدّها موافقاً للآثار النبوية ما جاء في كتاب " التداوي بالصلاة " : أن للذنوب علاقة طردية بالأيدي والأرجل والوجه والأذن ؛ فقد وجدوا أن الذنوب تؤثر في مسارات الطاقة والمجال الحيوي المحيط بجسم الإنسان، حيث إنها تترك اختلافات سلبية واضحة فيه ؛ ذلك أن جسم الإنسان يتكون من ذرات ما هي لإطاقات كهروكيميائية وكهرومغناطيسية، فإذا الدراسة تثبت أن الوضوء يجدد كل خلايا الجسم ويمدها بالطاقة اللازمة التي تشع من أجسامنا^(١).

فمن الآثار التي وافقها هذا الاكتشاف ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب)^(٢). وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله: (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره)^(٣).

وقد ثبت بأن غسل القدمين مع التدليك الجيد يؤدي إلى الشعور بالهدوء والسكينة؛ لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكأن هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه على حدة، بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية، وهذه من أسرار ذلك

(١) أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - ص: ٢٧. نقلًا عن: أحمد بن سالم بادويلان - التداوي بالصلاة - ص: ٢٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم الحديث: ٢٤٤، ج ١، ص: ٢١٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم الحديث: ٢٤٥، ج ١، ص: ٢١٦.

الشعور الطاغي بالهدوء والسكينة الذي يلف المسلم بعد أن يتوضأ^(١). وثبت بالبحث العلمي أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين والأطراف السفلية من القدمين والساقين، أضعف منها في الأعضاء الأخرى؛ لبعدها عن المركز المنظم للدورة الدموية، وهو القلب، ولذا فإن غسل هذه الأطراف جمعياً مع كل وضوء ودلكها بعناية يقوي الدورة الدموية، مما يزيد في نشاط الجسم وحيويته^(٢).

وقد لاحظ العلماء أن الإنسان إذا اغتسل أو توضأ بالماء زال عنه الغضب والانفعال، وإن تفسير العلم لذلك هو: أن رذاذ الماء المتناثر في الهواء أثناء الوضوء، يولد الضوء منه "أيونات" سالبة الشحنة لها قوة "كهرومغناطيسية" تسبب للإنسان استرخاء نفسياً كاملاً فيزول عنه الغضب تماماً، ولقد أوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل أربعة عشر قرناً من الزمان فقال: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)^(٣).

كما يؤدي انطلاق تلك "الأيونات" السالبة إلى استرخاء الأعصاب والعضلات، مما يساعد على تخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم، والآلام العضلية وحالات القلق والأرق. . ويؤكد ذلك أحد العلماء الأمريكيين في قوله: إن للماء قوة سحرية بل إن رذاذ الماء على الوجه واليدين هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر^(٤).

وقد ثبت أيضاً تأثير أشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية في إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحسر جداً مع توالي الوضوء، لما يحدثه

(١) يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - ص: ٩٣١.

(٢) أحمد مصطفى متوحي - الموسوعة الشاملة في الطبّ البديل - ص: ٧٧ - ٧٨.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب باب ما يقال عند الغضب، حديث رقم: ٤٧٨٤. ج ٤، ص: ٢٤٩.

(٤) يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - ص: ٩٣٤.

من ترطيب دائم لسطح الجلد بالماء، خاصة تلك الأماكن المعرضة للأشعة مما يتيح لخلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد أن تحتمي من الآثار الضارة لأشعة الشمس، خاصة الأشعة فوق البنفسجية^(١).

وأكد بحثٌ علميٌّ ورد في مجلة الإعجاز العلمي: أن من علوم الطب التكميلي أو الطب البديل: علم مبني على وجود مسارات للطاقة "الفيزيولوجية" غير المرئية في الجسم، وأن هناك نقاطاً عديدة على سطح الجسم ترتبط بطاقة أجهزة الجسم الداخلية، ومعظم هذه النقاط تتركز في الأطراف: والوجه، واليدين، والأذنين، والقدمين، فتدليك هذه النقاط الانعكاسية يعيد التوازن والنشاط لأجهزة الجسم الداخلية، وينشط الدورة الدموية والليمفاوية . . . وهي المسئولة عن التخلص من المواد السامة والضارة في الجسم، كما أن تدليك اليدين والقدمين يسكن الآلام . . . وذلك لأن تدليك هذه النقاط يتسبب في إفراز مادة مسكنة تفرز طبيعياً في الجسم، وتدليك اليدين إلى المرفقين يحسن من وضع مسارات الطاقة التي تمر بمنطقة تقع بجوار المرفقين، فتتحسن بذلك طاقة الرتتين، والأمعاء الدقيقة والغليظة والقلب، وكذلك تدليك القدمين إلى الكعبين يحسن أداء مسارات الطاقة التي تمر بهذه المنطقة، وهي ست مسارات، فتتحسن طاقة المعدة، و"البنكرياس" والمثانة، والكلى، والقناة المرارية، والكبد.

أما التخليل بين أصابع اليدين والقدمين، فيدلك نقاطاً بين هذه الأصابع - يسميها علم الإبر الصينية: بالنقاط الخارجية - مما يؤدي إلى التخفيف كثيراً من آلام الصداع .

وعليه فإن عملية التخليل بين الأصابع المتكررة، وتدليك نقاط الطاقة هذه تساهم في منع إصابة الإنسان بكثير من الأوجاع والآلام، وتقلل من درجة توتره الناتج عن ضغط العمل اليومي.

(١) المصدر نفسه - ص: ٩٣٢.

أما الرأس الذي هو مركز الطاقة الروحي، ففيه تستقبل ذبذبات المستويات الروحية، وتبدأ منها مسارات الطاقة المختلفة بطول الجسم، من الرأس إلى القدمين، وهي التي تشكل الهالة أو المجال "الكهرومغناطيسي" . . . وإن هناك ثلاث مستويات لها، ومسح الرأس يمكن أن ينشط كل هذه المسارات.

أما مسح الأذن بالسبابة والإبهام، فهو منشط لطاقة معظم أجهزة الجسم البشري، حيث تتمثل أجهزة الجسم المختلفة في الأذن^(١).

وبهذا تتجلى لنا أهمية التدليك في غسل الأعضاء، وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) وفعله لذلك، فعن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا توضأت فخلل بين أصابع يديك ورجليك)^(٢).

وفي جمع الطبري في تفسيره بين قراءة النصب والجر، وحمله لقراءة الخفض على معنى الدلك ما يدل على أهمية الدلك، تلك الأهمية التي تدل بعد كشف العلم التجريبي على فوائد الدلك، أن تضمين القرآن له في سرده لأعمال الوضوء يعد ملحظاً إعجازياً عجبياً، فقد نقل الشنقيطي وجهة نظره في الجمع بين الرويتين بأن قراءة النصب يراد بها غسل الرجلين، لأن العطف فيها على الوجوه والأيدي إلى المرافق وهما من المغسولات بلا نزاع، وأن قراءة الخفض يراد بها المسح مع الغسل، يعني الدلك باليد أو غيرها. معللاً: حكمة هذا في الرجلين دون غيرهما؛ أن الرجلين هما أقرب أعضاء الإنسان إلى ملامسة الأقدار لمباشرتهما الأرض فناسب ذلك أن يجمع لهما بين الغسل بالماء والمسح أي الدلك باليد ليكون ذلك أبلغ في التنظيف^(٣).

كما هو أبلغ - حسب ما أثبتت الدراسات - في تقليل التوتر الناتج عن ضغوطات

الحياة وفي إضفاء الراحة، وخلق التوازن لكثير من وظائف الجسم الحيوية.

(١) أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - ص: ٢٨ - ٣٠. تقللاً عن: ماجدة عامر - الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية - مقالات وبحوث العدد العاشر من مجلة الإعجاز العلمي.

(٢) سنن الترمذي أبواب الطهارة باب: في تحليل الأصابع، حديث رقم: ٣٩. ج ١، ص: ٥٧.

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ١، ص: ٣٣٦.

خاتمة

حمداً لله أن من على عباده بنعمة العقل والمعرفة، وهياً لهم من الوسائل ما يعينهم على الحياة الطيبة . وأشكره أن يسر لي تتبع موضوع الطهارة في هذه الدراسة من خلال نصوص شرعية، بغية أن تعم بها الفائدة، حيث توصلت من خلال تباعي هذا إلى بعض نتائج منها:

- ١ . أن التشريعات القرآنية لها من المنافع والآثار الإيجابية-الدينية فضلاً عن الأخروية- في حياة الفرد والمجتمع ما لا يوجد في غيرها من التشريعات.
- ٢ . أن ألفاظ القرآن في السياق التشريعي تحمل من الدلالات الإعجازية ما يعتبر قمة في الروعة والانبهار لكل من تأملها .
- ٣ . أن حكمة الله في ربطه الأسباب بالمسببات ينفي العبثية في تدبيره، كما أن فيه لطفًا خفيًا بالعباد.

وأوصت الدراسة:

- ١ . بضرورة التزام كامل التشريع الرباني في أمر الطهارة دون تجزئة لتحقيق المصلحة على الوجه الأكمل .
- ٢ . وبأهمية تعليم الأطفال منذ نعومة أظفارهم ممارسة تفاصيل الطهارة بالصورة الصحيحة ليشبوا متجنبين كل ما من شأنه الخطأ في أدائها .
- ٣ . كما توصي أجهزة الصحة العامة بالزام ومتابعة معدي الطعام في الأماكن العامة والخاصة بضرورة الالتزام بالنظافة والتحرز من كل ما يلوث الطعام حتى ينعم المجتمع بالصحة والعافية .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - سنن ابن ماجه - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد بداية المجتهد ونهاية المقتصد - الناشر: دار الحديث - القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .
- أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري - مسند أبي داود الطيالسي تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م .
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني - مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي المستدرك على الصحيحين - الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني - مسند أبي يعلى - تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي - السنن الكبرى - تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- أحمد بن سالم بادويلان - التداوي بالصلاة - دار الحضارة للنشر والتوزيع .
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .
- أحمد بن مصطفى المراغي - تفسير المراغي - الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج ٦، محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ج ٦، ص: ٢١٤ .
- أحمد مصطفى متولي - الموسوعة الشاملة في الطب البديل - دار ابن الجوزي - القاهرة .
- أمل ياسين - روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم - مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي - الأعلام - الناشر: دار العلم للملايين، ط ١٥، - أيار / مايو ٢٠٠٢م .

- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني - المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- عبد الجواد الصاوي - الإعجاز في القرآن والسنة الطب الوقائي والكائنات الدقيقة - دار جواد للنشر والتوزيع - السعودية، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م.
- عبد الحميد القضاة - تفوق الطب الوقائي في الإسلام - من الأبحاث المختارة في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي بإسلام آباد، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز - مع الطب في القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- عبد العزيز محمد عثمان - الصحة والوقاية في القرآن الكريم والسنة النبوية - دار المدينة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩١م.
- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - المغني - الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي ومشاركون - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - دار جواد، ط ١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب - تيسير علم أصول الفقه - الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ماجدة عامر - الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية - مقالات وبحوث العدد العاشر من مجلة الإعجاز العلمي.

- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ م .
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ .
- محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى - الجامع الكبير - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م .
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .
- محمد زكي سويدان - الصلاة صحة ووقاية وعلاج، دار الهلال للطباعة: ١٩٧٤ م .
- محمد نزار الدقر - روائع الطب الإسلامي - موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net
- مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي - دليل الطالب لنيل المطال تحقيق: أبو قتيبة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- يوسف الحاج أحمد - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة - مكتبة ابن حجر - دمشق، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- إسماعيل الحرفي - مقالات: جامعة الإيمان - تاريخ النشر: الأحد ٢٧ يناير ٢٠١٣م .
- محمد أبو الفتح البيانوني - العبادة - دار السلام، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . سنة النشر: ١٩٨٤هـ .

مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير

د. محمد الحافظ أبكر محمد

ملخص

تناول البحث موضوع مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ويأخذ هذا البحث أهميته من تعلقه بعلم التفسير وهو من أشرف العلوم الشرعية بل أهمها وأعظمها فضلاً، وكانت من أهداف البحث منها التعريف بابن عاشور ووصف كتاب التحرير والتنوير وبيان قيمته العلمية والكشف عن أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب (التحرير والتنوير)، وقام البحث على المنهج التاريخي الوصفي الذي يستند على الوصف والتحليل ومن نتائج البحث اعتمد ابن عاشور في تأليف تفسيره (التحرير والتنوير) على الكثير من المصادر والموارد، وقد تنوعت وشملت كافة ضروب العلم والمعرفة كالتفسير، وعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف، والفقه والأصول واللغة العربية بشتى ضروبها وكان تعدد المصادر وتنوعها وقبول ما جاء فيها أو رفضه بعيداً عن روح التقليد الركيزة الأولى التي اعتمد عليها منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وكان من منهج ابن عاشور في الغالب التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة مع اسم المؤلف خاصة عند اعتماده على كتبه المؤلفة كما كان من منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة دون ذكر اسم مؤلفه أو التصريح باسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب، ومن أهم التوصيات ضرورة العناية بدراسة جهود ابن عاشور في إبراز علوم القرآن من خلال تفسيره التحرير والتنوير وضرورة قيام أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره وبين مصادر وموارد أحد المفسرين الآخرين.

• الأستاذ المساعد للتفسير وعلوم القرآن بجامعة إفريقيا العالمية - السودان.

Abstract

The research dealt with the topic of Ibn Ashour's sources and resources in his interpretation of Liberation and Enlightenment. One of the objectives of the research, including the definition of Ibn Ashour, the description of the book of Liberation and Enlightenment, the statement of its scientific value, and the disclosure of the types of sources and resources of Ibn Ashour in the book of Liberation and Enlightenment. On many sources and resources, they varied and included all forms of science and knowledge such as interpretation, the sciences of the Qur'an, the noble hadith, jurisprudence, principles and the Arabic language in all its forms. And it was mostly Ibn Ashour's approach to declare the name of the source or resource from which the information was obtained with the name of the author, especially when relying on his authored books. Without mentioning the name of the book, and one of the most important recommendations is the need to pay attention to studying the efforts of Ibn Ashour in highlighting the sciences of the Qur'an through its interpretation of liberation and enlightenment and the need to establish A researcher conducted a comparative study between the sources and resources of Ibn Ashour in his interpretation and the sources and resources of one of the other commentators.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فيعد محمد الطاهر بن عاشور من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ولقد احتوى تفسيره «التحرير والتنوير» على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من ٥٠ عاماً، وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها؛ «فالإقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ماله من نفاد»، ووصف تفسيره بأنه «احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير»، وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفرعاتها ومسائلها .

والبيئة التي نشأ فيها الطاهر بن عاشور كانت تتمتع بإمكانات ثقافية عالية خصوصاً فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه، والفقه ومذاهبه، واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ والفلسفة وغير ذلك من العلوم، مما انعكس على منهج ابن عاشور في تفسيره المسمى " التحرير والتنوير " والذي اختصره من اسمه الأصلي " تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، وتفسير الكتاب المجيد، والمتأمل فيه يجد لمؤلفه عقلاً راجحاً، ورأياً صائباً، وسعة فكر، وقوة بيان، وحجة قوية، وبرهاناً قاطعاً .

ويحاول الباحث من خلال هذا البحث دراسة موضوع مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) .

أهمية البحث:

يأخذ هذا البحث أهميته من الجوانب التالية:

١. تعلق البحث بعلم التفسير وهو من أشرف العلوم الشرعية بل أهمها وأعظمها فضلاً .
٢. تناول البحث لكتاب من أجل كتب التفسير في العصر الحديث [التحرير والتنوير] لماله من مكانة ومنزلة في مكتبة التفسير .
٣. عناية البحث بالمصادر والموارد التي اعتمد عليها ابن عاشور في تأليف تفسيره وهي أصل مادة الكتاب .

مشكلة البحث:

تبدو مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤل التالي: ما أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير؟

أهداف البحث:

يرجو الباحث من خلال هذا البحث تحقيق عدة أهداف منها:

- ١- التعريف بابن عاشور ووصف كتاب التحرير والتنوير وبيان قيمته العلمية.
- ٢- الكشف عن أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير.
- ٣- بيان منهج ابن عاشور في استخدام المصادر والمراجع في كتاب التحرير والتنوير .

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي الذي يستند على الوصف والتحليل .

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقوم هيكله على مقدمة ومبحثين وخاتمة على

هذا النحو:

مقدمة:

وتتضمن:

. أهمية البحث .

. مشكلة البحث .

. أهداف البحث .

. منهج البحث .

. هيكل البحث .

المبحث الأول: التعريف بابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بابن عاشور .

المطلب الثاني: وصف الكتاب وبيان منهج المؤلف فيه .

المبحث الثاني: دراسة مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير، وفيه

مطلبان:

المطلب الأول: مصادر القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية وعلومها .

المطلب الثاني: مصادره في الفقه والأصول العقيدة وعلم الكلام واللغة والنحو .

خاتمة: النتائج والتوصيات .

فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول التعريف بابن عاشور وكتابه (التحرير والتنوير) المطلب الأول التعريف بابن عاشور

هو العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد الشاذلي بن عبد القادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي^(١).

ولد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقصر جده لأمه الوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور، بالمرسی ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٨٧٩م^(٢).

نشأ الشيخ في بيئة علمية؛ فجده لأبيه عالم وهو قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده لأمه الشيخ محمد العزيز بو عتور عالم أيضاً، تولى الوزارة، والأسرة من أفضل أسر العاصمة، ومن ذوي اليسار لها مكاتب علمية كالمكتبة العاشورية وغيرها تشتمل على مخطوطات نادرة في الأدب والدين والقانون، في هذا الوسط العلمي والسياسي والإصلاحي شبّ مترجمنا فحفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً منذ صغر سنه، وحفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره من التلاميذ، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية^(٣).

واشتهر ابن عاشور بالصبر والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث، والترفع عن الدنيا^(٤).

(١) دائرة المعارف التونسية: إشراف أحمد خالد ومحمد الطالبي وعبد القادر المهيري، تونس: بيت الحكمة، ط ١، ١٩٩٠م ص ٤٠.
(٢) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور: بلباسم الغالي، بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص ٣٧.
(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م ص ٢٩.
(٤) بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة الرافضة: خالد بن أحمد الشامي، من دون ناشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ص ٥.

وكان الشيخ الطاهر ابن عاشور فقيهاً بارزاً حيث يعد من العلماء المجددين الذين يأنفون التقليد والتعصب لآراء الشيوخ، وكان يرى أن ارتهان المسلمين لهذه النظرة الجامدة المقلدة سيصيبهم بالتكاسل، وسيعطل أعمال العقل لإيجاد الحلول لقضاياهم التي تجدد في حياتهم^(١).

وتعليقاته وكتابه في الفقه تشهد بطول باعه وغزارة علمه في هذا الفن، ويظهر هذا في كونه أول من أفرد موضوع المقاصد في كتاب مستقل حيث ألف كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) ودعا فيه إلى مراعاة مدى تحقيق القول الذي يذهب إليه الفقيه لمقاصد الشريعة^(٢).

شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته:

التحق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة في سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٦م) وثابر على تعليمه به حتى أحرز شهادة التطويح سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) وسمي عدلاً مبرزاً، وابتداءً من سنة (١٩٠٠م) إلى سنة (١٩٣٢م) أقبل على التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية كمدرس من الدرجة الثانية، فمدرساً من الدرجة الأولى سنة (١٩٠٥م)، ثم عضواً مؤسساً للجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة سنة (١٩١٠م)^(٣).

والتحق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بالقضاء سنة (١٩١١م) فكان عضواً بالمحكمة العقارية وقاضياً مالكيًا، ثم مفتياً مالكيًا سنة (١٩٢٣م) فكبير المفتين سنة (١٩٢٤م) فشيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة (١٩٣٢م)، وقد باشر كل هذه المهام بمهارة ودقة علمية نادرة، وبنزاهة وحسن نظر، فكان حجة ومرجعاً فيما يقضي به، سمي شيخ جامع الزيتونة وفروعه لأول مرة في سبتمبر

(١) ابن عاشور ومنهجه في التفسير: عبد الله بن إبراهيم الرئيس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٠٨ هـ، ١٦٤/١.

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩.

عام (١٩٣٢ م) بعد أن اشترك في إدارة الكلية الزيتونية^(١).

شيوخه:

ومن أشهر شيوخه^(٢):

١. مصطفى رضوان السوسي .
٢. حمد جمال الدين الفقيه .
٣. الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد بو عتور .
٤. عمر بن أحمد بن علي بن حسن: المعروف بابن الشيخ .
٥. الشيخ محمد بن عثمان النجار .
٦. صالح بن محمد الشريف الجزائري .
٧. سالم بن عمر بو حاجب البنبلي .
٨. محمد النخلي القيرواني .
٩. إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني .

تلاميذه:

كان الشيخ ابن عاشور من الأعلام البارزين الذين درسوا في جامع الزيتونة، وأقرؤوا كتباً عدة من أمهات الكتب، وتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء والمصلحين، فيما يلي أبرزهم^(٣):

- ١- الشيخ عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس .
- ٢- محمد الصادق بن محمد الشطي .
- ٣- زين العابدين بن حسين .
- ٤- محمد بن خليفة بن حسن بن الحاج المشهور بالمدني .
- ٥- أبو الحسن بن شعبان الأديب الشاعر .

(١) جامع الزيتونة المعلم ورجاله: محمد العزيز ابن عاشور، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩١ م. ص ١٢٥.

(٢) تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م ٣٦٥/٢.

(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٣٥.

- ٦- محمد الفاضل وهو ابن محمد الطاهر بن عاشور .
٧- محمد البشير ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن أحمد النيفر^(١).

مؤلفاته:

ساهم ابن عاشور في إثراء المكتبة الإسلامية بالذخائر والنفائس، حتى وصلت مؤلفاته إلى الأربعين، وهي غاية في الدقة العلمية، وتدلل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلها كتابه في التفسير: التحرير والتنوير

ولا تزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطة، وفيما يلي أشهرها^(٢):
تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،
اختصر هذا الاسم فسماه: التحرير والتنوير^(٣)، وهو أول تفسير كامل يصنف في تونس على مر التاريخ.

١. تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع .

٢. النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح .

٣. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ .

٤. الأمالي على مختصر الخليل .

٥. الفتاوى .

٦. قضايا وأحكام شرعية .

٧. مقاصد الشريعة الإسلامية .

٨. الوقف وآثاره في الإسلام .

٩. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام .

(١) تراجم المؤلفين التونسيين ٦٧/٥ .

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص: ٤٢ .

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ - ٦٦/٥ .

وفاته:

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد (١٣) رجب (١٣٩٤هـ - ١٩٧٣م)، ووري الثرى رحمه الله بمقبرة الزلاج من مدينة تونس^(١).

وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً ومن ذلك ما نعته به صديقه الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر قوله: "وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان. ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة . . . كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقيّة من كل خاطر سيئ، وهمة طمّاحة إلى المعالي، وجداً في العمل لا يمسّه كلل، ومحافظّة على واجبات الدين وآدابه . . . وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"^(٢).

المطلب الثاني

وصف الكتاب وبيان منهج المؤلف فيه

يعد كتاب (التحرير والتنوير) واسمه (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل المجيد من تفسير الكتاب المجيد) من أشهر كتب التفسير في العصر الحديث، يقع في ثلاثين جزءاً طبع في دار الكتب الشرقية، وفي الدار التونسية للنشر، والطبعة التي بين يدي الباحث تقع في خمسة عشر جزءاً لدار سحنون للنشر والتوزيع في تونس، وقد أبان ابن عاشور في تمهيدته لهذا التفسير عن الباعث على تأليف الكتاب فقال: "كان أكبر أمنيّتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعاً

(١) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص: ٤٩.

(٢) تونس وجامع الزيتونة: محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ص ١٢٥.

في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع ، وتفصيل من مكارم الأخلاق ، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره ، أو مطالعة كلام مفسره ^(١) .
خصائص ومميزات الكتاب :

اشتمل تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من (٤٠) عاما، وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها؛ حيث بين أن الاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ماله من نفاذ، ووصف تفسيره بأنه احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفسير ^(٢) .

وصدّر ابن عاشور تفسيره بمقدمات في علوم القرآن، اشتملت هذه المقدمات على كل ما يحتاج إليه المفسر، حتى لا يضل ولا يزل عن المنهج السليم عند تفسيره لكتاب الله العظيم، وجعل المقدمات قسما من الجزء الأول من التحرير، تناول فيه عدداً من القضايا المهمة، وهي ^(٣) :

الأولى: في التفسير والتأويل، ومعنى كل منهما.

الثانية: في استمداد علم التفسير، ويريد به العلوم التي يستمد منها علم التفسير.

الثالثة: في بيان موقفه من التفسير بالرأي، وعدم الاقتصار على التفسير بالمأثور.

الرابعة: في بيان مقاصد القرآن التي يجب على المفسر أن يبرزها في تفسيره.

الخامسة: في أسباب النزول وبيان أهميتها في التفسير.

السادسة: القراءات وبيان علاقتها بالتفسير.

السابعة: قصص القرآن وبيان فوائدها، وفوائد تكرارها.

الثامنة: في بيان اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها، وعدد الآي

(١) التحرير والتنوير ٥/١ .

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٥٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٧/١ .

ووقوف القرآن.

التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها، وإن كثرت.
العاشرة: في إعجاز القرآن ووجوه الإعجاز، وأقوال العلماء فيه، ومبتكرات
القرآن، وعاداته.

منهج المؤلف في الكتاب:

يلاحظ الباحث في الكتاب أن مؤلفه كان ينتهج فيه المنهج التالي:

١. يذكر أولاً اسم السورة معتمداً في ذلك على ما ورد في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضي الله عنهم، وما هو مكتوب في المصاحف القديمة، أو بطريق الاستنباط^(١).
٢. بعد أن يعرض لتسمية السورة، ينتقل إلى الحديث عن مكية السورة أو مدنيتهما، ذكراً للخلاف ومرجعاً ما يختاره، مبيناً تاريخ النزول وعداها بين سور القرآن الكريم المكية والمدنية^(٢).
٣. ثم يعرض المعلومات التفصيلية للآيات، وهو حين يفسرها يحرص على تفسير كل مجموعة آيات ذات موضوع واحد تحت مقطع واحد^(٣).
٤. حرص على توضيح المشكل والغريب في المتن^(٤).
٥. كما تعرض لتخريج الأحاديث والآثار^(٥).
٦. اعتنى بترجمة الأعلام وضبطها يذكر ذلك في الحاشية^(٦).
٧. وقد حرص كذلك على التعريف بالأماكن والقبائل، أحياناً في المتن، وأحياناً في الحاشية^(٧).

(١) التحرير والتنوير ٥/٧.

(٢) المرجع السابق ٦١١/١٥.

(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٥٧.

(٤) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٢.

(٥) المرجع السابق ٢٢٦/٧.

(٦) المرجع السابق ١٣٤/١.

(٧) المرجع السابق ٦٧٥/١.

المبحث الثاني دراسة مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير المطلب الأول

مصادر القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية وعلومها

لا شك أن المصادر تعتبر النواة الأولى للمفسر سواء كانت هذه المصادر تلقياً عن الشيوخ أو متمثلة في الكتب التي استفاد منها في كتابة التفسير، ومن خلال قراءتي لهذا التفسير وتتبع محتواه العلمي وجدت أن ابن عاشور نهج في الإشارة إلى مصادر ومراجعته التي استقى منها معلوماته الطرق التالية^(١):

- إنه أحياناً يصرح بذكر اسم الكتاب ولا يشير إلى اسم المؤلف.
- وأحياناً يصرح باسم المؤلف ولا يصرح باسم المصدر.
- وأحياناً أخرى يصرح باسم المصدر والمؤلف جميعاً.

وقد أشار الشيخ في مقدمته إلى أهم كتب التفسير التي رجع إليها واستعان بها، وهو يرى أنها أهم كتب التفسير المعول عليها من وجهة نظره حيث يقول: "والتفاسير - وإن كانت كثيرة - فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لاحظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير: تفسير الكشاف والمحزر الوجيز لابن عطية ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي، والقزويني، والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقاً على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفسير الأحكام، وتفسير

(١) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٩٨.

الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون^(١).

١. مصادره في التفسير وعلوم القرآن:

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٢).

ويعرّف القرآن الكريم بأنه هو كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي^(٣)، وهذا القرآن، عني "بالنبوة والرسالات والرسول، والذين يقرؤونه قراءة فهم وتدبر، وبحث متعمق في معانيه، وحقائقه الكونية، وعقائده، وتشريعاته، ونظمه الاجتماعية، وأخلاقياته. . . فلا تكتمل حقيقة إيمان مؤمن، إلا بمعرفة النبوة والإيمان بها، وتقديرها حق قدرها"^(٤).

ولابد لأي باحث يريد أن يصنف في أي علم من العلوم أن يجعل من القرآن الكريم مصدراً أساسياً له، فقد وفر القرآن الكريم قدراً عظيماً من الأخبار الصحيحة الكثير من الموضوعات وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولا ريب في ذلك فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى

(١) التحرير والتنوير ٧/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم ١٣/١.

(٣) مباحث في علوم القرآن: الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة وهبة، القاهرة ص ١٦.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة

الأولى، ١٢/١، ١٩٩٦م.

المنزل على نبيه لفظاً بطريقة الوحي ولا يأتيه الباطل، وقد وعد الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، واعتمد ابن عاشور على شروح الكشاف لكل من الجرجاني^(١) والتفتازاني^(٢)، كما رجع أيضاً لابن كثير في تفسيره^(٣)، وكذلك البغوي في تفسيره^(٤).

واعتمد ابن عاشور أيضاً على كتب الأحكام في تفسير القرآن لكل من ابن العربي^(٥)، والخصاص^(٦).

كما اعتمد في مجال علوم القرآن اعتماداً كبيراً على السيوطي في "الإتقان"^(٧)، والواحدي في "أسباب النزول"^(٨).

٢. مصادره في القراءات:

القراءات جمع وهي مصدر قرأ، وهي الجمع والضم، وسمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها"^(٩).

وذكر الزركشي أن القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفيئتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"^(١٠).

وتم تعريف علم القراءات بأنه "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع"^(١١).

(١) التحرير والتنوير ١/١٣٥.

(٢) المرجع السابق ١/٢٥١.

(٣) المرجع السابق ٢/٣٤٠.

(٤) المرجع السابق ١/٥٢.

(٥) التحرير والتنوير ١/٢٥٣.

(٦) المرجع السابق ٤/١٤٩.

(٧) المرجع السابق ٧/٣١٦.

(٨) المرجع السابق ٢/١٩٧.

(٩) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ١/٦٤.

(١٠) البرهان في علوم القرآن ٢/١٣٨.

(١١) لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان وزميله، مصر، القاهرة، لجنة إحياء العدد الحادي والعشرون - صفر ١٤٤٣هـ / سبتمبر ٢٠٢١م ﴿٧٧﴾

ولعلم القراءات ثمرة وفائدة كبيرة تتمثل في العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها من التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به^(١).

واعتمد ابن عاشور في ذكر بعض القراءات على كتب السنة المشهورة كصحيح البخاري^(٢) وسنن الترمذي^(٣)، كما رجع إلى كتاب "السبعة" لابن مجاهد وقد نصّ عليه في تفسيره^(٤)، و"حرز الأمانى ووجه التهاني" للشاطبي^(٥)، وكذلك "الدرر المضيئة في القراءات الثلاث" المتممة للعشر لابن الجزري^(٦)، و"غيث النفع في القراءات السبع" للشيخ علي النوري الصفاقسي^(٧)، كما أخذ القراءات من كتب التفسير ومن ذلك: كتاب "الكشاف" للزمخشري^(٨)، و"المحرر الوجيز" لابن عطية^(٩).

٣. مصادره في الحديث النبوي:

نعلم أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي التي جمعت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقاريراته، وصفاته الخلقية والخلقية^(١٠)، وتأتي أهمية كتب السنة النبوية المطهرة في أنها توضح العقائد، والآداب الإسلامية، وكثيراً من الأحكام التعبدية، والتشريعية، والأخلاقية، وأكثر المصادر التي اعتمد عليها في الحديث: صحيح البخاري^(١١)

التراث الإسلامي، ١٣٩٢هـ، ١/١٧٠.

(١) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها: محمد سالم محيسن، من طريق طيبة للنشر، دار الأنوار، ط١٣٨٩هـ، ٢، ١٩٧٨، ص: ١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١/١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١/١٧٥.

(٤) المرجع السابق ٦/١٦.

(٥) المرجع السابق ٣٠/٥٧٩.

(٦) المرجع السابق ٢٣/٣٥٢.

(٧) المرجع السابق ٢٩/٣٣٨.

(٨) المرجع السابق ٢/٤٣٤.

(٩) المرجع السابق ٣٠/٦٣١.

(١٠) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، القاهرة ص ١٥.

(١١) التحرير والتنوير ١/٩٠.

وصحيح مسلم^(١)، والنسائي^(٢)، والترمذي^(٣)، وأبو داود^(٤)، وموطأ مالك^(٥)، ومسند أحمد بن حنبل^(٦) ومعجم الطبراني^(٧) ومسند البزار^(٨) وسنن البيهقي^(٩) والدارقطني^(١٠)، ومن أكثر هذه المصادر التي اعتمد عليها الشيخ كثيراً في تفسيره: البخاري ومسلم وموطأ مالك.

المطلب الثاني

مصادره في الفقه والأصول العقيدة وعلم الكلام واللغة والنحو

١. مصادره في الفقه والأصول:

الفقه هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهاً لأنه لا يخفى عليه شيء^(١١).

وأصول الفقه باعتباره علمًا ولقبًا على الفن المعروف يمكن تعريفه بأنه: "أدلة الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها، وحال الاستفادة"^(١٢).

أكثر ابن عاشور من النقل كثيراً عن الإمام مالك^(١٣)، كما اعتمد في

(١) المرجع السابق ١١٥/٦.

(٢) المرجع السابق ٦٣٤/١.

(٣) المرجع السابق ٨٨/١.

(٤) المرجع السابق ٣٤/٥.

(٥) المرجع السابق ١٨٣/٥.

(٦) المرجع السابق ١٤٢/١.

(٧) المرجع السابق ٦٦٢/١.

(٨) المرجع السابق ٢٥/٩.

(٩) المرجع السابق ٢٤٦/٧.

(١٠) المرجع السابق ٤١٢/٢.

(١١) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري ص ٢١٦.

(١٢) شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م ٤٤/١.

(١٣) التحرير والتنوير ١٨٣/٥.

استشهاداته الفقهية وتأييده على كل من ابن رشد في "بداية المجتهد"^(١)، و"الهداية" في الفقه^(٢)، وأبو بكر بن العربي في "أحكام القرآن"^(٣)، كما اعتمد أيضاً على ابن حزم في "المحلى"^(٤)، والجصاص في تفسير "آيات الأحكام"^(٥)، والإمام الشافعي^(٦)، والقرافي في "أنوار الفروق"^(٧) والشاطبي في "الموافقات"^(٨).

٢. مصادره في العقيدة وعلم الكلام:

العقيدة هي العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية^(٩).

وأطلق كثير من السلف على العقيدة الصحيحة اسم "السنة"، وذلك لتميزها عن عقائد ومقولات الفرق الضالة، لأن العقيدة الصحيحة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة مستمدة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، التي هي مبينة للقرآن الكريم، وفي العقيدة وعلم الكلام اعتمد ابن عاشور على كتاب "الإحياء" للغزالي^(١٠) وكذلك "المنقذ من الضلال"^(١١).

وهناك أسماء كثيرة نهل الشيخ منها على سبيل المثال لا الحصر الجلال الدواني في شرح "ديباجة هياكل النور"^(١٢)، والسهروردي في "هياكل النور

(١) المرجع السابق ١/١٤٠.

(٢) المرجع السابق ١/٩٩.

(٣) المرجع السابق ٢/٩.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٣٤.

(٥) المرجع السابق ١/٥٣٧.

(٦) المرجع السابق ٢/١٤.

(٧) المرجع السابق ٢/١٦٢.

(٨) المرجع السابق ٣/١٥٦.

(٩) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة : حياة بن محمد بن جبريل ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ١/٤٥.

(١٠) التحرير والتنوير ٤/٩٤.

(١١) المرجع السابق ٣٠/٤٧٦.

(١٢) المرجع السابق ٣/٢١٤.

وحكمة الإشراف^(١) و" حل الرموز ومفاتيح الكنوز" للعز بن عبد السلام^(٢)، و" شرح المقاصد" لسعد الدين التفتازاني^(٣)، و" العواصم من القواصم" لابن العربي^(٤).

٣. مصادره في اللغة والنحو:

كان البحث اللغوي عند العرب أداة لفهم الدين، وقد ارتبط منذ نشأته بالبحث في لغة القرآن الكريم، وظل هذا الارتباط قائماً في الدوائر العلمية على مدى القرون. وظهر هذا بصفة خاصة عند المؤلفين المسلمين من غير العرب، مثل الثعالبي وأبي حاتم الرازي والخوارزمي والتهانوي. فالثعالبي يرى العربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين^(٥)، ومصادر ابن عاشور في اللغة والنحو كثيرة ومتنوعة من أبرزها: " دلائل الإعجاز"^(٦)، و" أسرار البلاغة" للجرجاني^(٧) و" الكتاب" لسيبويه^(٨)، و" مفتاح العلوم" للسكاكي^(٩)، و" شرح المفصل" لابن الحاجب^(١٠) و" الأشباه والنظائر" للسيوطي^(١١).

ومما سبق يتضح للباحث كثرة وتنوع المصادر التي اعتمد عليها ابن عاشور في تأليف تفسيره، وهذه الكثرة من المصادر وتنوعها أتاحت لابن عاشور أن يعرض المسائل والقضايا على أكثر من وجه، ويحدد مواطن الاختلاف، أو

(١) المرجع السابق ١٥٩/٢.

(٢) المرجع السابق ١٣٤/١.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩/١.

(٤) المرجع السابق ٢٩/١.

(٥) فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ص ١٥.

(٦) التحرير والتنوير ٢٤٤/١.

(٧) المرجع السابق ١٠٦/١.

(٨) التحرير والتنوير ٢١١/١.

(٩) المرجع السابق ١٤٥/٢.

(١٠) المرجع السابق ٣٥٣/١.

(١١) المرجع السابق ٧٠/٢٢.

الاتفاق معها، مما جعله ينفذ من خلالها ليصل إلى ما يرتضيه ويطمئن إليه، وهو لا يفعل ذلك إلا بعد تحليل ورد الشيء إلى أصله، وليس رائده في ذلك جمع الآثار والأقوال وحشو كتابه بالغث والثمين، ولكنه يقوم من خلال ما استعان به من وسائل التفسير سواء التفسير بالرواية أم الدراية بالتبع والاستقصاء واستقراء كل ما قيل حول الآية تقريباً، ولا ينتقل إلى تفسير الآية التالية إلا بعد أن تكون الآية السابقة قد أوضحت معناها وحدد مبناها، وكشف كثيراً من عجائبها وأسرارها.

خاتمة

نتائج البحث:

١. برع ابن عاشور في التأليف وترك لنا مؤلفات غاية في الدقة العلمية، وتدلل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلها كتابه في التفسير التحرير والتنوير .
 ٢. اعتمد ابن عاشور في تأليف تفسيره التحرير والتنوير على الكثير من المصادر والموارد وقد تنوعت وشملت كافة ضروب العلم والمعرفة كالتفسير وعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف والفقه والأصول واللغة العربية بشتى ضروبها .
 ٣. كان تعدد المصادر وتنوعها وقبول ما جاء فيها أو رفضه بعيداً عن روح التقليد الركيزة الأولى التي اعتمد عليها منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير .
 ٤. كان من منهج ابن عاشور في الغالب التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة مع اسم المؤلف خاصة عند اعتماده على كتبه المؤلف .
 ٥. كان من منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة دون ذكر اسم مؤلفه .
 ٦. ومن منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب .
 ٧. ومن منهج ابن عاشور في تفسيره أيضاً عدم التصريح باسم المؤلف أو اسم الكتاب .
- أهم التوصيات:

في الختام يرى الباحث ضرورة العناية بالآتي:
أولاً: أن تتم دراسة جهود ابن عاشور في إبراز علوم القرآن من خلال تفسيره
التحرير والتنوير .
ثانياً: إخراج كتب ابن عاشور المخطوطة وتحقيقها، ثم طباعتها ليستفيد منها
طلبة العلم.
ثالثاً: أن يقوم أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين مصادر وموارد ابن عاشور في
تفسير وبين مصادر وموارد أحد المفسرين الآخرين، والله الموفق .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن عاشور ومنهجه في التفسير: عبد الله بن إبراهيم الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ.
٣. الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: حياة بن محمد بن جبريل، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م.
٤. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٥. بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة الرافضة: خالد بن أحمد الشامي، من دون ناشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م.
٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
٧. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري.
٨. تونس وجامع الزيتونة: محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م.
٩. جامع الزيتونة المعلم ورجاله: محمد العزيز ابن عاشور، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩١ م.
١٠. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.
١١. دائرة المعارف التونسية: إشراف أحمد خالد ومحمد الطالبية وعبد القادر المهيري، تونس: بيت الحكمة، ط ١، ١٩٩٠ م.

١٢. شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
١٣. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور: بلقاسم الغالي، بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
١٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .
١٥. فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
١٦. واعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
١٧. لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان وزميله، مصر، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٢هـ .
١٨. مباحث في علوم القرآن: الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة وهبة، القاهرة .
- ١٩ / مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م .
٢٠. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها: محمد سالم محيسن، من طريق طيبة للنشر، دار الأنوار، ط ١٣٨٩، ٢هـ، ١٩٧٨ م .
٢١. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، القاهرة .

صفات الجن في القرآن الكريم

د. محمد حسن محمد عبدالرحمن

ملخص

يبين هذا البحث صفات الجن في القرآن الكريم من مبدأ خلقه والاستعاذة منه، وبطلان الإلوهية، وعدم علم الجن بالغيب، وكفر بعض الجن، وعبادة الإنس للجن، وتكليف الجن، وتلبس الجن بالإنسان. منهج البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي. وقد خلص هذا البحث لعدد من النتائج أهمها أن العلماء اتفقوا على أن وجود الجن حق، والجن مكلفون بلا خلاف، إلا ما حكي عن بعض الحشوية، أنهم مضطرون إلي أفعالهم، وليسوا بمكلفين. ومن توصيات البحث أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فسدوا مجاريه بتلاوة القرآن، وعلى طلاب العلم عدم إعطاء هذا الأمر أي عالم الجن أكثر مما يستحق فيشغلوا أنفسهم بأساطير وترهات لا أصل لها، وليكتفوا بما جاء عن الجن في القرآن، والأحاديث الصحيحة.

• أستاذ مشارك - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان.

Abstract

This study clarified the Characteristics of Jinn in the Holy Quran in terms of Principle of its Creation and Praising Allah from Him, and Nullification of its deity, Lack of Jinn's knowledge about the unseen, disbelief of some Jinn, the human's worship to Jinn, entrusting of Jinn, Jinn' possession to the human. The study used the inductive descriptive analytic method. This study concluded to a number of findings, the most important of which is that the scholars are agreed upon that existence of Jinn is right, Jinn are authorized without any difference, except what has been narrated about Al-hashwiya, «text interpreters» that they are compelled to their actions, and they are unauthorized. The study recommends that devil «Satan» runs into veils of the human like the blood, so block its tracts by recitation of the Holy Quran, the students who seeking knowledge should pay more attention to this matter, i. e. the World of Jinn other than involvement of themselves into baseless myths and imaginary falsifications, they should suffice to what is stated about Jinn in the Holy Quran and the true Hadiths.

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على صفوة الخلق سيد ولد آدم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) المبعوث رحمة للعالمين. فإن عالم الجن عالم خفي ملئ بالأسرار ويحسن بنا معرفته الاطلاع على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن هذا من علم الغيب فالجن منهم الكافر ومنهم المسلم، لذا يجب توخي الحذر مع الجن، فالصراع يبدأ بين الإنس والجن بمجرد ولادة الإنسان وخروجه إلى الدنيا فان الشيطان يهزمه في خاصرته كما دلت بعض الآثار، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

فالموضوع من الأهمية بمكان، وذلك لجهل الناس بهذا العالم الخفي فكان لابد من تثبيت حقيقة هذا العالم، فالجن يعيشون معنا، وأن رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) جاءت للإنس كما هي للجن.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع من الآتي:

١. أن الجن يشارك الإنس في هذه الحياة، فينبغي معرفة هذا العالم لتوخي الحيطة والحذر وخصوصاً الجن الكافر.
٢. معرفة كيفية التعامل مع عالم الجن كما بين القرآن الكريم.
٣. خفاء عالم الجن على الكثير من الناس، فلابد من تسليط الأضواء الكاشفة لمعرفة هذا العالم الخفي.

أسباب اختيار الموضوع:

١. خطورة الصراع بين الجن والإنس والوقوف على أهم أسبابه.
٢. تقديم دراسة مستفيضة تحيط بكل جوانب هذا الموضوع لتوقّي هذا الخطر.

٣. بيان كيفية تعامل السلف الصالح مع عالم الجن متمثلاً في النبي صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث:

١. بيان صفات الجن في القرآن الكريم.
٢. معرفة الهدى القرآني والنبوي في هذا الخصوص.
٣. التمييز بين شياطين الإنس وشياطين الجن، لأن الغواية والضلال قد تأتي من أي الفريقين.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي.

هيكل البحث:

- هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة شملت أهم النتائج والتوصيات.
- المبحث الأول: خلق الجن.
 - المبحث الثاني: الاستعاذة بالله من الجن.
 - المبحث الثالث: بطلان أولوهية الجن.
 - المبحث الرابع: عدم علم الجن بالغيب.
 - المبحث الخامس: كفر بعض الجن.
 - المبحث السادس: عبادة الإنس للجن.
 - المبحث السابع: تكليف الجن.
 - المبحث الثامن: تلبس الجن بالإنسان.
- خاتمة.

المصادر والمراجع.

المبحث الاول

خلق الجن

لابد لمعرفة هذا العالم من بيان المادة التي خلق الله منها الجن لانعكاس أصل الخلق على خلق المخلوق، وكان أصل خلق الجن من النار، حيث ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِحٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، وقال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، (قال أنا خير منه) أي منعني من السجود فضلي عليه فهذا من إبليس جواب على المعنى (خلقتني من نار وخلقته من طين) فرأي أن النار أشرف من الطين، لعلوها وصعودها وخفتها ولأنها جوهر مضيء. قال ابن عباس والحسن وابن سيرين، أول من قاس إبليس فأخطأ في القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس، قال ابن سيرين: ومأعبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس قال الحكماء: أخطأ عدو الله من حيث فضل النار على الطين، وإن كانا في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق، فإن الطين أفضل من النار من وجوه أربعة:

أحدها: أن من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة والحلم والحياء والصبر، وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع، فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية. ومن جوهر النار، الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء، قاله القفال.

الثاني: أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر، ولم ينطق الخبر بأن في الجنة نارا وأن في النار تراباً.

الثالث: أن النار سبب العذاب، وهي عذاب الله لأعدائه، وليس التراب سبباً للعذاب.

الرابع: أن الطين مستغن عن النار، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب . قال القرطبي: ويحتمل قولاً خامساً وهو أن التراب مسجداً وطهوراً كما جاء في صحيح الحديث، والنار تخويف وعذاب كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال ابن عباس: كانت الطاعة أولى إبليس من القياس فعصي ربه، وهو أول من قاس برأيه والقياس في مخالفته النص مردود^(١)، قال تعالى: ﴿﴾ [الحجر: ٢٧] (والجان) هو أبو الجن كآدم أبي الناس وهو قول الأكثرين، والتركيب يدل على السيق والتوراي عن الأعين (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق آدم، قاله ابن عباس (السموم) الريح الحارة النافذة في المسام تكون في النهار وقد تكون بالليل، ومسام البدن، الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البطن، ولا شك أن تلك الريح فيها نار ولها لفتح على ماورد في الخبر أنه لفتح جهنم قال ابن مسعود: هذه السموم جزءاً من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان^(٢) ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، قال صاحب الكشاف: والجان أبو الجن وقيل: هو إبليس، والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه، وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط، فإن قيل: فما معني قوله (من نار)؟ قلت: هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة^(٣) والحق أنه لا خلاف كما دلت الآيات القرآنية في أن خلق الجان كان من نار.

مما سبق فلا تفضيل لأحد كان خلقه من النار.

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، مكتبة الايمان ج ٤، ص ٤٢٤.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٦م ج ٤، ص ٢١٩.

(٣) الكشاف: للزخشري، دار الفكر، ٢٠٠٦م ج ٤، ص ٤٥.

المبحث الثاني الاستعاذة بالله من الجن

لابد من الاستعاذة بالله عز وجل من شر الشيطان الرجيم في كل زمان ومكان، فلا ينبغي للمؤمن أن يغفل عن ذكر الله تعالى، ﴿ فَلَمَّا وَصَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْتَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

قال ابن كثير^(١): قرأ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة، وخدمة المسجد الأقصى، لأنها نذرت عندما تحققت من الحمل أن يكون مافي بطنها خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وثبت في السنة حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم)^(٢) وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قال: (وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى (عليه السلام) فاستجاب الله لها ذلك، جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مامن مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها)^(٣) ثم يقول أبو هريرة: إقرءوا إن شئتم (واني أعيدها بل وذريتها من الشيطان الرجيم). يقول أهل الطب: عندما يولد الإنسان

(١) تفسير القرآن العظيم، دار الحديث القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١٠٥/٢، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٣١٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (٣١٢٦) واحمد ٣/١٩٤.

(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٦) باب فضائل عيسى عليه السلام، ومعني نخسه أي طعنه.

يدخل الهواء إلى رئتيه فيستهل المولود بالصراخ لشعوره بالألم، ولامنفاة بين هذا وما ذكر في تفسير الآية: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وهذا خلق القران في معاملة الشيطان قال صاحب التفسير الواضح^(١). هذه معاملة الشيطان العدو اللدود فيما ينزغك منه نزغ، أو يثر فيك داعيه من دواعي الشر، كالغضب والشهوة حتى يجعلك نائراً متأثراً كتأثر الدابة إذا نخست بالمهماز، فاعلم أن العلاج هو اللجوء إلى الله والتوجه إليه بالقلب، والاستعاذة بالله من شر الشيطان ووسوسته، والانتقال من هذا الجو وتغييره بقدر الاستطاعة. جاء في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضر عند طعامه، فإذا سقطت عن أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذي ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة)^(٢).

فعلى المؤمن الحصيف أن يسبح الله في حركاته وسكناته حتى يغلق جميع الطرق ومداخل النزغ والوسوسة.

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، الرقازيق، (بدون)، ج ١، ص ٧٩٨.

(٢) رواه مسلم في الاثرية (٢٠٣٣) باب استحباب لعق الاصابع والقصة.

المبحث الثالث بطلان ألوهية الجن

إن الألوهية لله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فإن الشرك من أعظم الذنوب المخددة لصاحبها في النار وهذه الصفة لا يوصف بها أحد غير الله تعالى، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قال القرطبي^(١): وهذا ذكر نوع آخر من جهالتهم، أي فيهم من اعتقد لله شركاء من الجن (وخلقهم) أي خلق الجاعلين له شركاء، وقيل: خلق الجن الشركاء، والآية نزلت في مشركي العرب، ومعنى إشراكهم بالجن أنهم أطاعوهم كطاعة الله عز وجل قال قتادة والسدي: هم الذين قالوا الملائكة بنات الله، وقال الكلبي: نزلت في الزنادقة قالوا: إن الله وإبليس أخوان، فالله خالق الناس والدواب، وإبليس خالق الجن والسباع والعقارب. ويقرب من هذا قول المجوس فإنهم قالوا: للعالم صانعان إله قديم والثاني شيطان حادث من فكرة الإله القديم، وزعموا أن صانع الشر حادث، وكذا الحائطية من المعتزلة من أصحاب أحمد بن حائط زعموا أن للعالم صانعين الإله القديم والأخر مُحَدَّث، خلقه الله عز وجل أولاً ثم فوض إليه تدبير العالم؛ وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، تعالي الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً (وخرقوا) قراءة نافع بالتشديد على التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن لله بنات وهم الملائكة وسموهم جنناً لاجتنانهم، والنصارى ادعت أن المسيح ابن الله، واليهود قالت عزيز ابن الله فكثرت ذلك من كفرهم فَشُدِّدَ الفعل لمطابقة المعنى، تعالي الله عما يقولون. وقرأ الباقون بالتخفيف على التقليل، وسئل الحسن البصري عن معني (وخرقوا له) بالتشديد فقال: إنما هو (وخرقوا) بالتخفيف، كلمة عربية كان

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٣٣٨.

الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة، وقال أهل اللغة، معنى (خرقوا) اختلفوا وافتعلوا (وخرقوا على التكثير، قال مجاهد وقتادة وغيرهم (وخرقوا) كذبوا، يقال إن معنى خرق واخترق واختلق سواء، أي أحدث. وعليه يجب الاحتراز من كل ما يؤدي إلى الشرك جلياً كان أم خفياً، وما أكثر أنواع الشرك الخفي ومنه اعتقاد النفع والضرب غير الله.

المبحث الرابع عدم علم الجن بالغيب

لا يعلم الغيب إلا الله، وهذا من عقيدة المسلم الثابتة والراسخة، ولا يوصف مخلوق بهذه الصفة أبداً، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

قال المفسرون: كانت الإنس تقول: إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد، فوقف سليمان في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه فمات، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، ولا تعلم بموته حتى أكلت الأرض^(١) عصا سليمان فخرّ فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب، وقيل أن الجن كانت تتوهم باستراقها السمع أنها تعلم الغيب، فعلمت حينئذ خطأها في ظنها^(٢).

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا • إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. (عالم الغيب) فيه أربعة أوجه: أحدها: عالم السر، قاله ابن عباس.

الثاني: مالم تروه مما غاب عنكم، قاله الحسن.

الثالث: أن الغيب القرآن، قاله ابن زيد.

الرابع: أن الغيب القيامة وما يكون فيها، حكاه ابن أبي حاتم. (فلا يظهر عليه احداً إلا من ارتضى من رسول).

(١) جمع الارضة أرض وارضات مثل قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ وقصبات، والارضة دويبة تأكل الخشب، المصباح المنير، لأحمد بن محمد علي الفيومي، دار الحديث، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠ م، ص ١٣.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م، ج ٦، ص ٢٣٦.

أحدها: إلا من ارتضي من رسول هو جبريل، قاله ابن جبير.
الثاني: إلا من ارتضي من نبي فيما يطلعه عليه من غيب، قاله قتادة^(١).
قال القرطبي: قال العلماء: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى ممن ارتضاه من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، جعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول، فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه^(٢).
وما أكثر هؤلاء في عالم اليوم من الذين يدعون زوراً وبهتاناً وإفكاً أنهم يعلمون الغيب ونجد أن الله تعالى توعد هؤلاء بالألقاب عنهم صلاة أربعين يوماً، وأنهم قد كفروا بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم).

(١) النكت والعيون: تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ج ٦، ص ١٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٩٨.

المبحث الخامس

كفر بعض الجن

دلت آيات الكتاب والكثير من الأحاديث والآثار على كفر بعض الجن، فهناك الجن المسلم، وهناك الجن الكافر، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

(ويوم يحشرهم) قال صاحب غرائب القرآن^(١): والمراد واذكريوم كذا، أو يوم نحشرهم قلنا والضمير إما أن يعود إلى الشياطين، أو يعود إلى جميع المكلفين الذين علموا أن الله تعالى يبعثهم من الثقيلين وغيرهم، ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما أنه الحاشر لجميعهم، وهذا القول منه تعالى بعد الحشر، لا يكون إلا للتبكيك وإنهم وإن تمردوا في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة إلى الاستسلام والانقياد والاعتراف، قال الزجاج: التقدير فيقال لهم (يامعشر الجن) لأنه يبعد أن يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]. (قد استكثرت ثم من الإنس) لا بد فيه من إضمار لأن الجن أي الشياطين لا يقدر على الاستكثار من نفس الإنس، فالمراد قد استكثرت من إضلال الإنس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير، كما يقال: استكثر الأمير من الجنود (وقال أولياؤهم من الإنس) فالأقرب عند بعضهم أن فيه حذفاً فكما قال للجن تبكيكاً، ناسب أن يقول للإنس أيضاً مثل ذلك توبيخاً، لأنه حصل من الجن الدعاء ومن الإنس القبول، ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الإنس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) وفيه قولان:

(١) غرائب القرآن وورغائب الفرقان: النيسابوري، ج ٣، ص ١٦٤.

القول الأول: ان المراد استمتع الجن بالإنس والجن بالجن، وعلي هذا ففي الاستمتاع وجهان: أحدهما: أن الرجل كان إذا سافر فأمسي بأرض منفرداً وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبييت آمناً في نفسه، فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس فهو أن الإنسي إذا عاذ بالجنني كان ذلك تعظيماً منهم للجن، وذلك الجنني يقول: قد سُدت الجن والإنس؛ لأن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه، وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وثاني الوجهين: أن الإنس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم، فصار الجن كالرؤساء والإنس كالأتباع، فانتمعوا بالإنس انتفاع الرئيس بالخدام، واما انتفاع الإنس بالجن، فهو أن دلوهم على الشهوات واللذات إلى أن بلغوا هذا المبلغ، الذي أيقنوا أنه يسوء عاقبتهم، وهذا اختيار الزجاج.

القول الثاني: أن البعضين كليهما من الإنس؛ لان استمتاع الجن بالإنس وبالعكس أمر قليل نادر (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) أي ذلك الاستمتاع كان حاصلًا إلى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع، وما ذلك الأجل؟ قيل هو: وقت الموت، وقيل: هو وقت التخلية والتمكين، وقيل: وقت المحاسبة في القيامة. قال تعالى في جوابهم (النار مثواكم) أي مقامكم ومقركم (خالدين فيها) حال، والمعني النار أهل ان يقيموا فيها خالدين.

وكما اتصف بعض الجن بالكفر، كذا اتصف بعض الإنس به، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

المبحث السادس عبادة الانس للجن

إن من معاني العبادة الانقياد والطاعة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤]، وردت هذه الآية في قصة سيدنا ابراهيم وهو ينهي أباه عن عبادة الشيطان فقال: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ أَي لَا تَطْعُهُ فِي عِبَادَتِكَ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَإِنَّهُ هُوَ الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ وَالرَّاضِي بِهِ كَمَا ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [النساء: ١١٧] وقال: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤]، أي مخالفاً مستكبراً عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه فتصير مثله^(١) وقال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ مُمُؤِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤١]، قال النيسابوري^(٢)، ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله (ويوم يحشرهم) وفي خطاب الملائكة تفريع الكفار وتقرير لما يعرفهم من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك، كما مر في قوله لعيسى قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي الْهَيْبَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] (قالوا سبحانك) ننزهك عن أن نعبد غيرك أنت، الذي نواليك ونعادي غيرك في شأن العبادة (بل كانوا يعبدون الجن) حيث أطاعوهم في عبادة غيرك، فهم كانوا يطيعونهم

وكنا نحن كالقابلة، أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا: هذه

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٢م، ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) غرائب القرآن، ج ٥، ص ٤٩٩.

صور فاعبدوها أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيُعبدون بعبادتها وإنما قالوا (أكثرهم بهم مؤمنون) وما ادعوا الإحاطة لأن الذين رأوهم، وأطلعهم الله على أحوالهم كانوا كذلك، ولعل في الوجود من لا يطلع الملائكة عليه من الكفار، وأيضاً أن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطن، والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس إلا لله وحده، فراعوا الأدب الجميل والحكم على الظاهر أكثرى. ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وقال كردم بن أبي السائب: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من الغنم، فقال الراعي: يا عامر الوادي أنا جارك، فنادى مناد ياسرحان أرسله، فأتى الحمل يشدد، وأنزل الله تعالى علي رسوله (صلى الله عليه وسلم) بمكة (وانه كان رجال...) الآية (فزادهم رهقاً) أي زاد الجن الإنس (رهقاً) أي خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، والرهق؛ الإثم في كلام العرب وغشيان المحارم، ورجل رهق إذا كان كذلك ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]، وأضيفت الزيادة إلى الجن اذ كانوا سبباً لها، وقال المفسرون: ازداد الإنس بهذا خوفاً من الجن، وقال سعيد بن جبير: كفراً، ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك، وقيل: لا يطلق لفظ الرجال على الجن، قال القشيري: وفي هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجن^(١).

وهذه هي إحدى صفات الكفر والشرك الكثيرة والتي لا تخفى على

أحد.

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٨٥.

المبحث السابع

تكليف الجن

ما من مخلوق في هذا الوجود إلا وخلق الله لعبادته، فالجن والإنس يستويان في ذلك، كما دلت على ذلك الكثير من آيات القرآن الكريم، حيث ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال صاحب الظلال^(١): هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله أو هي العبودية لله، أن يكون هناك عبد ورب، عبد يعبد، ورب يُعبد، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار، ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر والله لا يكلفهم هذا وهو يكلفهم الواناً من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] المعشر: الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف، ومنه قيل العشرة لأنها تمام العقد.

(ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) اختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله بعث إلى الجن رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك وهو ظاهر الكلام.

والثاني: أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، ولا يكون الجمع في قوله: (ألم يأتكم رسل منكم) مانعاً من أن يكون الرسل من أحد الفريقين كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما هو خراج من أحدهما.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٣٧، ٢٠٠٨م، ج ٦، ص ٣٨٧.

الثالث: أن رسل الجن هم الذين لما سمعوا القرآن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن عباس.

وفي دخولهم الجنة قولان:

أحدهما: الجنة يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون^(١) وهذا قول الضحاك. الثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا تراباً كالبهائم حكاه سفيان عن ليث، ولا شك أن قول الضحاك أرجح لأدلة كثيرة منها قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

فظاهرها يدل على أن المطيع في الجن له الجنة والعاصي من النار، وكذلك قوله في سورة الرحمن والخطاب كان للإنس والجن ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]^(٢) (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يحتمل وجهين:

أحدهما: ينذرونكم خذلان بعضكم لبعض، وتبروء بعضكم من بعض في يوم القيامة. الثاني: ينذرونكم ما تلقونه فيه من العذاب على الكفر، والعقاب على المعاصي. (قالوا شهدنا على أنفسنا) يحتمل وجهين:

أحدهما: إقرارهم على أنفسهم بأن الرسل قد أنذروهم. الثاني: شهادة بعضهم على بعض بإنذار الرسل لهم. (وغرثهم الحياة الدنيا) فيه وجوه: أحدهما: وغرثهم زينة الحياة الدنيا، والثاني: وغرثهم الرياسة في الدنيا، ويحتمل ثالثاً: وغرثهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا^(٣).

فالتكليف يشمل كل كائن عاقل من الإنس والجن، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) النكت والعيون: ج ٢، ص ١٧٠.

المبحث الثامن

تلبس الجن بالإنسان

لا ريب أن الجن يتلبس بالإنسان، كما تشهد بذلك النصوص والأدلة حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، هذه الآية وإن وردت في تحريم أكل الربا، ولكنها دلت على مس الجن للإنسان كما قال المفسرون.

(لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) الجملة خبر الابتداء وهو (الذين) والمعنى من قبورهم، وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه، قال المفسرون في آكل الربا: يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر؛ ويقوى هذا التأويل المجمع عليه أن في قراءة ابن مسعود (لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم) قال ابن عطية: وأما ألفاظ الآية فكانت تحمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلي تجارة الدنيا بقيام المجنون؛ لأن الطمع والرغبة تستنزفه حتى تضطرب أعضاؤه؛ وهكذا كما تقول لمسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره: قد جن هذا! وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

وتصبح عن غب السرى وكأنا ألم بها من طائف الجن أولق

لكن ماجاءت به قراءة ابن مسعود وتظاهرت به اقوال المفسرين بضعف هذا التأويل (وتخبطه) يتفعله من خبط يخبط كما تقول تملكه وتعبده، فجعل الله هذه العلامة لآكلة الربا، وذلك انه ارباه في بطونهم فاثقلهم.

قال القرطبي في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وروى النسائي عن أبي اليسر قال: كان رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) يدعو فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغاً)^(١) والمس؛ الجنون يقال: مس الرجل وألس فهو ممسوس ومألوس إذا كان مجنوناً^(٢) ولعل المتعمق في المعاني يعلم أنك إذا وصفت رجلاً بالجنون، هذا دلالة على أن الجن قد أصابته حتى صار مجنوناً.

عليه فإن تلبس الجن بالإنسان صار معلوماً من مدلولات الألفاظ، كما يبدو ذلك جلياً في كلمتي (الجن) و(الجنون) كما تقدم.

(١) سنن النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، في الاستعاذة (٢٨٢/٨ - ٢٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤١٠.

خاتمة

الحمد لله قاصم الجبارين ومذل المستكبرين وهادي العالمين إلى صراط مستقيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الخلق المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد أن قمنا بحصر بعض صفات الجن المنصوص عليها في كتاب الله تعالى والأحاديث النبوية الصحيحة ندلف إلى أهم النتائج والتوصيات:
اولاً: النتائج:

- التي توصل إليها هذا البحث وهي مما أجمع عليه العلماء:
(١) اتفق العلماء على أن وجود الجن حق.
- (٢) الجن مكلفون بلا خلاف، إلا ما حكي عن بعض الحشوية^(١)، أنهم مضطرون إلى أفعالهم، وليسوا بمكلفين.
- (٣) الإجماع على ثبوت نبوة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى جميع الجن والإنس إلى يوم القيامة؛ ومن خالف ذلك كفر بالإجماع.
- (٤) إن من الجن قوماً صحبوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآمنوا به، ومن أنكر هذا فهو كافر؛ لتكذيبه القرآن، وهذا لا يختلف فيه مسلمان.
- (٥) اتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي.

ثانياً: التوصيات:

- (١) أوصي نفسي وإياكم بتقوي الله عز وجل.
- (٢) على المسلمين وخاصة طلاب العلم حفظ القرآن الكريم فهو الطريق إلى السعادة في الدارين، والتعليم في الصغر كالنقش في الحجر.
- (٣) على المسلم الحصيف أن يكون طاهراً في كل زمان ومكان ذاكراً ومسبوحاً لله تعالى.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزیز بن عبداللہ بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٦٠ باب ذكر الجن، ج ١٢، ص ٣٨١.

- (٤) إن الشيطان يجري من الإنسان مجري الدم فسدوا مجاريه بتلاوة القرآن.
- (٥) على المسلم أن يحرص على أداء الصلوات في جماعة، فإن فاتته صلاة الفجر، فذلك رجل بال الشيطان في أذنه كما جاء في الحديث .
- (٦) على طلاب العلم عدم إعطاء هذا الأمر أي عالم الجن أكثر مما يستحق فيشغلوا أنفسهم بأساطير وترهات لا أصل لها، وليكتفي بما جاء عن الجن في القرآن، والأحاديث الصحيحة.

المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٢ م.
٢. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، الزقازيق، (بدون).
٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مكتبة الإيمان.
٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٥. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.
٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٧. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.
٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
١٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دارالكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٣٧، ٢٠٠٨ م.
١٤. الكشاف: للزمخشري، دار الفكر، ٢٠٠٦ م.
١٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٦. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
١٧. النكت والعيون، تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م.

قاعدة اليقين لا يزول بالشك وأثرها على سلامة العلاقات الاجتماعية

د. أحمد محمد الفاتح منصور الصديق*

ملخص

يناقش البحث قاعدة اليقين لا يزول بالشك وأثرها على العلاقات الاجتماعية، يهدف البحث إلى ربط القواعد الفقهية بسلوك وتصرفات المكلفين، وإبراز المفاهيم الإسلامية الصحيحة المستوحاة من شرع الله، واتبع الباحث المنهج الاستقرائي لجمع الأدلة والاستقصاء، والمنهج التحليلي للتفسير والربط بين الواقع والأدلة. وخلصت الدراسة إلى أن سلامة العلاقات الاجتماعية بين الناس هدف سعت الشريعة الإسلامية لتحقيقه، وأن الشكوك والظنون والأوهام ردتها الشريعة ولم تنب عليها عقيدة أو حكماً، كما لم تثبت بها حقاً، وأن الأصل واليقين الذي تنبني عليه العلاقات الاجتماعية هو حسن الظن. وأوصت الدراسة بالتوسع في دراسة القواعد الفقهية وربطها بجميع مناحي الحياة، كما أوصت بمزيد من الدراسات لقاعدة اليقين لا يزول بالشك مثل دراسة بيان أثرها على الاستقرار النفسي.

Abstract

The research discusses rule of sureness does not go away with uncertainty and its impact on social relations, The research aims to link the rules of jurisprudence with the behavior and behavior of the adults, and to highlight the correct Islamic concepts inspired by the law of God. The researcher followed the inductive approach to collecting evidence and investigating, and the analytical approach to interpretation and linkage. The study concluded that the integrity of social relations between people is a goal that Sharia has sought to achieve, and that, doubts and illusions were rejected by the Sharia and did not give it a doctrine or a ruling, and it didn't really prove any right with it. The origin and certainty on which social relations are best founded is good intuition. The study recommended expanding the study of jurisprudence rules and linking them to all walks of life, also recommended with further studies of the sureness rule, such as a statement of their impact on psychological stability.

* عضو هيئة التدريس - قسم الفقه وأصوله - كلية الشريعة بمدني - بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم .

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم فأحسن خلقه جسداً وروحاً، ولا إله إلا الله، وحده لا شريك له ولا شيء مثله في ذاته ولا في صفاته ولا إله غيره، والصلاة والسلام على بدر التمام ومسك الختام سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الكرام .

مشكلة البحث:

دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع انعدام الدراسات أو قلتها التي تربط بين قاعدة اليقين لا يزول بالشك، والعلاقات الاجتماعية رغم ما لمست من أثر محمود لهذه القاعدة على العلاقات بين الناس إن فهمت وطبقت تطبيقاً صحيحاً، كما أن المسلم محتاج إلى أن يبني علاقته بغيره على أسس وقواعد شرعية واضحة المعالم، والقواعد الفقهية تصلح لأن تكون هذه الأسس. حدود الدراسة: تناقش هذا الدراسة قاعدة اليقين لا يزول بالشك وما يتعلق بها من مسائل العلاقات الاجتماعية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونها تدور حول قاعدة اليقين لا يزول بالشك وكونها أحد القواعد الكلية الكبرى، كما أن تناول إسقاطات القاعدة على العلاقات الاجتماعية والربط بينهما يمنح موضوع هذا البحث أهمية خاصة.

أهداف الدراسة:

- ١- ربط القواعد الفقهية بسلوك المكلفين وتصرفاتهم.
- ٢- المساهمة في بناء العلاقات الاجتماعية الإسلامية على أسس وقواعد واضحة المعالم.

٣- إبراز المفاهيم الإسلامية الصحيحة المستوحاة من شرع الله وتفوق المفاهيم الإلهية على المفاهيم الوضعية.

٤- الإسهام في تلمس سمات النظام الاجتماعي في الإسلام، وإظهار محاسن الشرع الحنيف في الأحكام المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية.
الدراسات السابقة:

الدراسات التي أفردت قاعدة اليقين لا يزول بالشك منها ما تناولت القاعدة من جهة تأصيله ومنها ما تناولتها من جهة تطبيقية وفيما يلي بعض هذه الدراسات:

١- قاعدة اليقين لا يزول بالشك دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية. تأليف د. يعقوب الباحثين، وهو كتاب تناول القاعدة بشكل عام وهي بعيدة عن موضوع البحث.

٢- قاعدة اليقين لا يزول بالشك وأثرها في العبادات والمعاملات، عفاء عثمان علي دقنة، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ١٤٣٥هـ الموافق له ٢٠١٤م، وهي دراسة عامة تناولت العبادات والمعاملات ولم تتطرق للعلاقات الاجتماعية موضوع الدراسة.

٣- قاعدة اليقين لا يزول بالشك ضوابطها وتطبيقاتها الفقهية، حمدي محمد إبراهيم سويلم، رسالة ماجستير، جامعة بنها جمهورية مصر، تناولت الدراسة بعض تطبيقات القاعدة الفقهية، والدراسة مثل سابقتها لم تتطرق لموضوع دراستي.

تميزت هذه الدراسة وتفردت عن غيرها بأنها ناقشت علاقة قاعدة اليقين لا يزول بالشك والقواعد المتفرعة عنها بالعلاقات الاجتماعية، وهذا الموضوع لم تتطرق لها دراسة سابقة فيما أعلم.
منهج الدراسة وإجراءاتها:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، أما الاستقرائي من خلال جمع وتبويب ما له صلة من العلاقات الاجتماعية بقاعدة اليقين لا يزول بالشك والقواعد المتفرعة عنها، أما المنهج التحليلي فاتبعته في تحليل وتفسير النصوص المتعلقة بالموضوع، واستنباط الرابط بين القاعدة والعلاقات الاجتماعية.
خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وتفصيلها كما يلي:
المبحث الأول: تعريف بمصطلحات البحث ومفهوم قاعدة اليقين لا يزول بالشك.
المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث.
المطلب الثاني: مفهوم قاعدة اليقين لا يزول بالشك.
المبحث الثاني: الظن علاقته وأثره على العلاقات الاجتماعية.
المبحث الثالث: أثر قاعدة اليقين لا يزول بالشك والقواعد المتفرعة عنها على العلاقات الاجتماعية.

المطلب الأول: أثر قاعدة اليقين لا يزول بالشك على إثبات النسب.
المطلب الثاني: قاعدة بقاء ما كان على ما كان، وأثرها على العلاقات الاجتماعية.
المطلب الثالث: قاعدة الأصل في الكلام الحقيقية، وأثرها على العلاقات الاجتماعية.
المطلب الرابع: قاعدة لا عبرة بالتوهم، وأثرها على العلاقات الاجتماعية.
الخاتمة: تشمل النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

تعريف بمصطلحات البحث وشرح قاعدة اليقين لا يزول بالشك

المطلب الأول

تعريف مصطلحات البحث

أولاً : تعريف القواعد الفقهية وأقسامها:

القاعدة لغة :

القاعدُ وَالْقَاعِدَةُ اصلُ الأَسِّ، وَقَعَدَتِ الفَسِيلَةُ وهي قَاعِدٌ: صار لها جِدْعٌ تَقَعُدُ عليه، وقواعد البيت أساسه^(١).

القاعدة عند الفقهاء هي: (حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه)^(٢)، وقيل هي: (أمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها)^(٣)، وعرفت كذلك: (حكم أكثرى لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه)^(٤).

وبالنظر إلى تعريفات العلماء للقاعدة الفقهية نجد لها مختلفاً في عباراتها متقاربة في مدلولاتها فهي لا تخرج عن كون القواعد الفقهية وعاء جامع لحكم شرعي عام يدخل تحته فروع متعددة، أما التباين في كونها حكم أو أمر أو قضية^(٥) فراجع للتصور الذهني للقاعدة، أما اعتبار القاعدة الفقهية كلية أم أكثرية يدخلها الاستثناء فيرجع إلى تغليب من قال بأنها كلية لكثرة ما يدخل في القاعدة من مسائل مع عدم انكار وجود الاستثناء لعارض لا كأصل قائم بذاته.

(١) العين، الخليل بن أحمد (١/١٤٤)، المصباح المنير، أحمد الفيومي (٢/٥١٠)، المحكم والمحيط الأعظم، على المرسي (١/١٧٢).

(٢) شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ٧٩٣هـ، مكتبة صبيح بمصر، د. ط، د. ت، (١/٣٤).

(٣) الأشباه والنظائر، السبكي، (١/١١).

(٤) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، الحسيني، (١/٥١)..

(٥) التعريفات، الجرجاني، (ص: ١٧١).

ثانياً: تعريف العلاقات الاجتماعية:

عرفت العلاقات الاجتماعية بتعريفات عدة منها : (تفاعل فرد مع أفراد آخرين مؤثراً فيهم ومتأثراً بهم)^(١).

المقصود بالعلاقات الاجتماعية في هذا البحث الروابط التي تربط بين مكونات المجتمع المسلم سواء أكان هذا الرابط بين الأفراد رجل وامرأة أو رجل ورجل مثلاً أو بين مجموعة من الناس مع مجموعة أخرى مثل الروابط التي تربط بين القبائل داخل المجتمع .

ثالثاً: علاقة القاعدة بالعلاقات الاجتماعية:

القواعد الفقهية عبارة عن حكم شرعي صيغ في قالب قاعدة عامة، والعلاقات الاجتماعية ما هي إلا فعل من أفعال المكلفين فدخلت بذلك العلاقات الاجتماعية في عموم عبارة القواعد الفقهية ؛ لكون الحكم الشرعي عبارة عن خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين^(٢) فهي بذلك جزءٌ أصيلٌ من القواعد الفقهية.

المطلب الثاني

مفهوم قاعدة اليقين لا يزول بالشك^(٣)

قاعدة اليقين لا يزول بالشك أحد القواعد الكلية الكبرى الخمس والتي عليها مدار الفقه، ويندرج تحتها عدد من القواعد المتفرعة منها، وقيل أن من استنبطها هو الإمام الشافعي^(٤)، واشتهرت القاعدة بلفظ اليقين لا يزول بالشك، كما عبر العلماء عنها بعبارات أخرى منها:

- ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين^(٥).

(١) مبادئ علم الاجتماع ، رأفت ، ص ٥٠.

(٢) الإيهام في شرح المنهاج البيضاوي ، . (٤٩ / ١).

(٣) الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ، (ص : ٤٧) ، غمز عيون البصائر ، محمد مكي (١ / ٢٣٧).

(٤) المنثور في القواعد الفقهية ، الزركشي ، (٣ / ١٣٥) ..

(٥) المنثور في القواعد الفقهية الزركشي ، (٣ / ١٣٥) ، الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص : ٥١).

- من شك هل فعل شيئاً أولاً؟ فالأصل أنه لم يفعله^(١).

- اليقين لا يرفع بالشك^(٢).

وأما من جهة أصل القاعدة فهي من القواعد المستنبطة من نصوص الشرع، ولم يرد بلفظ القاعدة نص صريح وإنما استنبطها العلماء، وذلك بإمعان النظر في المعاني والعلل المقصودة من أحكام الشرع، مما دل عليها ما رواه مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً، فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً)^(٣).

ينبني على هذا الحديث أصل من أصول الفقه^(٤) أو قل قاعدة من قواعد الاستدلال عن الأصوليين وهي الاستصحاب، واستصحاب الحال الثابت بيقين في الزمان الأول وعدم زواله في الزمان التالي بسبب شك طارئ؛ قائم على عدم تأثير الشك اللاحق على اليقين السابق لقوة اليقين وضعف الشك، عليه فقاعدة اليقين لا يزول بالشك مبناها على أصل الاستصحاب، الذي يعد مصدر من مصادر التشريع الإسلامي وقاعدة من قواعد الاجتهاد.

أما من جهة ألفاظها اليقين والشك فهما من الأحكام الذهنية على الأشياء وعرفهما العلماء على النحو التالي:

اليقين لغة:

هو إزاحة الشك، وتحقيق الأمر^(٥)، تحقيق الأمر بمعنى إثباته بالدليل وبالأمارة. ويقال: يقن الماء في الحوض، إذا استقر فيه^(٦).

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي، (ص: ٥٥)، الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٥٠).

(٢) الأشباه والنظائر للسبكي (١/١٣)، المنشور للزركشي (٢/٢٨٦).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة، ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، رقم ٣٦٢، (١/٢٧٦).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، (٥/٢٥).

(٥) العين، الخليل، (٥/٢٢٠)، تهذيب اللغة، الهروي، (٩/٢٤٥)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٣٦/٣٠٠).

(٦) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٥٩).

اصطلاحاً:

اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال^(١). وقيل جزم القلب مع الاستناد إلى الدليل القطعي^(٢).
والأولى جعل المقصود به هنا المعنى اللغوي لليقين، لأن الأحكام الفقهية إنما تبني على اليقين وعلى غالب الظن^(٣).

الشك لغة:

الشكُّ: خلاف اليقين^(٤). قولك شككت الشيء إذا جمعته بشيء تدخله فيه والشك هو اجتماع شيئين في الضمير^(٥). واجتماع شيئين مدعاة لعدم التفريق بينهما.

اصطلاحاً:

تباين تعريف الأصوليين والفقهاء للشك، الأصوليون يفرقون بين الظن والشك يعتبرون أن حكم الذهن على أمر من الأمور أما ان يكون مقطوعاً به فيسمى يقيناً، أو متردداً فيه بين أمرين، فإن ترجح أحد الأمرين فالراجح الظن، والمرجوح الوهم، وإن تساوى الأمران فهو الشك^(٦).

الشك عند الفقهاء:

يطلقون مصطلح الظن على الشك والتفريق واقع بينهما عندهم في مواضع كثيرة^(٧)، ويعبرون بغالب الظن على ما كان في رتبة اليقين^(٨)، يقول

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٥٩).

(٢) غمز عيون البصائر شهاب الدين الحموي (١/ ١٩٣).

(٣) شرح القواعد الفقهية، الزرقا، تعليق: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، ط الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، (ص: ٧٩).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٤/ ١٥٩٤).

(٥) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: ٩٩).

(٦) المحصول، بفخر الدين الرازي، (١/ ٨٣).

(٧) غمز عيون البصائر شهاب الدين الحموي (١/ ١٩٣).

(٨) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٦٣).

النووي: (التردد بين وجود الشيء وعدمه سواء كان الطرفان في التردد سواء أو أحدهما راجحاً فهذا معناه في استعمال الفقهاء في كتب الفقه وأما أصحاب الأصول ففرقوا بينهما)^(١)، وقيل إن عدم التفريق بين الظن والشك عند الفقهاء انما قيل في باب الأحداث^(٢).

وسوف أسلك مسلك الفقهاء في هذا الدراسة من عدم التفريق بين الظن والشك في المدلول. والناظر في الشك يجده ثلاث درجات^(٣):

الدرجة الأولى: أن يرتبط الشك بعلامة بينة ففي هذه الحالة يؤثر الشك على اليقين فيكون العمل قائماً على بينة وليس بشك.

الدرجة الثانية: شك ثابت بعلامة خفية، اختلف العلماء فيه هل يحل التمسك بالعلامات أم يستصحب اليقين السابق لضعف العلامة فيه قولان، وهذا هو استصحاب الحال عند الأصوليين.

الدرجة الثالثة: انعدام العلامة الجلية والخفية ففي هذه الحالة يتمسك باليقين السابق.

المعنى الإجمالي للقاعدة: أن اليقين السابق يبقى ويستمر حكمه ولا يزال بالشك الطارئ اللاحق له^(٤)؛ ومرد ذلك ما اتفق عليه الناس من أن الضعيف لا يؤثر على القوي، ففوة اليقين تمنع تأثير الشك عليه لضعفه.

(١) المجموع شرح المهذب النووي، (١/١٦٨).

(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٦٣).

(٣) المنثور للزرکشي (٢/٢٨٦)، البرهان في أصول الفقه، الجويني، (٢/١٧٢)، نفائس الأصول في شرح المحصول، القراني، (٩/٤٠٢٥).

(٤) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، (٤/١٢٦٧)، فتح القدير، باين الهمام، (١/١٩١).

المبحث الثاني

الظن علاقته وأثره على العلاقات الاجتماعية

لما كان الإسلام وتشريعاته هو لبنة التمام لشرائع الله للبشر، اتصفت تشريعات الإسلام بالتمام والكمال والحسن والجمال، ومن تمامها وكمالها أن الأحكام الشرعية كلها تقوم على الحقائق والقطعيات، أو ما كان في حكم القطعي، وهذا الأمر يبرز في جميع مناحي التشريع الإسلامي^(١)، وانداح هذا الأمر ليشمل الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية بين الناس، ظهر هذا من خلال أمر الشارع الحكيم بتجنب ظن السوء بالناس وجعله من اللبنة الأساسية التي بُنيت عليها العلاقات الاجتماعية في الإسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١١]، والظن في القرآن يأتي بمعانٍ عدة منها:

- اليقين: وقد ورد في مواضع عديدة، ونقل عن مجاهد^(٢) أن كل ظن في القرآن يقين ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]، وقال الضحاك^(٣): كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك.

- الشك والوهم: يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَؤِ لَّا ظَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجنائفة: ٣٢]، الظن هنا بمعنى الوهم أي الاحتمال المرجوح ويؤيده ما جاء بعده من قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾.

هناك ضابطان للفرق بين اليقين والظن في القرآن^(٤):

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، بن عاشور، ص ٣٢.

(٢) جامع البيان، للطبري (١/١٩).

(٣) تفسير الماوردي، (٦/٨٣).

(٤) مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، آل عُمَيْر، الفُحطاني، (ص: ٦٢).

الضابط الأول: الظن المحمود المثاب عليه فهو بمعنى اليقين، وإن كان مذموماً متوَعِّداً صاحبه بالعذاب فبمعنى الشك.

الضابط الثاني: الظن الذي اتصلت به (أَنَّ) المخففة فبمعنى شك، الظن الذي يتصل به (أَنَّ) المشددة فبمعنى اليقين.

المقصود بالظن في قوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١١]، قال الماوردي في معناه: (يعني ظن السوء. بالمسلم توهماً من غير تعلمه يقيناً)^(١). فكل ظن ليس له مستند يستند إليه يعد من الظن السيء. وفسر الظن كذلك بالتهمة والتخون للأهل والأقارب والناس^(٢). وقال القرطبي: (ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها)^(٣)، كما أن النهي عن الظن مفهومه أن تبني العلاقات على اليقين.

بناءً على ما سبق الممنوع من الظن ما كان مجرد توهم لا مستند ولا أمارة صحيحة عليه، فلا يجوز تصديقه والتحقق منه^(٤) بتجسس أو تحسس، ولهذا جاء النهي عن التجسس بعد الأمر باجتنب كثيراً من الظن، لكونه أداة الظان للتحقق، وإذا كان الإنسان لا يستطيع دفع الظن عن نفسه لكنه يستطيع منعها من الاسترسال في الظن بالسعي للتحقق منه، أو أن يني عليه عمل. ويشهد لهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن). فقال رجل: ما يذهبن يا رسول الله من هو فيه؟ قال: (إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض)^(٥).

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون ، بالماوردي (٥/ ٣٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٧/ ٣٥٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (١٦/ ٣٣١).

(٤) سبل السلام ، (٢/ ٦٦٥).

(٥) المعجم الكبير ، (٣/ ٢٢٨).

وما دل على وجوب تجنب الظن في بناء العلاقات الاجتماعية قوله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً)^(١). فنهى الحديث عن الاعتماد على الظن غير المستند إلى شيء من علم أو حقائق، المبني على مجرد الوهم، وما لم تعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب^(٢)، وأما تشبيه الظن بالحديث الكاذب؛ فذلك لعدم مطابقتها للواقع والحقائق^(٣)، فالظن مخالفة للواقع والحقائق في ذهن الظان، والكذب مخالفة للواقع والحقيقة باللسان، كما أن كليهما يترتب عليه ضرر واحد، وهو ظلم من ظن به الظن السيء، أو من نقل عنه كذباً فعل قبيح.

مما يؤكد ويؤيد احسان الظن بالناس أن النفس البشرية أقرب للحق والخير منها للشر الفساد، فالفطرة التي تحدثت عنها النصوص الشرعية مثل قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل مولود يولد على الفطرة...)^(٤)، هذه الفطرة وأن اختلفت تفسيرات العلماء في المراد منها إلا أن معناها لا يخرج عندهم عن أن النفس البشرية متهيئة لقبول الحق والخير^(٥).

ومن حسن التشريع الإسلامي وكماله وعظمته، أنه يمنع الشر بإغلاق جميع طرقه ومنافذه، وكفي لا تدور الشكوك حول المسلم فالواجب عليه أن

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، البخاري، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير رقم ٦٠٦٤ (١٩/٨)، صحيح مسلم باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (٤/١٩٨٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٣٣١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، (١٠/٤٨٢).

(٤) الموطأ: الإمام مالك، كتاب الجنائز رقم ٢٧٨ (٢/٣٣٨)، صحيح البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣٨٥ (٢/١٠٠)، صحيح مسلم، بلفظ (ما من مولود) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٢٦٥٨ (٤/٢٠٤٧).

(٥) فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) الكشميري، (٣/٦٨).

يبعد نفسه عن مواطن التُّهم، فعن صفية بنت حيي، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً فأثيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا سبحان الله يا رسول الله قال: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً، أو قال: شيئاً"^(١)، النبي صلى الله عليه وسلم رغم مكانته في نفوس أصحابه التي جعلته أبعد ما يكون عن الريبة والتهمة، مما منعه ذلك من إبعاد التهمة عن نفسه لما استوجب الموقف ذلك، فمن باب أولى غيره ممن هو دونه من أمته أن يبعد نفسه عن مواضع التهم وأن يزيل كل لبس ووهم قد يكون مدخلا لريبة أو تهمة.

ولا يُشكّل على وجوب إحسان الظن بالناس وتجنب إساءة الظن بهم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الانعام: ١١٦]، لأن هذه الآيات متعلقة بباب العقائد والديانات وما نحن فيه متعلق بالعلاقات الاجتماعية، وقد فرق الشارع بين الأمرين في غير هذا الموضع كما في أمر الله لعباده المؤمنين ببعض الكافرين بسبب كفرهم فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا﴾ [المتحنة: ٤]، ثم أمره إياهم بمعاملتهم بالقسط فيما يتعلق بالمعاملات الاجتماعية قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، ذكر بعض المفسرين، أن الآية نزلت في كفار قريش الذين لم يقاتلوا النبي صلى الله

(١) صحيح البخاري، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٨١، (٤/١٢٤)، صحيح مسلم، باب بيان أنه يستحب لمن رثي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، رقم ٢١٧٤ (٤/١٧١٢).

عليه وسلم، وقال البعض أنها نزلت في من آمن ولم يستطع الهجرة، والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤكد عموم الآية ما ذكرت من أوصاف وأنها لم تذكر أشخاصاً، كما قال بعض المفسرين بنسخ الآية بآيات القتال ورجح شيخ المفسرين الطبري^(١) أن الآية عامة في جميع أصناف الملل والأديان ممن لم يقاتلوا المسلمين، ورجح أن الآية محكمة غير منسوخة، وأن بر الكافرين ممن ليس في برهم ضرر على الإسلام والمسلمين مثل تقويهم أو مدهم بسلاح أو غيره غير محرم بل مرغوب فيه مأمور به فتبين عدم إشكال الآية على وجوب إحسان الظن بالناس.

كما لا يشكل على وجوب إحسان الظن بالناس ما هو شائع قديماً وحديثاً في ثقافة الناس من أن سوء الظن من الفطنة، حيث قال قائلهم:

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئًا إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ مِنْ أَزْكَى الْفِطْنِ^(٢)

وقال آخر:

أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتَ ظَنِّي بِكُمْ وَالْحَزْمُ سَوْءَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ^(٣)

وهذا لا يشكل على وجوب إحسان الظن بالناس لوجوه:

الوجه الأول: لكونه من كلام الناس وليس من كلام الله، وإنما أنزل الله كتابه وسطر أحكامه ليزكي النفوس مما تكنه من الحسد والغل والشح وغيرها من أمراض القلوب.

الوجه الثاني: أن قول الله تعالى: ﴿إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، دل على أن ليس كل الظن مذموم، فمن الظن ما هو غير مذموم وهو الظن بمن عرف عنه الفساد

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٣).

(٢) السحر الحلال في الحكم والأمثال،: أحمد الهاشمي، (ص: ١١٠).

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الأبيشي، (ص: ٣٩).

فلا حرج أن يظن به ظن السوء^(١). فيحمل ما قيل في إساءة الظن بالناس على من عرف منه الفساد.

نخرج مما سبق بأن الأصل الثابت واليقين الذي ينطلق منه المسلم في تعامله مع الناس هو إحسان الظن بهم وأن العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم تبنى على هذا الأصل، وهو مفهوم أمر الباري سبحانه بدفع سوء الظن من النفوس، وإن كان مفهوما هنا فقد صرح به في مقام آخر في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، إذن الخير هو الذي يجب أن يتبادر للذهن عند أي تصرف من أخيك المسلم، يقول ابن القيم (حسن الظن أي بالمسلمين وبالله تعالى من حسن العبادة أي من جملة حسن العبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى)^(٢).

وما تقرر هنا من وجوب إحسان الظن بالناس يخالف ما عليه الغربيون^(٣) فهذا الفيلسوف الإنجليزي هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩)، يرى أن البشر ذئاب وأن المجتمع البشري ما هو إلا غابة من الحيوانات الضارية... أما دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م)، فذهب إلى أن البشر في صراع والبقاء للأصلح.... وينتهي فرويد (١٨٨٥٦-١٩٣٩)، إلى أن الآخر كل آخر هو العدو.

فجعلوا الشر هو الأصل في البشر وبناء عليه فتوقع السوء والشر من جهتهم هو الأصل، وهذا خلاف ما تقرر في شرع الله من أن الأصل واليقين إحسان الظن بالناس، إلا من اشتهر قبح فعله وثبت فساده.

(١) تفسير القرطبي (١٦/٣٣٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (١٣/٢٣٠).

(٣) ابداعات: المسلمين في العلوم الاجتماعية د. أحمد عبد الرحمن، (ص ١٧٩).

المبحث الثالث

أثر قاعدة اليقين لا يزول بالشك والقواعد المتفرعة عنها على العلاقات الاجتماعية

المطلب الأول

أثر قاعدة اليقين لا يزول بالشك على إثبات النسب

ننظر إلى إثبات النسب هنا نظرة اجتماعية لا نظرة قضائية، فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، وروابط أساسي من الروابط الاجتماعية، ويلاحظ أن الشارع الحكيم لم يعتد في بنائها على الأوهام والظنون وأمر بنبذها والتمسك باليقين، أو ما قام على دليل وبينة، وبالنظر إلى عقد الزوجية والآثار المترتبة عليه نجد أن من آثاره نسبة الأبناء إلى آبائهم، وهو أمر بدهي، فهو المقصد الأول للزواج قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فنسب الله الولد لأبيه بقوله: ﴿الْمَوْلُودَ لَهُ﴾، وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ...)^(١)، الفراش النكاح أو ملك اليمين^(٢)، فإذا قام عقد الزوجية بين رجل وامرأة، فمن تنجب هذه المرأة ينسبون إلى الزوج، وغير ذلك من الاحتمالات - وإن كان ممكنا - إلا أنه لا يلتفت إليه لمجرد إمكانه من غير بيينة ودليل قاطع، عليه لم تقبل الشريعة الظنون والأوهام لإثبات النسب أو نفيه: فعن أبي هريرة، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: (هل لك من إبل؟) قال: نعم، قال: (ما ألوانها؟) قال: حمر، قال: (هل فيها من أورك؟) قال: نعم، قال: (فأنى ذلك؟) قال: لعله نزعه عرق، قال: (فلعل ابنك هذا نزعه)^(٣). فلم يلتفت إلى الحدس

(١) موطأ مالك (١٠٧٠ / ٤) باب القضاء بالحق الولد بابيه رقم ٥٩٥، صحيح البخاري، باب شراء المملوك من الحربي وعبته وعتقه، رقم ٢٢١٨، (٨١ / ٣).

(٢) الاستذكار، ابن عبد البر، (١٦٤ / ٧).

(٣) موطأ مالك، باب إحقاق الولد بأبيه، رقم ٢٨٩٠ (٤٦٤ / ٢)، صحيح البخاري، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم ٥٣٠٥ (٥٣ / ٧)، صحيح مسلم باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل رقم (١٥٠٠). (١١٣٧ / ٢).

والظن، القائم على اختلاف لون الولد عن أبويه لكونه ظن ووهم. وما عليه فقهاء الإسلام هو عدم الالتفات إلى الشكوك والظنون ومجرد الإمارات الضعيفة في نفي النسب، واشتراطوا التحقق والبحث عن الدليل القاطع أو الأمانة القوية المستندة إلى بيعة، مثل عدم وطء الزوج لزوجته أو أن تأتي بالولد قبل تمام ستة أشهر من الدخول، أو أن تأتي به بعد الفرقة الزوجية بأربع سنوات أو غير ذلك من البيّنات القوية^(١).

سوء الظن إن وجد من أحد طرفي الأسرة- الزوج أو الزوجة- وراودت فكرة الخيانة أحدهما حال ذلك بين دوام الالفة والسكينة، وأبدلت المودة كره والرحمة قسوة وغلظة، وقاد ذلك إلى اتساع الشقة بين الزوجين، وكل ذلك بسبب ظنون وشكوك لو دفعت بالأصل الثابت هو إحسان الظن لأراح صاحبها واستراح.

المطلب الثاني

أثر قاعدة بقاء ما كان على ما كان عليه على العلاقات الاجتماعية

من القواعد المتفرعة عن قاعدة اليقين لا يزول بالشك وإن شئت فقل أحد ألفاظها قاعدة بقاء ما كان على ما كان^(٢)، إن من عرف صلاحه وبُعدّه عن الفساد لا يرتفع ما ثبت عنه من صلاح بأدنى شك أو ظن ولا بد من بيعة أو أمانة قوية، أو يقين لاحق يرفع ما عرف عنه سابقاً، فيبقى ما عرف عنه، وأشار عدد من العلماء إلى هذا المعنى: فهذا الزجاج يفسر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، إلى هذا المعنى فقال: (هو ظنك بأهل الخير سوءاً)^(٣)،

الحجرات: ١٢

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (١٧٣/٨).

(٢) الأحكام في أصول الأحكام للأمدى (١٢٨/٤)، الأشباه والنظائر للسبكي (١٣/١).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الفاسي، (٤٣٠/٥).

وهذا الصنعاني يقول: (إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، ومن عرفت منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم)^(١) فالالتفات إلى الظنون والشكوك تجاه الفضلاء والوجهاء وأهل الفضل والعلم مفسدة عظيمة. وهو مما يسعى له أهل الفسق والفساد، بغرض هز ثقة الناس بالقدوات، لينفض الناس من حولهم فلا تكون للأمة قدوات داخل المجتمع من الفضلاء والعقلاء، ولا تثبت للمجمعات مرجعيات من العلماء والدعاة، وإذا حدث هذا اهتزت الثوابت وانهارت القيم وفسدت الأمة، فواجب المسلم ألا يلتفت إلى الشائعات التي تطلق على العلماء والدعاة، فما ثبت لدينا بيقين من حسن سيرتهم ورفعة مكانتهم وقدرهم، لا يرتفع لمجرد ظنون وشكوك أو شائعات.

المطلب الثالث

قاعدة الأصل في الكلام الحقيقة وأثرها على العلاقات الاجتماعية

من القواعد المدرجة تحت قاعدة اليقين لا يزول بالشك قاعدة: الأصل في الكلام الحقيقة^(٢)، ومفادها أن الكلمات إنما وضعت لتدل على معنى معين محدد، ولما كان غرض الكلام من المتكلم هو أن يعبر عما في نفسه للسامع، كان لابد أن تكون عبارات المتكلم لها مدلول معلومة للسامع، وإذا كانت الكلمات والعبارات ليس لها مدلول معروف للسامع لما كان للكلام فائدة؛ وذلك لعدم جني ثمرة الكلام من السامع وعدم معرفته لمقصود المتكلم من كلامه. ومدلولات الكلمات هي معانيها المتبادر للذهن عند سماعها، وهي المعاني الحقيقية للكلمات وليس المجازية، عليه فكلام المتكلم يجب أن يحمل على المعنى الحقيقي الظاهر.

(١) سبيل السلام للصنعاني (٢/٦٦٥).

(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٥٩).

وفيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية نجد أنه إذا عمل سوء الظن بين الناس فإن الكلام يحمل على غير معناه الظاهر ، فيحمل الكلام على معنى آخر غير الحقيقة، سواءً أكان هذا المعنى المحمول عليه الكلام يحتمله الكلام بأن تكون هناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى الأخر، أو كان المعنى لا يحتمله الكلام، ويعد هذا فتح لباب له آثار ضارة على العلاقات الاجتماعية، فحمل كلام الناس على المعاني المجازية البعيدة أو وضع الكلام العام في موضع الخاص، أو الخاص في موضع العام فهذا كله مما لا تحمد عواقبه، وهذا ما نبه إليه قول الفاروق رضي الله عنه: (ولا تظنَّ بكلمة خرجت من أفيك المؤمن إلا خيراً، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا)^(١).

عليه فلا يحمل كلام الناس على المعنى السيء، والهدى والرشاد حمل كلام الناس على ظاهره وعلى المحمل الحسن.

ومن محاسن شرع الله إغلاقه للأبواب المؤدية للشر والآثام قبل حدوثها، فنجد أن الشارع الحكيم قد نهى المسلم ابتداءً عن التكلم بما كان محتمل المعنى حتى لا يفتح بذلك أبواب ومدخل الشيطان على نفس أخيه المسلم، فأمر تعالى عباده بالقول الحسن من الكلام قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الاسراء: ٥٣]، فالقول دليل على ما في نفس القائل للسامع فالقول الحسن دليل على إضمار الخير من المتكلم للسامع، كما قال القائل:

إن الكلام من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٢)

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٧٧/٧)، تطريز رياض الصالحين، الحر بيلي النجدي، ص: (٨٨).

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء، محمد بن إسحاق، ص: (٨).

وحتى يكون الكلام حسنا فلا بد أن يكون حسنا في لفظه ومعناه ، ففي لفظه أن يكون باللفظ واللين وخلوه من الشدة والغلظة، ومن جهة المعنى أن يكون خيراً^(١). كما أن السياق الذي يقال فيه الكلام له أثر على مدلول الكلام، فرب كلام جميل يقال في سياق لا يناسبه فيفهم منه غير ما قصد منه.

وإشارة آية الإسراء إلى مفاصد عدم قول الحسن، وهي فتح أبواب الشيطان كما ذكرت الآية بعداوة الشيطان وتحينه للفرص لبذر بذور الفتنة والشقاق بين المؤمنين يقول بن كثير في تفسير آية الاسراء: (يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ يَقُولُوا فِي مَخَاطِبَاتِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ الْكَلَامَ الْأَحْسَنَ وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ؛ فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفِعَالِ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْمَخَاصِمَةُ وَالْمَقَاتِلَةُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِآدَمَ وَذَرِيَّتِهِ مِنْ حِينَ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَعَدَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيْنَهُ) (٢).

فالكلمة الحسنة تشرح النفوس وتفتح أبواب القلوب وغيرها تخدش المشاعر وتقطع حبل المودة وتفرق الجماعة، قال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الاسراء: ٥٣]، قال: (يلقى بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزاع إيقاع الشر وإفساد ذات اليمين) (٣).

خلاصة ما سبق أن على المسلم حمل كلام الناس على ظاهر المعاني فهي اليقين والأصل، ولا يصرف الكلام عن ظاهره لمجرد الظنون، بل لا بد من بينة قوية ودليل واضح، كما أن على المسلم تجنب ما هو محتمل المعنى من الكلمات إغلاقاً لمداخل الشيطان على النفوس.

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، العثيمين، (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٢) تفسير ابن كثير، باين كثير (٥/ ٨٦).

(٣) تفسير النسفي، للنسفي، (٢/ ٢٦١).

المطلب الرابع

قاعدة لا عبرة بالتوهم وأثرها على العلاقات الاجتماعية

من القواعد المتفرعة عن قاعدة اليقين لا يزول بالشك والتي لها تعلق بالعلاقات الاجتماعية، قاعدة لا عبرة بالتوهم، الوهم مقابل الظن فإذا كان الظن هو الطرف الراجح ، فالوهم هو الطرف المرجوح^(١) ، عليه الظن والوهم متقابلان، والمقصود به هنا التخيل غير الواقع، أي الاحتمال العقلي البعيد النادر الحصول^(٢). فهذا الاحتمال البعيد لا يقوم عليه حكم شرعي ولا ينبغي عليه تصرف. لكونه من قبيل الأوهام والوساوس، والله سبحانه وتعالى حذر من الوسواس ودعا لمقاومتها، وأمر بالبعد عنها وبالاستعاذة منها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. وَعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي^(٣)، فالوسواس مردودة، ونفس الأمر في فيما يتعلق بالعلاقة بالناس ، فالمسلك الذي أمر الله به المسلم في عباداته: يسلكه كذلك في تعامله مع أخوته فيرضي ربه ويريح قلبه، وتصفو علاقته بغيره .

بعض الناس يعادي زيذا ويبغضه، ويوالي عمراً ويحبه، بناء على حلم أرقه، أو أوهام انتابته، أو وسواس شغلت فكره، فيقطع رحمه ويفسد صداقته بصديقه ويخرق المودة والسكينة في بيت الزوجية، مع أن المنامات والوسواس لا

(١) البحر المحيط في أصول الفقه ، الزركشي ٧٩٤هـ، (١/١١١).

(٢) الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية ، آل بورنو الغزي، (ص: ٢٠٨)، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ،

الزحيلي، (١/١٧٠)، مؤسوعة القواعد الفقهية، آل بورنو الغزي، (٨/١٠٦٠).

(٣) صحيح مسلم، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث رقم ٢٢٠٣، (٤/١٧٢٨).

ترقى لدرجة الظن، وإنما هي أوهام فلا يبني عليها حكم ولا يقوم عليها تصرف. فعدالة فلان يقين لا يزول بأوهام تدور في ذهني عنه، أو وساوس تتابني تجاهه. من آثار اتباع الظنون والوهم على الأسرة أن الزوجة التي تبني علاقتها مع أهل زوجها على أساس سوء الظن بهم - كما تفعل كثير من النساء - يؤدي ذلك لكثرة المشاكل الأسرية بين المرأة وأهل زوجها، وسوء سمعة هذه الزوجة عند أهل زوجها، وتوتر علاقتها بزوجها، وحاصل هذا كله جو أسري مشحون بالتوتر والقلق وعدم الاستقرار النفسي والأسري فلا تنعم الأسرة بالسكينة المنشودة، وربما قاد هذا إلى الطلاق وتفكك الأسرة بكاملها، ويتجنب هذا بالبقاء على الأصل وهو احسان الظن بالناس.

والأب الذي يبني علاقه مع ابنائه على سوء الظن فإنه لا يفلح في تربيتهم؛ لأن انتقال هذا الإحساس إلى الأبناء وشعورهم بعدم الثقة فيهم يجعلهم يتحنون الفرص ليغيبوا عن أعين الرقابة الأسرية حتى يفعلوا ما هو ممنوع، وعلى العكس من ذلك إذا سرى الشعور بحسن الظن والثقة في الأبناء وداخل الأسرة أثمر ذلك نتائج تربوية محمودة.

من مضار اتباع الظن على الموظف الذي يأسس علاقاته بزملائه في العمل على أساس سوء الظن بهم، فهو يفتح بذلك باب لافتعال المشاكل معهم، مما يكون سببا لسوء علاقته بهم، ونتاج ذلك عدم صلاحية بيئة العمل للإنتاج، فالمؤسسة التي يفقد عمالها العمل بروح الفريق الواحد تكون أقرب للفشل منها للنجاح، وقد يفقد هذا الموظف وظيفته لكونه غير متعاون مع زملائه.

والمخرج من هذا كله بناء العلاقات على الأصل الثابت واليقين الذي أرسته النصوص الشرعية وهو بناء العلاقات الاجتماعية على إحسان الظن بالناس.

خاتمة

الحمد لله الذي بدأ خلق الإنسان من طين فأبدع خلقه وأحسن صنعه،
ووهبه السمع والبصر والفؤاد ليهتدي بها لما يصلحه ويدرك بها ما يضره،
والصلاة والسلام على خير خلق الله وأفضل رسله سيدنا محمد وعلى آله
واصحابه أجمعين.

بعد الانتهاء من هذه الدراسة وبيان أثر قاعدة اليقين لا يزول بالشك على
العلاقات الاجتماعية يمكن الخروج بنتائج والتوصيات التالية:

نتائج البحث:

- سوء الظن له آثار ضارة على المجتمعات فهو يؤدي إلى فساد كبير، والفساد
خلاف مقصد شرع الله الحنيف من جلب مصالح العباد وتحقيقها، ودفع
المضار وتعطيلها، كما أن سوء الظن مدخل من مداخل الشيطان يدخل به إلى
النفوس فيوقع بين الناس العداوة والبغضاء التي تسعى الشريعة إلى منعها
وإغلاق مداخلها كما في قول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبُغْضَاءَ ﴾ [المائدة: ٩١].

- سلامة العلاقات الاجتماعية بين الناس، هدف الشريعة الإسلامية لتحقيقها.

- الشكوك والظنون والأوهام دفعتها الشريعة ولم تبني عليها عقيدا أو حكما
كما لم تثبت بها حقوقاً.

- الأصل واليقين الذي تُبنى عليه العلاقات الاجتماعية هو حسن الظن.

- تميز الشرع الحنيف عن غيره وتفرد بخصائص فيما يتعلق بالعلاقات
الاجتماعية، فقد اختص الإسلام بنظام اجتماعي يتفرد به يميزه عن غيره،
ويبنى على أسس واضحة المعالم.

- القدوات من الفضلاء والعلماء، مكانتهم محفوفة، وعروضهم مصونة.
التوصيات:

توصل الباحث من خلال البحث إلى التوصيات التالية

- القواعد الفقهية أوعية جامعة للأحكام لهذا أَدْعُ إلى التوسع في دراستها وربطها بجميع مناحي الحياة وخاصة الاجتماعية.
- قاعدة اليقين لا يزول بالشك قاعدة عظيمة تحتاج إلى دراسات متعددة لبيان أثرها على حياة الناس مثل بيان أثرها على الاستقرار النفسي.
- أن يتجنب المسلم الظنون والشكوك فهي لا توصل إلى الحق، ولا تؤدي إلى العدل.

وفي نهاية البحث نحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات فإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأن أصبت فمن الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- ١- ابداعات المسلمين في العلوم الاجتماعية، د. أحمد عبد الرحمن مكتبة ط: الأولى القاهرة، مكتبة وهبة، (١٤٢٩هـ).
- ٢- الإبهاج في شرح المنهاج البيضاوي ٦٨٥هـ، السبكي، علي بن عبد الكافي السبكي ٧٥٦هـ، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ٧٧١هـ، تحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري، ط الأولى، د. م. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية - ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.
- ٤- الأشباه والنظائر، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري ٩٧٠هـ، وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط الأولى، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، غمز عيون البصائر، أحمد بن محمد مكي (١ / ٢٣٧).
- ٥- الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ٧٧١هـ، ط: الأولى، د. م، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٦- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٩١١هـ، ط: الأولى، د. م، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٧- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب الطبعة الثانية.

٨- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ط: الأولى، د. م، دار الكتبي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، د. ط، القاهرة، د. ن، ١٤١٩هـ.

١٠- البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط: الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، د. ط، د. م، دار الهداية، د. ت.

١٢- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرملي النجدي ١٣٧٦هـ، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط: الأولى، الرياض، الندار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤- تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، ط: الأولى، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ هـ.

١٥- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: الأولى ، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، ١٤١٩ هـ.

١٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت، ط: الأولى، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ٤٦٣هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، د. ط، د. م، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - ١٣٨٧ هـ.

١٨- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،

١٩- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- ٢٠- سبل السلام ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني ، الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدين ، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) ، د. ط ، د. ت ، دار الحديث ، الطبعة: د ، ت .
- ٢١- السحر الحلال في الحكم والأمثال ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ، د. ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية د. ت .
- ٢٢- سنن ابن ماجه ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، تخ: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، ط: الأولى ، د. م ، دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ٢٣- شرح التلويح على التوضيح ، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ٧٩٣هـ ، مكتبة د . ط ، مصر ، مكتبة صبيح ، د . ت .
- ٢٤- شرح القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ، ط: السابعة ، مصر ، المطبعة الكبرى الأميرية ، ١٣٢٣ هـ .
- ٢٥- شرح القواعد الفقهية ، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ] ، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا ، ط: الثانية ، دمشق / سوريا دار القلم ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٣٩٣هـ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط: الرابعة ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ٢٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: الأولى، د. م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- ٢٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ٢٩- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ٤٥٨هـ، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المبارك، ط: الثانية، د. م. د. ن، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط: الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- ٣١- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د. ط، د. م، دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- ٣٢- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكّي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي ١٠٩٨هـ، ط: الأولى، د. م، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
- ٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- ٣٤- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، د.ط، د.م، دار الفكر، د.ت.
- ٣٥- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ٣٩٥هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- ٣٦- فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي ١٣٥٣هـ، تخ: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل، ط. الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٧- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، ط: الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٣٨- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط: الأولى، أبو ظبي. الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، د.ت.
- ٣٩- مبادئ علم الاجتماع احمد رأفت عبد الجواد، د.ط، د.م، مكتبة نهضة الشرق، د.ت.
- ٤٠- المجموع شرح المذهب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ، د.ط، د.م، دار الفكر، د.ت.
- ٤١- مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، المؤلف: أبو محمد، صالح بن محمد بن حسن آل عمير، الأسمري، القحطاني، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، ط: الأولى، المملكة العربية السعودية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٢- المحصول ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٦٠٦هـ، وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط: الثالثة، د.م، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. المحقق: محمد عوض مرعب ، ط: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١ م

٤٣- المستطرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ط: الأولى، بيروت، عالم الكتب ١٤١٩هـ.

٤٤- المستطرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ط: الأولى، بيروت عالم الكتب، ١٤١٩هـ.

٤٥- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط: الثانية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت.

٤٦- المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٧٩٤هـ، ط الثانية، د.م، وزارة الأوقاف الكويتية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

٤٧- مَوْسُوعَةُ الْقَوَاعِدِ الْفِقْهِيَّةِ، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ط: الأولى، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٨- الموشى = الظرف والظرفاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: ٣٢٥هـ)، المحقق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، مصر، مطبعة الاعتماد شارع عبد العزيز، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٣ م.

٤٩- نفائس الأصول في شرح المحصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط: الأولى، د.م، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٠- الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ط: الرابعة بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

المقاصد الشرعية المرعية في تكاليف الشريعة الإسلامية «دراسة مقاصدية في شعيرة الصلاة - الزكاة - الصوم»

د. صديق زين العابدين النور أبكر*

ملخص

جاء هذا البحث بعنوان المقاصد الشرعية المرعية في تكاليف الشريعة الإسلامية "دراسة مقاصدية في شعيرة" (الصلاة - الزكاة - الصوم)، يهدف البحث إلى بيان مقاصد الشارع من التكاليف الشرعية وعلاقة المقاصد بالتكاليف الشرعية. وتكمن أهمية هذا البحث في انه تناول ثلاثة أركان مهمة من أركان الإسلام وبيان مقاصدها وأهدافها، وقد انتهج البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، أهمها: أن البحث قد بين وأكد على وجود مقاصد شرعية في التكاليف الشرعية فضلاً عن بيان العلاقة بين المقاصد والتكاليف الشرعية، كما أبرز البحث المقاصد التعبدية والروحية والاجتماعية لشعيرة الصلاة والزكاة والصوم والمقاصد الاقتصادية لشعيرة الزكاة والمقاصد السياسية لشعيرة الصلاة فضلاً عن المقاصد التربوية والخلقية لشعيرة الصلاة والصوم. وقد أوصى البحث بالعمل على ترسيخ مقاصد هذه التكاليف في نفوس المسلمين واستشعارها وتطبيقها تطبيقاً عملياً كما أوصى البحث بإجراء دراسة مقاصدية أخرى لبيان مقاصد شعيرة الحج.

* أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - رئيس قسم العلوم الشرعية والإنسانية بمركز تأصيل العلوم - جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - السودان.

bstract

This research entitled the legitimate objectives observed in the obligatory duties of Islamic law, (dirasat maqasidiat) ;a purposeful study in the ritual of «prayer - zakat - fasting» The research aims to clarify the intentions of Allah Almighty and the relationship of purposes to legal obligatory duties. The importance of this research lies in that it dealt with three important pillars of Islam And a statement of its purposes and objectives. The research adopted the inductive and analytical method, the research reached a number of results and recommendations, the most important of which were: The research showed and emphasized the existence of legitimate purposes in the legal obligatory duties as well as the statement of the relationship between the purposes and legitimate obligatory duties , the research also highlighted the devotional, spiritual and social purposes The ritual of prayer, zakat and fasting, the economic purposes of the zakat ritual, the political purposes of the ritual prayer, as well as the educational and moral purposes of the ritual prayer and fasting. The research recommended working to consolidate the purposes of these obligatory duties in the hearts of Muslims, sensing them and applying them in practice.

مقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن رسالة الإسلام عظيمة في أهدافها وغاياتها ومقاصدها شاملة في تشريعاتها راسخة في قيمها ومبادئها قوية في وسائل تحقيق أهدافها، لقد قررت رسالة الإسلام وفرضت تكاليف عظيمة نظمت بها حياة الفرد والمجتمع راعت فيها مقاصد عظيمة عاجلت من خلالها كافة القضايا الإنسانية سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو فكرية أو سياسية، ولبيان دور وأثر هذه المقاصد المرعية في التكاليف الشرعية رأيت الكتابة في هذا الموضوع للوقوف على مقاصد الشارع من تشريع هذه التكاليف.

أسباب اختيار الموضوع:

١. ضرورة معرفة مقاصد وأهداف الشارع من التكاليف الشرعية
٢. الحاجة لمعرفة علاقة التكاليف الشرعية بالمقاصد.
٣. بيان وإبراز حكمة التشريع الإسلامي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١. التعريف بمقاصد الشريعة والتكاليف الشرعية.
٢. بيان مقاصد الشارع من التكاليف الشرعية.
٣. بيان العلاقة بين مقاصد الشريعة والتكاليف الشرعية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في انه يتناول ثلاثة أركان من أركان الإسلام وبيان مقاصدها ومراميها وحكمة تشريعها مع بيان علاقة المقاصد بالتكاليف الشرعية.

منهج البحث:

انتهج البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في سؤال رئيس هو: ما التكاليف الشرعية ومقاصدها وغاياتها، وتتفرع منه الأسئلة التالية:

١. ما التكاليف الشرعية وما مقاصدها؟
٢. هل توجد مقاصد شرعية من تشريع الصلاة؟
٣. هل توجد مقاصد شرعية من تشريع الصوم؟
٤. هل توجد مقاصد شرعية من تشريع الزكاة؟
٥. هل توجد علاقة بين المقاصد والتكاليف الشرعية؟

هيكل البحث:

يتكون هيكل البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو

الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمقاصد الشريعة والتكاليف الشرعية وبيان العلاقة بينهما

المطلب الأول: التعريف بمقاصد الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني: التعريف بتكاليف الشريعة الإسلامية

المطلب الثالث: بيان العلاقة بين المقاصد والتكاليف الشرعية

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية المرعية من تشريع الصلاة

المطلب الأول: التعريف بالصلاة وبيان مشروعيتها وحكمة مشروعيتها

المطلب الثاني: بيان المقاصد التعبدية والروحية للصلاة

المطلب الثالث: بيان المقاصد الاجتماعية والسياسية للصلاة

المبحث الثالث: المقاصد الشرعية المرعية من تشريع الزكاة

المطلب الأول: التعريف بالزكاة وبيان مشروعيته وحكمة مشروعيته

المطلب الثاني: بيان المقاصد التعبدية والروحية للزكاة

المطلب الثالث: بيان المقاصد الاجتماعية والاقتصادية والسياسة للزكاة

المبحث الرابع: المقاصد الشرعية المرعية من تشريع الصوم

المطلب الأول: التعريف بالصوم وبيان مشروعيته وحكمة تشريعه

المطلب الثاني: بيان المقاصد التعبدية والروحية للصوم

المطلب الثالث: بيان المقاصد الاجتماعية للصوم

الخاتمة: تشتمل على النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول
التعريف بمقاصد الشريعة والتكاليف الشرعية
وبيان علاقة المقاصد بالتكاليف الشرعية
المطلب الأول
التعريف بمقاصد الشريعة

أولاً: تعريف المقاصد في اللغة:

المقاصد جمع مقصد والمقصد مصدر مشتق من الفعل قصد، فيقال قصد بقصد، قَصْداً، والمقاصد في اللغة جاءت بمعان متعددة، منها الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق والتوسط وعدم الإفراط والتفريط وجاءت بمعنى العدل... " (١).

ثانياً: تعريف المقاصد في الاصطلاح:

لم يكن هنالك تعريفاً محدداً لمقاصد الشريعة عند السابقين من علماء الشريعة الإسلامية ولكنهم أشاروا إليها وعبروا عنها بعبارات مختلفة لخصها بعض الباحثين كلفظ المصلحة والحكمة والعلة والمنفعة والمفسدة والأغراض والغايات والأهداف والأسرار والمعاني والضرر والأذى وغير ذلك مما هو مثبت في مصادره ومظانه " (٢)، وهنالك تعبيرات أخرى منها: "الأمر بمقاصدها، ومراد الشارع وأسرار الشريعة والاستصلاح ورفع الحرج والضيق، والعلل الجزئية للأحكام الفقهية وغير ذلك مما هو موجود في كتب العلماء القدماء .

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، دون طبعة ١٩٨٨، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج٣، ص ٣٥٥، المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي، دون طبعة وتاريخ، دار القلم - بيروت، لبنان، ص ١٩٢، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دون طبعة وتاريخ، دار إحياء التراث الإسلامي، ج٢، ص ٧٣٨.

(٢) علم مقاصد الشريعة، نور الدين بن مختار الخادمي، متبنة العبيكان، ط١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ١٩٧.

أما العلماء والباحثين المعاصرين فقد عرفوها بتعريفات متعددة فيما يلي
نقف على بعض منها:

عرفها الإمام الشاطبي بقوله: "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو من ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية وثانياً أن تكون حاجيه، وثالثها أن تكون تحسينية"^(١) أما الإمام بن عاشور فقد عرفها بقوله: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع . . ." ^(٢) وقد عرفها الشيخ علال الفاسي بقوله " المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"^(٣). وبعضهم عرفها بالغايات والمصلحة المقصودة من الأحكام والمعاني المقصودة من الخطاب كإسماعيل الحسيني"^(٤). ومنهم من قال "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"^(٥) كأحمد الريسوني ومنهم من قال "هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية المترتبة عليها سواء كانت تلك المعاني حكماً جزئياً أم مصلحة عامة أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد وهو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة"^(٦) ومنهم من عرفها بقوله "هي الغاية التي يرمى إليها التشريع والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"^(٧) وبعضهم قال "مقاصد الشريعة هي أهداف الشريعة وغاياتها التي قصدها الشارع لتحقيق مصالح العباد في الدارين"^(٨).

(١) الموافقات في أصول الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللحى القرناطي الشهير بالشاطبي ، ط ١-١٤٢١هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، شركة أبناء شريف الأنصاري، ج ١، ص ٣-٤.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص ٥١.

(٣) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ص ٣.

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام محمد بن الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسيني.

(٥) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد البرسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض السعودية، ط ٤، ١٤١٦هـ، ص ٧.

(٦) الاجتهاد والمقاصد حجية وضوابطه ومجالاته، الدكتور نور الدين، ج ١، ص ٣-٥٢.

(٧) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، عبد القادر الفارسي، ط ٤١٤١هـ، ص ٨٣.

(٨) فقه المقاصد، أ.د. عبدالله الزين عبدالرحمن، ط ٢٠٠٤، شركة مطابع العملة - الخرطوم، ص ٢٦-٢٠٠.

المطلب الثاني التعريف بتكاليف الشريعة

أولاً: تعريف التكاليف لغة:

التكاليف في اللغة الأمر بما يشق عليك وتكلفة تجشمه^(١) وقيل التكاليف هي من كلف الأمر: احتمله على مشقة وعسر، وتكلف الأمر تحمله على مشقة، وكلف فلان تكليفاً: أمره بما يشق عليه^(٢) وقيل التكاليف هو إلزام ما فيه كلفة^(٣).

ثانياً: تعريف التكاليف في الاصطلاح:

عرّف العلماء التكاليف بتعريفات متعددة، فعرفها البعض بأنها إلزام فعل الواجبات وترك المحرمات^(٤) وبعضهم قال: هو الأمر بما فيه كلفة والنهي عما في الامتناع عنه كلفة^(٥) وعرفها الماوردي بقوله: هي الأمر بطاعة والنهي عن معصية^(٦) وقيل هي التزام مقتضى خطاب الشارع^(٧) وقيل هي إلزام ما فيه كلفة وقيل هي طلب ما فيه كلفة^(٨).

(١) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٨ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، فصل الكاف، ص ٨٥، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن الرازي، دار الهداية، دون طبعة وتاريخ، باب ك، ل، ق، ج ٢٤، ص ٣٣٢.

(٢) القاموس الفقهي، الدكتور سعد أبو حبيب، دار الفكر دمشق - سوريا، ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٣٢٣.

(٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا الأنصاري، المحقق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، ط ١١١هـ - ١٤١١هـ، ص ٦٩.

(٤) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكرم الزفوي، المحقق عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ج ٣، ص ٣٤.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٣، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٥٠.

(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، دون طبعة ١٩٨٦م، ص ٨٧.

(٧) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، مكتبة دار الجوزي، ط ٥، ١٤٢٧هـ.

(٨) سلسلة الأسماء والصفات، محمد الحسن الشنقيطي..

وقيل التكليف هو: "اقتضاء طاعة"^(١) وقيل التكليف عملية يزاحم فيها الإنسان نفسه ويحاصرها لمقاومة تنفيذ المعاصي أو حملها على مشقة الطاعة"^(٢).
من خلال الوقوف على التعريف اللغوي للتكليف والتعريف الاصطلاحي يتبين أن معنى التكليف ينحصر فيما فيه كلفة أو مشقة سواء كان ذلك من خلال الائتثار بالأمر وتنفيذه أو الانتهاء عن المنهي عنه واجتنابه، فالتعريفات الواردة سواء كانت لغوية أو اصطلاحية متقاربة في معانيها ودلالاتها على معنى التكليف، وقد اختار الباحث التعريف القائل: أن التكليف هو: "الأمر بما فيه كلفة والنهي عما في عدم الامتناع عنه كلفة: "وذلك لشموله كل التعريفات الواردة سواء لغوية كانت أم اصطلاحية".

المطلب الثالث

بيان علاقة المقاصد بالتكاليف الشرعية

من المؤكد والثابت أنه ما من تكليف شرعي إلا وراءه هدف ومقصد شرعي وذلك لان الهدف والمقصد العام للتشريع هو إما جلب مصلحة وتكميلها أو لدرء مفسدة وتقليلها ومحور هذه المصلحة والمفسدة هو الإنسان، فالله سبحانه وتعالى لم يخلقه عبثاً إنما خلقه لغاية وهدف واضح وهو عبادة الله عز وجل والإخلاص له وذلك لا يتحقق إلا من خلال التكاليف الشرعية قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]، والعبادة الحقبة لا تتحقق إلا من خلال التكاليف الشرعية بامثال الأوامر واجتناب النواهي، فالأمر بالصلاة وراءه أهداف ومقاصد عظيمة منها على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]،

(١) المستصفي للأمام الغزالي، ج ١، ص ٨٧.

(٢) تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولى الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ج ٤، ص ٢٠٦٧.

والزكاة فرضت أيضا لتحقيق مقاصد شرعية منها تطهير النفس والمال وذلك لقوله تعالى: ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 103].

وكذلك فريضة الصوم لها مقاصد وأهداف أوضحها وأظهرها اكتساب تقوى الله قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183]، والحج أيضا له مقاصده وأهدافه قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحجرات: 32]، وقد أكد العلماء أن المقصد العام من وضع الشريعة هو إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً، وهذا المقصد عبرت عنه الآية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فكل التكاليف تندرج تحت هذا المقصد كيفما كان نوعها فعبادة الله عز وجل هي الغاية الاسمي من هذه التكاليف التي وضعها الله عز وجل والمقصد الأسمى لهذه التكاليف هو نيل رضي الله سبحانه وتعالى وهو ما عبر عنه الإمام الشاطبي رحمه الله بقوله: "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والأجل . . ." (1)، فتكاليف الشرع تهدف إلى مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة بجلب المصالح ودرء المفسد . ويؤكد علاقة المقاصد بالتكاليف الشرعية ما قاله الدكتور احمد بوعود في مقاله على موقع المنار حيث قال: "تتحقق مقاصد الشرع بالتكاليف التي أنيطت بالإنسان ونقصد بالتكاليف الأوامر والنواهي التي طلب من الإنسان الامتثال لها، ولا يمكن تحقيق مقاصد الشرع خارج هذه التكاليف" (2) ويؤكد هذه العلاقة أيضا ما ذكره الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات: "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق . . ." (3).

(1) الموافقات في أصول الشريعة، أبي إسحاق الشاطبي، مرجع سابق، ج 2، ص 272.

(2) مقال بعنوان التكاليف الشرعية والسلوك المقاصدي، د. احمد بوعود، أخر تحديث 3/12/2020م موقع المنار الإسلامي، تاريخ الإطلاع الأحد 25/4/2021م، الساعة 11 مساء.

(3) الموافقات في أصول الشرع، الإمام الشاطبي، مرجع سابق، ج 2، ص 3-4.

المبحث الثاني

المقاصد الشرعية المرعية من تشريع الصلاة

المطلب الأول

التعريف بالصلاة وبيان حكمها ودليل مشروعيتها

أولاً: التعريف بالصلاة:

الصلاة في اللغة هي الدعاء بخير^(١) قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادعوا لهم جاء في العين للفراهيدي وصلوات اليهود في كنائسهم واحداها صلاة، وصلوات الرسول للمسلمين دعاءه لهم وذكرهم وصلوات الله على أنبيائه الصالحين من خلق حسن ثنائه عليهم وحسن ذكرهم، وقيل مغفرة لهم، وصلاة الناس على الميت الدعاء وصلاة الملائكة الاستغفار^(٢).

ثانياً: الصلاة في الاصطلاح:

الصلاة في الاصطلاح "هي عبادة مخصوصة مشتملة على أقوال وأفعال، مفتوحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم وقيل الصلاة أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة"^(٣) وقيل الصلاة "هي عبارة عن الأركان المعهودة والأفعال المخصوصة"^(٤).

حكم الصلاة ودليل مشروعيتها:

الصلاة هي واجب أو فرض عين، ودليل مشروعيتها من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ [الحج: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

(١) تهذيب اللغة للأزهري، ج ١٢، ص ٢٣٨.

(٢) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي الخزومي، دار مكتبة الهلال، ج ٧، ص ١٥٤.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية -

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، باب أنواع الصلاة، ج ١، ص ١٦٠.

(٤) البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٣.

أما دليل مشروعية الصلاة من السنة فقولہ صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة . . . " (١).

حكمة مشروعية الصلاة:

تعتبر الصلاة من أعظم فروض الإسلام بعد الشهادتين لحديث جابر بن عبد الله " بين الرجل والكفر ترك الصلاة " (٢) وقد شرعت الصلاة شكراً لنعم الله تعالى الكثيرة، ولها فوائد دينية وتربوية على الصعيدين الفردي والجماعي " (٣).

المطلب الثاني

المقاصد التعبدية والروحية للصلاة

تعتبر الصلاة هي الصلة والأساس القوى المتين الذي يربط العبد بربه تبارك وتعالى وبها تتحقق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى وهو المقصد الأساسي من خلق الإنسان، لأنه يعظم فيها الإنسان خالقه تبارك وتعالى بالخشوع والتذلل وبها ينال رضي الخالق تبارك وتعالى ويتحقق له بها الفوز والفلاح، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، إن الصلاة تعتبر تجارة رابحة للعبد المخلص لربه قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]، كما أن إقامة الصلاة والسعي لها كفارة لذنوب العبد ورفع لدرجته قال صلى الله عليه وسلم: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم (١٦)، ج ١، ص ٤٥.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني، دار الكتاب العربي بيروت ودار الفكر بيروت، دار الكتب العلمية، طبعة ١٤٠٩هـ، ج ٦، ص ٢٧٦.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية، أ. د. وهبه الزحيلي، دار الفكر سوريا - دمشق، الطبعة الرابعة، ج ١، ص ٦٤٧.

الصلاة بعد الصلاة فذلکم الرباط" (١).

ومن مقاصد الصلاة الروحية أنها تسمو بروح العبد وترفع درجته الروحية لترتبط روحه بالخالق عز وجل وتزكي نفس العبد لتصفو من كدرتها وضعفها بقوة الارتباط بالخالق عز وجل والخروج بالنفس من العالم السفلى إلى العالم العلوي وهو رباط روحي متجدد في كل يوم وليلة خمسة مرات، كما أن الصلاة يتحقق بها مقصد روحي عظيم وهو إحداث الطمأنينة في قلب المؤمن ذلك لان الصلاة ذكر قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، فالصلاة نور لقلب العبد المؤمن قال صلى الله عليه وسلم "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" (٢).

المقاصد الاجتماعية والسياسية:

أولاً: المقاصد الاجتماعية:

للصلاة مقاصد اجتماعية متعددة حيث أن المسلمين يجتمعون خمسة مرات في اليوم والليلة لأداء شعيرة الصلاة وهذا في حد ذاته جدير بتوثيق العلاقات الاجتماعية ويزيل الفوارق الاجتماعية ويوحد المجتمع على صعيد واحد، وبهذا الاجتماع تتآلف النفوس وتصفو القلوب فلا حقد ولا حسد ولا قطيعة بين أفراد الحي أو المنطقة ومن خلال هذا الاجتماع الدائم أيضاً تحل القضايا الاجتماعية ويتحقق التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع .

(١) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، مرجع سابق ، حديث " ٢٥١ " ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، باب الوضوء ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

ثانياً: المقاصد السياسية:

أما المقاصد السياسية للصلاة فتحقق من خلال طاعة الإمام والإنقياد له في الصلاة الجامعة ، فمبدأ الطاعة ومتابعة الإمام والصلاة يكون سببا لطاعته فيما يخدم الشأن العام بالإضافة إلى ذلك فإن اجتماع المسلمين في المسجد يخدم ويساعد في حل قضاياهم العامة، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يتخذ من المسجد والدعوة للصلاة منبراً لحل القضايا العامة التي تهم المسلمين فضلاً عن أن المسجد كانت تنطلق منه كل غزوات النبي صل الله عليه وسلم حيث انه كان صلى الله عليه وسلم يدعو الصحابة عندما يكون هنالك أمر يهم المسلمين " الصلاة جامعة" فيجتمع المسلمون لمناقشة قضايا الأمة فتحل قضايا الأمة من خلال جمع الناس للصلاة وبالتالي فان للصلاة مقاصد سياسية تعود للأمة بالنفع والخير الوفير ويتحقق الأمن والاستقرار للمجتمع .

المبحث الثالث

المقاصد الشرعية المرعية في تشريع الزكاة

المطلب الأول

التعريف بالزكاة وحكمها ودليل مشروعيتها

أولاً: تعريف الزكاة:

أ. الزكاة لغة:

هي النماء والزيادة، يقال زكا الزرع يزكو، أي نما وهى الطهارة أيضاً، جاء في لسان العرب الزكاة هي النماء والزيادة من زكا يزكو زكاة والزكاة هي الصلاح^(١).

ب. الزكاة في الاصطلاح:

هي أداء حق يجب في أموال مخصوصة على وجه مخصوص، ويعتبر في وجوبه الحول والنصاب^(٢) وقيل هي إخراج مال مخصوص من مال مخصوص بلغ نصاباً مستحقه أن تم الملك والحول^(٣).

ثانياً: حكم الزكاة ودليل مشروعيتها:

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام وركن من أركانه^(٤)، أما دليل مشروعيتها ففي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ولقوله صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"^(٥).

(١) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٥٨.

(٢) العناية بهامش فتح القدير، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) الفقه المالكي وأدلته، الحبيب بن طاهر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، دون دبعة وتاريخ، ج ٢، ص ٥.

(٤) الفقه المنير في ضوء الكتاب والسنة، مجموعة من المؤلفين بجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دون طبعة ١٤٢٤هـ، ص ١٢١.

(٥) ورد تخريجه.

الحكمة من مشروعية الزكاة:

الحكمة والهدف والمقصد من فرض الزكاة ليس جمع المال وإنفاقه على الفقراء والمحتاجين إنما الهدف الأول هو أن يعلو بالإنسان عن المال ليكون سيداً له لا عبداً له ومن هنا جاءت الزكاة ليزكى المعطى والأخذ وتطهيرهما. . . (١) ويضاف إلى هذا الهدف أن الزكاة تعتبر بركة وزيادة للمال وأن الزكاة تكفر الذنوب والخطايا وان الزكاة تطهر النفس من رزيلة الشح والبخل بالإضافة إلى إزالة الضغائن وتأليف القلوب وتصفيتها وإشاعة المحبة بين الأغنياء والفقراء بسبب فرضيه الزكاة وأدائها، كما أن الزكاة تسد حاجة الفقراء والمساكين وترفع آفة الذل والفقر وتقطع دابر الجرائم الخلقية والمالية كالسرقات والنصب والسطو بالإضافة إلى أن الزكاة تعتبر جسر قوى يربط بين الأغنياء والفقراء فتصفوا النفوس وتزول الأحقاد والبغضاء وينعم الجميع بالأمن والمحبة والرحمة. . . (٢).

المطلب الثاني

المقاصد الشرعية المرعية في تشريع الزكاة

أولاً: المقاصد التعبديّة الروحية للزكاة:

يؤدى المسلم زكاة ماله طاعة لله سبحانه وتعالى وتقرباً وشكراً له على نعمه العظيمة التي أنعم بها عليه وعلى عباده وتطهر نفس العبد من البخل والشح والأنانية وتطهر المال قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالزكاة واجبة كالصلاة قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، وأداءها عبادة لله سبحانه وتعالى.

(١) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجى، دار أصدقاء المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الحادية عشر ١٤١٣هـ-٢٠١٠م ، ج ١ ، ص ٥٨٨.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي ، محمد بن إبراهيم التويجى ، بيت الأفكار الدولية ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م ، ج ٣ ، ص ٩.

أما المقصد الروحي للزكاة فيتمثل في أن الزكاة تزكية وتطهير للنفس العبد والسمو بها والترفع بها عن الدنيا ومتاعها الزائل والتعود على الإنفاق والنفقة ومخالفة هوى النفس وشهواتها المائلة إلى الإكتناز والشح والغلول وعدم الإنفاق والبخل الذي جبلت عليه، فضلاً عن أن الزكاة تعتبر بركة وتنمية وزيادة للمال المُرْكِي^(١). قال صلى الله عليه وسلم "ما نقص مال من صدقة".

المطلب الثالث

المقاصد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للزكاة

المقاصد الاجتماعية للزكاة تتمثل في أن الزكاة تؤلف بين قلوب الأغنياء والفقراء وتزيل الفوارق الاجتماعية بينهما وتحقق التكافل الاجتماعي بمواساة وإعانة المحتاجين من الفقراء والمساكين في المجتمع وتزيل الحسد والحقد من نفوس الفقراء تجاه الأغنياء وتشيع المحبة والوئام والسلام بين أفراد المجتمع، كما أن تطبيق شعيرة الزكاة يقلل من انتشار جريمة السرقة والنهب والسلب في المجتمع حيث لا تعود هناك حاجة أو ضرورة لارتكاب مثل هذه الجرائم لأن حاجة مرتكبيها تمت معالجتها بالزكاة.

أما المقاصد الاقتصادية للزكاة فإن الزكاة تعتبر من أهم الموارد الاقتصادية لبناء الدولة من موازنة الدولة المالية، فالزكاة يمكن أن تدخل في تقديم الخدمات الصحية والتعليمية فضلاً عن معالجتها لقضايا الفقر التي تعتبر من القضايا الاقتصادية الكبرى التي تؤرق وترهق كاهل الدول العظمى.

أما المقصد السياسي للزكاة فالزكاة تساعد في نشر دعوة الإسلام وتوسع من رقعته وتسهم في تقوية الجيوش الإسلامية وتدعم الجهاد في سبيل الله بتوفير الآليات القتالية المطلوبة في إعداد القوة.

(١) مسند البزار، أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، حديث رقم (١٠٣٢)، ج٣، ص ٢٤٣.

المبحث الرابع
المقاصد الشرعية المرعية في تشريع الصوم
المطلب الأول
التعريف بالصوم وحكمه ومشروعيته

أولاً: التعريف بالصوم لغة:

الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان، من ذلك صوم الصائم كما هو إمساك عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه ويكون الإمساك عن الكلام صوماً^(١).

ثانياً: الصوم في الاصطلاح:

هو الإمساك عن المفطرات حقيقة وحكماً في وقت مخصوص بنية من أصلها^(٢).

ثالثاً: الحكمة والهدف من مشروعية الصوم:

ليست الحكمة والمقصد والهدف من مشروعية الصوم هي الامتناع عن الأكل والشرب وجميع الشهوات إنما الهدف هو الإخلاص في طاعة الله عز وجل واكتساب التقوى، فالصوم هو وسيلة إلى التقوى، فالنفس إذا انقادت للامتناع عن الحرام طمعاً في مرضاته تعالى وخوفاً من اليم عقابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام فكان الصوم سبباً لالتقاء محارم الله عز وجل.

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر - لبنان - بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ -، ج ٣.

(٢) اللباب في شرح الكتاب، عبدالغني بن طالب حمادة بن ابراهيم، تحقيق: محمد عى الدين، المكتبة العلمية - بيروت، دون طبعة وتاريخ، ج ١، ص ١٦٢.

المطلب الثاني

المقاصد التعبدية والروحية للصوم

يعتبر الصوم من العبادات المهمة للمسلم يكتسب منها فوائد ومقاصد عظيمة، تتمثل في تقوى الله عز وجل وإظهار الخضوع والطاعة والتذلل لله تبارك وتعالى بالامتناع عن شهوتي البطن والفرج طاعة لله وتقرباً إليه فضلاً عن أن الصوم ينال به الصائم الأجر العظيم والمكافأة العظيمة من الله عز وجل، جاء في الحديث "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به"^(١)، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره^(٢)، وإذا لقي ربه فرح بصومه".

فالصيام كفارة للذنوب ووقاية من النار وسبب لدخول الجنة والنجاة من النار، قال صلى الله عليه وسلم: "من صام يوماً في سبيل الله، زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً"^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم: "الصوم جنة" أي وقاية من النار. وللصوم مكاسب وفوائد عظيمة حيث انه يكسر سلطان العادة ويقوي الإرادة بالنسبة للمسلم بأن يكون قويا في طاعة الله عز وجل متجنباً لمعاصيه ومحارمه فضلاً عن أن الصوم يكسب العبد قيمة الصبر التي هي مقصد عظيم يعين المسلم في مسيرته الحياتية. بالإضافة إلى ما يبشر به الله تبارك وتعالى

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار بن حزم للنشر - لبنان - بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، حديث رقم (٢١٩٥)، ج ٥، ص ١٨.

(٢) نفس الحديث ونفس الصفحة.

(٣) مسند الامام احمد، ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث للنشر، القاهرة، ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، حديث رقم (٧٩٧٧)، ج ٨، ص ١٠.

الصابرين قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إلى غير ذلك من الفوائد والمقاصد العظيمة للصوم.

المطلب الثالث

المقاصد الاجتماعية للصوم

للصوم مقاصد اجتماعية كبيرة حيث أن الصوم يجعل الصائم يشعر بالآلام الجوع والعطش والحرمان التي يشعر بها الفقراء فيكون ذلك دافعاً له لمواساة الفقراء والإحسان إليهم والتصدق عليهم لينال الأجر المضاعف في هذا الشهر المبارك الذي تتضاعف فيه الحسنات، كما أن زكاة الفطر تحقق مقصد اجتماعي وهو سد حاجة الفقراء في ذلك الصوم الذي يفرح فيه كل الناس فقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة في ذلك اليوم .

ويضاف إلى ذلك ما يكتسبه المسلم من أخلاق رقيقة في هذا الشهر لدرجة انه لا يرد على من شاتمته أو جهل عليه إلا بقوله: "إني صائم إني صائم . . ." فالصوم يعتبر مدرسة اجتماعية أخلاقية عظيمة .

وهناك مظهر اجتماعي آخر يتمثل في اجتماع الصائمين في مكان واحد لتناول وجبة الإفطار التي تجمع الغنى والفقير وعابر السبيل بالإضافة إلى قيمة اجتماعية وأخلاقية أخرى يكتسبها المسلم الصائم وهي قيمة الصفاحة والعتف حينما يلتقي المسلم مع أخيه ويتبادل معه التهاني والعتفو فتعم الفرحة الجميع وتدخل البهجة والسرور في نفوسهم وتسود المحبة حيث الزيارات وتبادل الهدايا بين أفراد المجتمع . بالإضافة إلى كل هذه الفوائد تأتي فائدة الصحة للصائم قال صلى الله عليه وسلم "صوموا تصحوا" وما إلى ذلك من المقاصد التي يحققها الصوم .

خاتمة

بحمد الله وعونه وتوفيقه انتهت الكتابة في هذا البحث الذي جاء بعنوان المقاصد الشرعية المرعية في تكاليف الشريعة الإسلامية والذي تمحور الحديث فيه حول شعيرة الصلاة والزكاة والصوم، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

١. بين وأكد البحث على وجود مقاصد شرعية مرعية في كل التكاليف الشرعية.
٢. اظهر البحث العلاقة بين مقاصد الشريعة والتكاليف الشرعية فما من تكليف شرعي إلا وله مقصد وهدف يحققه على مستوى الفرد والمجتمع.
٣. توصل البحث إلى أن لتكاليف الصلاة والزكاة والصوم مقاصد تعبدية وروحية واجتماعية.
٤. أكد البحث على وجود مقاصد سياسية لشعيرة الصلاة والزكاة.
٥. ابرز البحث المقاصد الاقتصادية للزكاة.
٦. بين البحث المقاصد التربوية والأخلاقية لشعيرة الصلاة والصوم.

ثانياً: التوصيات:

أوصى البحث بترسيخ معاني التكاليف الشرعية ومقاصدها في نفوس المسلمين واستشعار مقاصدها بالتطبيق العملي المخلص. كما أوصى البحث بإجراء دراسة مقاصدية حول شعيرة الحج.

المصادر المراجع

• القرآم الكريم.

- ١- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري، دون طبعة ١٩٨٨، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج٣، ص ٣٥٥، المصباح المنير، احمد بن محمد بن على المغربي الفيومي، دون طبعة وتاريخ، دار القلم - بيروت، لبنان، ص ١٩٢، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دون طبعة وتاريخ، دار إحياء التراث الإسلامي، ج٢، ص ٧٣٨.
- ٢- علم مقاصد الشريعة، نور الدين بن مختار الخادمي، متبة العبيكان، ط١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ١٩٧.
- ٣- الموافقات في أصول الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللحمي القرناطي الشهير بالشاطبي، ط١-١٤٢١هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، شركة أبناء شريف الأنصاري، ج١، ص ٣-٤.
- ٤- مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص ٥١.
- ٥ مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ص ٣.
- ٦- نظرية المقاصد عند الإمام محمد بن الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسيني .
- ٧- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد البرسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض السعودية، ط٤، ١٤١٦هـ، ص ٧.
- ٨- الاجتهاد والمقاصد حجية وضوابطه ومجالاته، الدكتور نور الدين ج١، ص ٣-٥٢.

- ٩- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، عبدالقادر الفارسي، ط ١٤١٤هـ، ص ٨٣.
- ١٠- فقه المقاصد، أ. د عبدالله الزين عبدالرحمن، ط ٢٠٠٤، شركة مطابع العملة - الخرطوم، ص ٢٦. غ ٢٠٠
- ١١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٨ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، فصل الكاف، ص ٨٥، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن الرازق، دار الهداية، دون طبعة وتاريخ، باب ك، ل، ق، ج ٢٤، ص ٣٣٢.
- ١٢- القاموس الفقهى، الدكتور سعد أبو حبيب، دار الفكر دمشق - سوريا، ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٣٢٣.
- ١٣- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا الأنصارى، المحقق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، ط ١٤١١هـ، ص ٦٩.
- ١٤- شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوى بن عبدالكرم الزفوى، المحقق عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ج ٣، ص ٣٤.
- ١٥- البحر المحيط فى أصول الفقه، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٣، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٥٠.

١٦- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، دون طبعة ١٩٨٦م، ص ٨٧.

١٧- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزانى، مكتبة دار الجوزى، ط ٥، ١٤٢٧هـ.

١٨- سلسلة الأسماء والصفات، محمد الحسن الشنقيطى.

١٩- المستصفى للأمام الغزالي، ج ١، ص ٨٧.

٢٠- تفسير الشعراوى، الخواطر، محمد متولى الشعراوى، مطابع أخبار اليوم، ج ٤، ص ٢٠٦٧.

٢١- الموافقات في أصول الشريعة، أبى إسحاق الشاطبى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧٢.

٢٢- مقال بعنوان التكاليف الشرعية والسلوك المقاصدى، د. احمد بوعود، آخر تحديث ١٢ / ٣ / ٢٠٢٠م موقع المنار الإسلامى، تاريخ الإطلاع الأحد ٢٥ / ٤ / ٢٠٢١م، الساعة ١١ مساء .

٢٣- الموافقات في أصول الشرع، الإمام الشاطبى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣-٤.

٢٤- تهذيب اللغة للأزهري، ج ١٢، ص ٢٣٨

٢٥- العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدى المخزومى، دار مكتبة الهلال، ج ٧، ص ١٥٤.

٢٦- الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن بن محمد عوض الجزيرى، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، باب أنواع الصلاة، ج ١، ص ١٦٠.

- ٢٧- البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١- ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠، ج ٢، ص ٣.
- ٢٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم (١٦)، ج ١، ص ٤٥.
- ٢٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصفهاني، دار الكتاب العربي بيروت ودار الفكر بيروت، دار الكتب العلمية، طبعة ١٤٠٩هـ، ج ٦، ص ٢٧٦.
- ٣٠- الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية، أ. د وهبه الزحيلي، دار الفكر سوريا- دمشق، الطبعة الرابعة، ج ١، ص ٦٤٧.
- ٣١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، مرجع سابق، حديث "٢٥١"، ج ١، ص ٢١٩.
- ٣٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، باب الوضوء، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٣.
- ٢٢- لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٥٨.
- ٣٤- العناية بهامش فتح القدير، ج ١، ص ١٤٨.
- ٣٥- الفقه المالكي وأدلته، الحبيب بن طاهر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، دون دبعة وتاريخ، ج ٢، ص ٥.
- ٣٦- الفقه المنير في ضوء الكتاب والسنة، مجموعة من المؤلفين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دون طبعة ١٤٢٤هـ، ص ١٢١.
- ٣٧- ورد تخريجه.

- ٣٨- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصدقاء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشر ١٤١٣هـ-٢٠١٠م، ج ١، ص ٥٨٨
- ٣٩- موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م، ج ٣، ص ٩
- ٤٠- مسند البزار، أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، حديث رقم (١٠٣٢)، ج ٣، ص ٢٤٣
- ٤١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - لبنان - بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ-، ج ٣.
- ٤٢- الباب في شرح الكتاب، عبد الغني بن طالب حمادة بن إبراهيم، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العلمية - بيروت، دون طبعة وتاريخ، ج ١، ص ١٦٢.
- ٤٣- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار بن حزم للنشر - لبنان - بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، حديث رقم (٢١٩٥)، ج ٥، ص ١٨.
- ٤٤- مسند الامام احمد، ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث للنشر، القاهرة، ط ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، حديث رقم (٧٩٧٧)، ج ٨، ص ١٠.

الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية

أ.د. أ بكر عبد البينات آدم إبراهيم*

ملخص

تهدف الدراسة إلى التأكيد بأن الدبلوماسية في مفهومها العام بدأت منذ أن وجدت الإنسانية على هذه البسيطة. ومع تطور مفهوم الروابط الإنسانية من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة والقرية والمدينة. فالدولة الإسلامية في عهدها الأول ذات تاريخ حافل بالإنجازات في مجال نشر الدعوة الإسلامية، والتي ما زالت حتى اليوم تشكل منهجاً ذات قواعد ونظم ولوائح تستدعي منا الوقوف على حقيقة أبعادها، وتقديم رؤية تعارفية لبناء علاقات تؤكد عالمية الرسالة الإسلامية. وقد خلصت الدراسة إلى أن ممارسة عمل الدبلوماسية في الدولة الإسلامية يتطلب الالتزام بالمعايير الأخلاقية التي تحقق قيم الولاء للوطن. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأحياناً الاستقرائي لقراءة واقع الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية.

* جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان.

Abstract

The study aims to emphasize that diplomacy in its general concept has begun since humanity was found on this simple. As the concept of human ties evolved from the individual and family community to the tribe, village and city community. The Islamic State in its first era has a long history of achievements in the dissemination of The Islamic Da'wa, which to this day continues to be a method of rules, regulations and regulations that require us to know the reality of its dimensions and to provide a familiar vision for building relationships that confirm the universality of the Islamic message. The study concluded that practicing diplomacy in the Islamic State requires adherence to ethical standards that achieve the values of loyalty to the homeland. The researcher used the descriptive analytical and sometimes inductive approach to read the reality of Islamic diplomacy and its role in spreading The Islamic Da'wa.

مقدمة

الدبلوماسية بمفهومها المطلق وجدت منذ أن خلق الله الإنسان على هذه البسيطة، فهو كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً بعيداً عن أقرانه من البشر الآخرين فحياته ليست كاملة وشاملة بل أنه يحتاج لتكتملتها وشموليتها وسد النقص فيها بالتعامل مع الآخرين لفتح آفاقه واتساع مداركه العلمية والمعرفية، فكلما ازداد عدد البشر كلما كثرت احتياجاتهم وتعددت تجمعاتهم، وبالتالي ازدادت علاقات التواصل فيما بينهم، ويرى بعض المؤرخين أن اجتماع الإنسان الأول كان سببه الخوف من مظاهر الطبيعة ورغبته في العيش فعرف العلاقات الاجتماعية من زواج ومصاهرة وتزاور وعلاقات اقتصادية وأمنية وعسكرية وغيرها، حماية من مخاطر الاعتداء، وصد العدوان... الخ. ومع اتساع المجتمع وتطوره وانتقاله من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة والقرية والمدينة؛ اتسعت معها العلاقات الدبلوماسية، فالتصفح لتاريخ العلاقات البشرية يجد أن قيام الحضارات القديمة تمثل أحد حقول المعرفة الإنسانية، ثم تزايدت مع إزدياد الصلات والروابط بين المجتمعات البشرية. ومما دفع لزيادة الاهتمام بالعلاقات الدبلوماسية الأحداث الدولية المتلاحقة وما صاحبها من تطورات في مجال التسليح والتبادل التجاري والثورة العلمية والتكنولوجية، هذا بالإضافة إلى حركات التحرر العالمية وغيرها.

مشكلة الدراسة:

لا يخفى على القارئ الحصيف أن ما يتعرض له الإسلام اليوم من حملات منظمة وشرسة لتشويه علاقاته الدبلوماسية عبر التاريخ، ليس إلا لأسباب عقدية وسياسية ممثلة في التغريب والاستلاب العقلي والفكري.

فالسؤال هل عجزنا اليوم عن صياغة خطاب حضاري يجمع روافد الحضارة الإسلامية مؤصلةً بلغة يفهمها العالم الخارجي؟ فالمشكلة الحقيقية هي ليست في زيادة المنظومة الإسلامية في مجال حقوق الإنسان والقانون الدولي بقدر ما هي النقص التوثيقي الأكاديمي العلمي لهذه المنظومة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة في أنها تسعى إلى معرفة دور الدبلوماسية الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية في بناء العلاقات الدولية عامة، وفي صدر الدولة الإسلامية على وجه العموم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إن بناء العلاقات الدبلوماسية تتم من خلال مصداقية البعثات الدبلوماسية.
- التأكيد بأن للاتصالات الخارجية دور في بناء العلاقات الدبلوماسية بأبعادها المختلفة.
- إظهار أهمية ممارسة الدبلوماسية في بناء العلاقات الدولية.
- الكشف بأن للدبلوماسية الإسلامية دور كبير في بناء العلاقات الخارجية.
- التأكيد بأن الدبلوماسية الإسلامية لا تعتمد على بناء القوة العسكرية بقدر ما تعتمد على الصدق والأمانة.

أسئلة وفرضيات الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على الآتي:

- هل شكلت الدبلوماسية الإسلامية في صدر الدولة الإسلامية الأولى محوراً من محاور بناء العلاقات الدولية؟
- ما مدى مساهمة الدبلوماسية الإسلامية في عالمية الرسالة الإسلامية؟
- كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق معاني الدبلوماسية من خلال رسائله للملوك والأمراء؟
- هل فرضت الدبلوماسية الإسلامية واقعاً جديداً أعاد تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الشعوب والأمم؟
- هنالك علاقة وثيقة بين رسائل النبي صلى الله عليه وسلم؛ وممارسة الدبلوماسية الدولية.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والاستقرائي لضبط دوافع التطور والنتائج المترتبة على الصفات المميزة للدبلوماسية الإسلامية.

مفهوم الدبلوماسية لغة واصطلاحاً:

لغة: الدبلوماسية كلمة يونانية الأصل مشتقة من لفظة "دبلوما" (diploma) عند الإغريق. ومعناها الطَوِيُّ والثَّنِي^(١). وقد تطور مفهوم النشاط الدبلوماسي نسبياً عندما مارسه الرومان منذ قرون خلت ثم ممارسته العرب في الجاهلية، وعندما جاء الإسلام صار من دلالاته الشائعة ممارسة الكياسة واللباقة والمهارة في التعامل^(٢). ثم غدا العمل الدبلوماسي مصطلحاً متكاملًا له أسسه ونظرياته ومعالمه وامتيازاته وأحكامه الدولية المتعارف عليها، والتي يقصد بها

(١) ابن منظور (١٣١٤هـ). لسان العرب. دار العلوم، بيروت، ط٢ ص٤٣٢.

(2) Ian Brownel, Principles of Public International Law, C, Press Oxford 1966, p: 276.

في النهاية إتقان فن إدارة العلاقات بين الدول وتوثيقها وتنميتها نحو الأفضل في زمن السلم، وفض المنازعات ونحوها^(١).

أما كلمة السفارة فمشتقة من الفعل "سفر" وتعني وضح وانكشف وارتحل، ويعود كلمة سفير إلى سفر، ويقال سفريين القوم أي أصلح، ومصدرها سفر وسفارة بكسر السين وفتحها، وقيل للوكيل ونحوه سفير، وسفر الشيء سفيراً أي أوضحه وكشفه، فالسفير بمعنى قطع المسافة والخروج للترحال، ويقال سفر الرجل سفيراً فهو سافر مثل راكب وصاحب^(٢). ولا سيما تلك التي كانت تحتوي على اتفاقيات ومعاهدات مع قبائل وجماعات أجنبية أخرى. وفي القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين استخدمت مصطلح الدبلوماسية لتشير إلى فن إدارة وتوجيه العلاقات الدولية في بناء المفاوضات^(٣).

اصطلاحاً: الدبلوماسية عبارة عن عملية سياسية تستخدمها الدولة في تنفيذ سياستها الخارجية بالتعاون مع الدول في إدارة علاقتها ضمن المنظومة الدولية. وقد اشار معجم اكسفورد بأن للدبلوماسية عدة تعريفات منها: "أنها إدارة العلاقات الدولية بواسطة السفراء والمبعوثين وهي علم وفن". وعرفها (فضل زكي) على أنها: "علم وفن وتنظيم العلاقات الدولية التي يمارسها المبعوثين والممثلين الدبلوماسيين من خلال المفاوضات"^(٤)، كما عرفها تشارلس كالفور على أنها: "علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول والنتيجة عن المصالح المتبادلة والنابعة من مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات الدولية" ويرى سرحان على أنها الطريقة التي يسلكها

(١) بو سلطان، محمد(١٩٩٩م). مبادئ القانون الدولي العام. دارالغرب للنشر، الجزائر، ط١ ج٢ ص١١.

(٢) ابن سيد الناس(بدون تاريخ). عيون الأثر، طبعة المعرفة، بيروت، ط٢ ص٢٥٩.

(٣) حسين، عدنان السيد(٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية، دار أمواج، بيروت، ط٣ ص١٢٥.

(٤) محمد، فاضل زكي(١٩٧٣م). الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، بغداد، ط٣ ص١٨.

القانون الدولي لتسهيل قيام علاقات ودية سلمية بين الدول وذلك بغية القضاء على ما قد يكون هنالك من تضارب في الرأي وتنازع في المصالح المتبادلة" ويرى روبرت دي كانتور على أن الدبلوماسية هي إحدى وسائل تنفيذ السياسة الخارجية أي أنها: "فن ممارسة إجراء المفاوضات مع دول أخرى في عملية تنفيذ السياسة الخارجية بصورة رسمية تهدف الى تعزيز المصالح الوطنية في الخارج"^(١). وهناك من يعزي الدبلوماسية إلى الوظائف التي تؤديها والذي يتمحور في أربع وظائف رئيسية هي الإقناع، التسوية، الاتفاق والإكراه. وما تقدم فإن جميع التعريفات تشير إلى أن الدبلوماسية هي فن المفاوضة لإدارة العلاقات الدولية وإبعاد شبح النزاعات الدولية التي تؤدي إلى القضاء على العلاقات الدولية. فالرسول هو صاحب الرسالة الذي يتابع أخبار بعثته، والسفير هو الرسول والمصلح بين القوم^(٢)، وقد استعملت الكلمتان، اصطلاحاً بمعنى واحد، للموفد الدبلوماسي، وإن غلب أحياناً المدلول الديني في استعمال كلمة الرسول، وغلب معنى الوساطة والإصلاح في استعمال كلمة السفير. فعند سماع هذه الكلمة فإنه يتبادر للذهن أن لها ارتباطاً مباشراً بالعلوم السياسية بشكل عام، وبأنها ترتبط بالعلاقات بين الدول، أي أنها ذات صلة بالعلاقات الدولية حيث أن كثيراً من الناس يستخدم هذه الكلمة في حياته اليومية عندما يريد أن يصف إنساناً لبقاً في التعامل وقادراً على أداء مهمته بكفاءة عالية ولباقة واضحة، فيقول عنه أنه إنسان "دبلوماسي". أي لديه قدرة وفن في التعامل، ومن أشهر التعاريف:

(١) حسين، عدنان السيد (٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية. دار أموج، بيروت، ط٢ ص١٢٥.

(٢) ابن منظور (١٣١٢هـ). لسان العرب. دار العلم، بيروت، ط٢ ص٢٥٤.

المصالح المشتركة، وتمثيل الحكومات في المحافل الدولية الخارجية.
أسس وأهداف الدبلوماسية الإسلامية:

كان العرب في الجاهلية يعقدون التحالفات لتأمين تجارتهم فكثرت اتصالهم بشعوب الدول المجاورة، كما استهوى البيت الحرام في مكة أفئدة أهالي الأقاليم المجاورة فوجد العرب فرصة لتجميع رؤساء القبائل وحكامها في الأشهر الحرم، فكانوا كثيراً ما يلجأون إلى عقد الهدنة المؤقتة عن طريق تبادل الرسل لحل ما تبقى من خلافات بالحوار والتفاوض سلمياً، وذلك لتأمين مرور قوافلها من الشام في الشمال، حيث توجد إمبراطورية الروم وإلى اليمن في الجنوب، وذلك في رحلتي الشتاء والصيف، اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ • إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ١-٢]. وتقوم الدبلوماسية الإسلامية على تعاليم الشريعة الغراء وهي تنهل منها لتعكس بوضوح تطلعات الإسلام لقيم الإنسانية النبيلة التي تدعو إلى توثيق العلاقات وتبادل المصالح بين الشعوب بناءً على الأسس التالية:

١- التعريف بالإسلام ومبادئه وفضائله والدعوة إليها: حيث جاء في رسالته صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم: "من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. . . .". وقد جاء ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٢- حل الخلافات والنزاعات بالطرق السلمية: ويتجلى ذلك في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش ليطلعهم على حقيقة

قدومه، وأنه يريد العمرة ولا يريد الحرب، وهو مستعد للتفاهم إن أرادت قريش ذلك، وقد كان له ما أراد، فأرسلت قريش سهيل بن عمرو إليه فاتفقا على صلح الحديبية، فكانت الفتح المبين (فتح مكة).

٣. تنمية العلاقات الإنسانية: تهدف الدبلوماسية في الإسلام إلى تكوين علاقات إنسانية بين المسلمين وغيرهم، وتنمية هذه العلاقات بالوسائل المشروعة والتواصل الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي والعلمي والفني. . ويشهد لذلك اختلاط المسلمين بقريش بعد صلح الحديبية، وتبادلهم معها المصالح الاقتصادية والمعيشية والمعارف الثقافية، فضلاً عن توثيق العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين الطرفين.

٤. تنفيذ السياسة الخارجية للدولة، وكسر إدعاء بعض المستشرقين الذين يدعون بأن المسلمين في علاقاتهم الخارجية لم يعرفوا إلا السيف لمن لم يؤمن بكتابهم، فألصقوا بالإسلام تهماً ومزاعم باطلة، على الرغم من أن هذه المزاعم لا تقوى على الصمود أمام الدراسات الموضوعية والبحث العلمي النزيه. كذلك استمروا في الادعاء في السنوات الأخيرة بأن الإسلام دين إرهاب، وأن النظم الإسلامية وسياستها الخارجية مبنية على التطرف والإرهاب، لتشويه صورة الإسلام وأنظمتها أمام العالم، والوسيلة الأولى لصناع القرار لإقناع الآخرين بحركة التفاعل الدولي بين المسلمين وغيرهم. ووسيلة من وسائل التفاوض والتمثيل، وكثيراً ما تستخدم لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين مصالح الأطراف المختلفة. وقد نشأت فكرة الدبلوماسية الإسلامية لتحقيق الأهداف التالية:

١. القيام بالاتصال والتباحث من أجل بناء علاقات دولية.

٢. الدعوة إلى عقد علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية.
 ٣. تطوير العلاقات الدولية ونبذ الحروب، والدعوة للمفاوضات وعقد الصلح والاحتفال بإرساء قواعد السلام.
 ٤. محاولة تشجيع قيام جماعات سياسية من أجل التحالف والمساندة كوسيلة لرعاية السلام (مثل حلف الفضول وحلف الطيبين).
 ٥. تبادل الرسل والمبعوثين من أجل نشر الدعوة الإسلامية.
 ٦. تحقيق السيادة الوطنية، وإثبات الذات في المجتمع الدولي حيث يتم ممارسة الدبلوماسية بمظاهرها كافة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات.
 ٧. وسيلة لتحقيق السلام في حركة تفاعل المجتمع الدولي لذلك فهي تدخل في دائرة المدرسة المثالية (الأخلاقية - القانونية)، والتي تتفاءل ببناء عالم خالي من النزاع والصراعات.
- لذلك سعى الإسلام لتنظيم العلاقات الدبلوماسية في حال السلم والحرب من خلال الممارسات التالية:
- التحكيم: كان التحكيم معروفاً بين قبائل الجزيرة العربية منذ القدم، وعندما جاء الإسلام اثبت الشرع الإسلامي جواز التحكيم كطريقة سلمية لتسوية المنازعات في مجال القانونين الخاص والعام وإقرار صحة التحكيم سواء كان التحكيم بين فريقين مسلمين أو بين مسلم وغير مسلم^(١). كما مورس التحكيم في الشريعة الإسلامية بموجب سوابق النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان صلى الله عليه وسلم أول محكم في الخلاف الذي دب بين قبائل

(1) Afdal Iqbal : The Prophet's Diplomacy, U.S.A 1975, p. 53.

قريش في مكة المكرمة عندما اختلفوا في رفع الحجر الأسود فجاء حكم النبي صلى الله عليه وسلم ضامناً لحفظ الحقوق والدرجات في نيل ذلك الشرف، ومنعاً للفتنة بينهم، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩].

• الوساطة: أوصى الشرع الإسلامي بالوساطة لحل النزاعات بين الجماعات الإسلامية وغيرهم كما حرم الاعتداء حتى على غير المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وفي هذه الآية وجوب التعاون في سبيل تحقيق السلام الدولي القائم على العدل والقسط، كما أمرت بالمصالحة والوساطة كتدبير وقائي دبلوماسي حتى لا يقع الطرفان في العقاب الرباني. وهنا لا بد من التنويه بأن القواعد الشرعية التي تحكم العلاقات الدولية في الإسلام هي قواعد عالمية تطبق على جميع الشعوب من غير تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الجنسية أو المعتقد لأن الإنسان هو غاية الإسلام والناس أمة واحدة. وهذا الحكم هو الأساس لما يسمى حالياً بحق الدفاع الشرعي في العلاقات الدولية.

• الصلح: الصلح في الإسلام إما أن يكون مؤقتاً كصلح الحديبية حيث كان مدته عشرة سنوات أو أن يكون دائماً كإنهاء الحروب والنزاعات وغيرها، وعقد الصلح في الإسلام مشروط بوجود المصلحة، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا

إِنَّكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿[النساء: ٩٠]﴾، ولعل أجمل ما قيل في الصلح القول المأثور للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك والله فيه رضا . . . فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل."

مميزات رسائله صلى الله عليه وسلم:

• الإخلاص في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: فالدعوة إلى الله دعوة إلى بناء قيم العلاقات الاجتماعية، في العلم والحياة والخلق، والإبداع في الذات، وبالنفس والقدرة على الطاعة والعمل. وبالرغم من المحن والمصائب التي ألمت به صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين، إلا أن سفراءه قد تمكنوا من تحقيق الأهداف الاستراتيجية في بناء العلاقات الدولية، حتى وصلوا بالإنسانية إلى مصاف الإيمان بالله رباً؛ وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، لأنه كان عليه الصلاة والسلام مدركاً بذوات النفس البشرية، وخبير بطب القلوب ودوائها.

• عرض الدعوة بالتالي هي أحسن: في الوقت الذي أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بأمره، خرج إلى القبائل داعياً إلى الله يسألونه فيجييبهم بما يوحى إليه، حتى أصبح موضوعية الوحي يشكل جزءاً من حديث الناس في كافة أنحاء المدينة المنورة وخارجها، وهذا ما نلاحظه عندما مثل سفراءه هذا الدور خير تمثيل، فهم دعاة ودبلوماسيون للدعوة الإسلامية بالهداية والإرشاد، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُوِّرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿[الصف: ٩]﴾، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "ليظهره على الدين كله" أي حتى خروج عيسى عليه السلام " (لِيُظْهِرَهُ) أي يطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الأديان حتى يكون عالماً بها^(١).

• تحقيق الوحدة الدينية والسياسية: جاء الإسلام ومجتمع الجزيرة العربية في مفترق الطرق، فحاول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني مجتمعاً تعمه الوحدة لتحقيق هدف الاستخلاف في الأرض، وتأكيد أهمية العلاقات الدولية وتبسيط مفهوم الدعوة الإسلامية لغير المسلمين.

• مخاطبة العقل: يرى الأدباء أن الأديب يحرك قوته العقلية نحو الأعمال الصالحة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحمل في طياته قواه العقلية وكل مكونات العقل الراجح الذي يستمد قوته من الوحي الإلهي، لذلك كانت خطاباته إلى الملوك والأمراء لا تحتاج إلى تكليف أو إلى كبير عناء، لأن منبعها القراءن الكريم.

• صرف أنظار وعقول معارضيه إلى العقيدة الصحيحة التي تفيدهم وتنفعهم، وإنقاذهم من كل ضلالة أو مصيبة تحيط بهم، حيث جاءت في بعض رسائله صلى الله عليه وسلم "ادعوك بدعوة الإسلام. . . الخ"^(٢).

وقد جاءت دعوته عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الملوك والأمراء من

العرب والعجم لتحقيق الأهداف التالية:

(١) القرطبي (بدون تاريخ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ج٩ ص١٧-١٨.

(٢) الألوذي، عبدالله آدم (١٩٩٧م). تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم. مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ص١٧.

١. إصلاح الأوضاع العالمية الفاسدة: عندما طغت الوثنية علي التوحيد في كل بقاع العالم، حتى صارت كأنها هي الأصل في الأديان، أرسل الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بالحجة البالغة وليؤكد وجوده سبحانه وتعالى، وترك عبادة الأصنام والأوثان؛ التي انتشرت في مكة والمدينة المنورة وفي سائر أنحاء العالم لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

٢. جمع رسالات السماء في دائرة واحدة: كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة فأنزل معه الكتاب الذي أصلح ما فسد من أحوال الأمم، فدعا أهل الكتاب إلى دين الحق لقوله تعالى: ﴿قُل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦١]. فالدعوة إلى جميع ملوك الأرض تأكيد إلى أن الملك لله الواحد القهار، ولبناء علاقات دولية تقوم على مبدأ الاعتراف بالرسالة الجديدة.

٣. التأكيد بأن الوفاء بالعهود د خصلة من خصال المرسلين والمؤمنين والصادقين، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

٤. رد أهل الكتاب من الضلال إلى الهدى: لقد أرسل الله عز وجل رسوله هداية للناس كافة حتى لا تتبع كل أمة هواها من دون الحق لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿المائدة: ٤٨﴾ .

٥. إتمام مكارم الأخلاق: لقد عز الله الإسلام والمسلمين بمكارم الأخلاق
ومحاسن الأعمال مع الأفراد والجماعات لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]،
وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

صفات الدبلوماسيين في صدر الدولة الإسلامية:

كان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لسفرائه ينبع من معرفته بأحوالهم
وصدقهم واماناتهم في تحمل رسالة الدعوة إلى من هم أعداء لهذه الرسالة،
وقد أعد صلى الله عليه وسلم هؤلاء الرسل إعداداً روحياً ومادياً، فأرسي
لهم قواعد أساسية لبناء علاقات التواصل الدولي بما يؤهلهم في نشر الدعوة
الإسلامية، فتوفرت عندهم القدرة الفائقة في إتقان أساليب الحوار والمجادلة
بالتي هي أحسن عندما أدركوا لغات تلك الشعوب والأمم. وقد تحلى السفراء
بالصفات التالية:

١. الكفاءة العالية في العلم والمعرفة بأحوال الأمة لأنهم دعاة قبل أن يكونوا
سفراء، وهذا ما جاء عن ابن الفراء قائلاً: " اختر لرسالتك في هدنك
وصلحك ومهمتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلاً حصيماً بليغاً، وقلباً قليل
الغفلة منتهز الفرصة، إذا رأى جزل وقول فصل، ولسان وقلب حديد
فطناً. . . ومستقلاً لما ترجو. . . وإصابة الرأي منطقياً له بالحذر والتمييز.
. . الخ" (١)

(١) ابن الفراء (١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط٢ ص٣٣.

٢. حسن السلوك: تحلى السفراء بالصفات الخلقية التي تؤهلهم لأن يحفظوا صورة الإسلام لمن يرسل إليهم، وإقامة الحجة وإقناعهم بالأدلة الموضوعية، وهناتقتضي الأمانة والنزاهة في حفظ الأسرار، فعلى المحاور والمناقش أن يتحلى بالصبر والمثابرة والشجاعة والثبات عند المبدأ^(١).

٣. الصدق في القول: من أولويات السفراء أن يجعلوا الإسلام حياً في كيانهم، وأن يسعوا إلى تطبيقه، وأن يخلصوا أمرهم كله لله حقاً وصدقاً، وعليهم أن يعرفوا أن المخالفة بين قولهم وفعلهم أمر مذموم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]، فالمخالفة نوع من أنواع النفاق الذي لا ينبغي أن يتصف به رجل الدعوة، ومن المعلوم أن الناس يقدرون الأشخاص الذين يتصفون بالصدق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ومن أوجب واجبات الدبلوماسية أن يؤمن إيماناً صادقاً بنظام الدولة التي يمثلها وينتمي إليها، ويعرض مبادئه وأفكاره وقيمه من خلال تعامله الكريم وخلقته الحسن، بعيداً عن العبث والفظاظة، حيث لا تؤثر فيه المغريات ولا تزعزعه الأوهام، وقد وُصف جعفر بن أبي طالب سفير المسلمين إلى الحبشة بأنه أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم خلقاً وخلقاً، وكفى بهذا ثناءً ومدحاً.

٤. فهم طبيعة المدعوين: علي الداعية أن يعرف طبيعة المدعوين ولسانهم ومعتقداتهم، حتى يتم مخاطبتهم بقدر عقولهم، لأن معرفة خصائص

(١) فودة، عزالدين (١٩٦١م). الوجيز في فن التفاوض. مطبعة جامعة بغداد، العدد العشرون، ص ١٤٩.

- النفس من أهم أسباب نجاح الدعوة .
٥. الصفات الخلقية: وهي صفة وهبها الله سبحانه وتعالى لبعض من عباده خاصة في الأمور التي تقتضي الحوار والمجادلة والمناقشة، وأماننا دحية الكلبي سفير رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم .
٦. الكفاءة الوظيفية: ويراد بها معرفة أصول العلاقات الدولية في زمن الحرب وزمن السلم، ناهيك عن الاتصاف بسعة العلم والمعرفة، والذكاء، والنباهة، واللباقة، والبصيرة الثاقبة وشدة التيقظ للمفاجآت، واهتبال الفرص واغتنامها لتحقيق أهدافه^(١) .
٧. حسن الهيئة: أولى المسلمون عناية لافته بمظهر السفير الخارجي ولياقته ووسامته، لأن ذلك أول ما يقع عليه النظر، وبه يتأثر العامة والخاصة، قال ابن الفراء: " يُستَحسن في الرسول تمام القدِّ، وامتداد الطول، وصلابة الجسم وامتلاؤه، فلا يكون قصيراً أو نحيفاً، لعل تقتحمه العيون فتزدرية، وإن كان المرء بأصغريه قلبه ولسانه، لكن الصورة تسبق اللسان، والجسم يستر الجنان"^(٢) .
٨. الفصاحة وحسن البيان: ينبغي أن يكون الدبلوماسي فصيح اللسان وحسن البيان، متقناً لغة من أرسل إليهم؛ حتى يتمكن من إبلاغ ما يريد والتعبير عنه بسهولة ويسر، والقيام بمهمته، ومعالجة الأمور دون تباطؤ أو عجز أو اضطراب أو تكلف .
٩. معرفة أحوال الدولة الموفد إليها: ينبغي أن تتوفر في الدبلوماسي المعرفة بالأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية والمعيشية في الدولة الموفد إليها،

(١) ابن هشام (بدون تاريخ). سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، ط٢ ج٢ ص١١٩ .

(٢) ابن الفراء (١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط٢ ص٣٨ .

فضلاً عن إمامه بعاداتهم وتقاليدهم؛ ليكون ذلك أقرب إلى التفاهم معهم وأجدى في تحقيق مهمته، وتنمية العلاقة بين دولته والدولة التي أوفد إليها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم منح بذاته الحصانة لبعض سفرائه، وقد اتبع الخلفاء الراشدون ذات النمط في تفعيل مفهوم الدبلوماسية الإسلامية، لاسيما وأنهم كانوا يمثلون السفارات الإسلامية في الخارج^(١)، لأن الفتح الإسلامي لا يتخذ من الحرب وسيلة لإبلاغ الأعداء بالدعوة، إذ لا يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة الإسلامية^(٢). وقد عامل الخلفاء الراشدون مبعوثي الملوك والأمراء المعاملة نفسها التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل رسله. فقد منح أبو بكر الصديق رضي الله عنه الامتيازات للرسول، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وإعفائهم من ضريبة العشر^(٣). واهتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بديوان الرسائل^(٤). واستخدم المرأة في المفاوضات مع الروم، وأمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتخصيص مبالغ مالية معينة من بيت مال المسلمين لاستقبال الرسل الأجانب وتغطية نفقات إقامتهم^(٥). كما اهتم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، بالرسول الأجانب واعتبرهم معبرين عن مرسلهم، ووضع العديد من القواعد الدبلوماسية، منها قوله: "رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك". وهذا يؤكد بذلك أن الرسول يعبر عن رأي مرسله وأن ما يقوله لا ينسب إليه، فلا يحاسب عن أقواله. فكان اختياره صلى الله

(١) ابن الأثير (١٩٦٥م). الكامل في التاريخ، الجزء ٢، بيروت، ط ١ ص ٣٠٠.

(٢) المرغنياني، أبي الحسن (١٩٦٣م). الهداية، شرح بداية المبتدأ. دار الاندلس للطباعة، القاهرة ط ١ ج ٢ ص ١٣٦.

(٣) ابن الأثير (١٩٦٥م). الكامل في التاريخ. دار الجليل، بيروت، ط ١ ص ٢٩٤.

(٤) حسن، إبراهيم حسن (١٩٦١م). تاريخ الإسلام، دار الأرقم، القاهرة، ط ٢ ص: ٢٤٧.

(٥) العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٦٠م). المسلمون والجرمان. دار وهبة، القاهرة، ط ١ ص ٢٨٦.

عليه وسلم لسفرائه قدوةً ونبراساً يفوق الإنسانية أجمع كيف لا وهو القدوة الحسنة، الذي أرسله المولى عزوجل للناس كافة بشيراً ونذيراً وداعية إلى الله بمنهج أذهل بطارقة الروم وأكاسرة الفرس، لذلك كان من الطبيعي أن يحملوا سفراؤه بعض صفاته وشمائله فأصبحوا يعرفون قواعد تقديم الحجة البالغة في الإقناع والقيادة. ومما لاشك فيه أن لوحدة الكلمة أهمية كبرى في تسيير أمور الأمة. فالدول التي تتفاخر فيما بينها بقوة الوحدة الوطنية وحرص جميع المواطنين على المصلحة العليا للوطن ومقدراته واستعدادهم للدفاع عنه بكل ما أوتوا من قوة تكون أكثر التزاماً في الأقوال والأفعال، لذلك كلما كان هناك انسجام وتناغم بينهما كلما كان الوعي والإدراك أكثر فاعلية، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

دورهم في نشر الدعوة الإسلامية:

بدأ صلى الله عليه وسلم مهمته في تبليغ الدعوة الإسلامية بإرسال سفرائه إلى الملوك والامراء والزعماء لبدأ صفحة جديدة من صفحات بناء العلاقات الدولية بعد صلح الحديبية في نهاية السنة السابعة للهجرة التي فتحت آفاقاً جديدة للخروج بالدعوة الإسلامية من المحيط المحلي إلى الإقليمي ثم الدولي، حيث بدأ مسيرة الدعوة بتحرير رسائل وخطابات مشفوعة بمنهجية الحوار والمجادلة والنقاش مع عدد من الصحابة الكرام ليحملوا بشارة الدعوة إلى ملوك العالم أجمع، وقد أعدهم إعداداً جيداً، للقيام بهذه المهمة الإعلامية الكبيرة، وحملهم الأمانة، وأوصاهم بأن لا يختلفوا مع هؤلاء الأمراء كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام قال ابن اسحق: (أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على أصحابه بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال لهم: "أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يارسول الله؟ قال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم. وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وثاقل فشكا ذلك إلى الله فأصبح المتناقلون يتكلمون بلغة الأمة التي بعث إليها"^(١). هكذا استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعد سفراءه إعداداً كاملاً فكانوا يعرفون كل فنون الكتابة والخطابة والترجمة والفصاحة، واللغات واللهجات المختلفة (كالعبرانية والفارسية واليونانية والحبشية). ومن خلال ما ورد ندرك أن هؤلاء السفراء ليسوا دبلوماسيين فقط بل هم هداة مهذبون لنصرة الحق بالحوار والإقناع وإفحام الخصوم. وعندما استقر به المقام في المدينة المنورة، وكوّن الدولة الإسلامية الأولى، تصدّى في خلال سنواتها الخمس الأولى للحملات العسكرية التي كانت تشنها قريش على المسلمين، ثم بادر في السنة السادسة من الهجرة بالخروج إلى مكة لأداء العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه، فصدته قريش عن دخول مكة، وأرسلت إليه وسطاء ورسلاً حاولوا ثنيه عن دخول مكة، ومن هؤلاء: بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم الحليس بن علقمة، ثم عروة بن مسعود الثقفي. غير أن هؤلاء الدبلوماسيون قد فشلوا تبعاً في تسوية الخلاف بين الطرفين وتقريب وجهتي نظريهما. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان سفيراً من طرفه إلى قريش، ليلبغهم أهداف هذه الرحلة الدينية التي جاء المسلمون من أجلها، وأنهم لا يريدون الحرب^(٢). لكن

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم، بيروت، ط١ ص٦٩.

(٢) دويدار، أمين (بدون تاريخ). صور من حياة الرسول. دار المعارف، بيروت، ط٢ ص٤١٩.

قريشاً احتبست عثمان عندها فشاع الخبر بأنه قتل، فأقبل الصحابة يبائعون النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على قتال قريش حتى الموت؛ جراء ما أشيع عن قتلها لعثمان بن عفان مبعوث المسلمين، لأنهم انتهكوا الأعراف الدبلوماسية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. ثم ما لبثت قريش أن أدركت حرج الموقف فأطلقت عثمان بن عفان، وأرسلت سهيل بن عمرو مبعوثاً جديداً، فاوض النبي صلى الله عليه وسلم حتى تم الاتفاق بينهما على مجموعة نقاط، وسُمِّي هذا الاتفاق "بصلح الحديبية"^(١). ثم لم يمض شهران على هذا الصلح حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكاتبة الملوك والأمراء داخل الجزيرة وخارجها، ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يمثلان المصدران الأساسيان في بناء العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين، لأنهما تضمنا الكثير من القواعد والأخلاقيات التي قامت عليها المعاهدات بين الدولة الإسلامية في صدرها الأول وبين الإمارات المجاورة لها، ومعنى هذا أن الدين الإسلامي أكثر وضوحاً في التأثير والإقناع وفي التنظيم الإداري، وفي معاملة الناس، كما يحمل في طياته منهجاً خاصاً بالإعلام يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الغرض منها العناية بالرأي العام، وتحديد الوظائف المنوطة بأهمية العمل الدبلوماسي في الإسلام.

نماذج من رسائله صلى الله عليه وسلم للملوك والأمراء:

- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر حيث يوجد

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ط٢ ص ٢٣٤.

المقوقس بالإسكندرية، فلما وصل إليه سلمه الكتاب دار معه حواراً طويلاً جاء فيه^(١):

المقوقس: ما منعه أن يكون نبياً؟، وأن يدعو على من خالفه؟

حاطب: أأست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟

المقوقس: أحسنت أنت حكيم من عند حكيم.

حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة

والأولى، فانتقم منه إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه

قريش، وأكثر عداوةً له اليهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري

ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد

صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك بالقراءن إلا كدعائك لأهل

التوراة بالإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن

يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهك عن دين المسيح

بل نأمرك به.

ثم دار حواراً آخر جاء فيه:

حاطب: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

المقوقس: ما الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم؟

حاطب: يدعو إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة، والوفاء بالعهد وينهى

عن أكل الميتة والدم.

ومن خلال ما سبق من هذا الحوار الذي دار بين حاطب والمقوقس

يظهر لنا قوة شجاعة وفصاحة حاطب حين استطاع يوصل رسالة المصطفى

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). مصدر سابق، ص ٥٨٠.

عليه أفضل السلام وأن يقنع المقوقس بأن هنالك نبيّ بعث رحمةً للعالمين كافةً. ورغم عدم دخول المقوقس في الإسلام إلا أنه أرسل معه هدايا للرسول صلى الله عليه وسلم وجاريتين هما: ماريا القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها سيرين^(١). ومن أبرز المقومات الدعوية التي يمكن أن نستخلصها من هذه الرسالة الإعلامية:

١. إظهار جانب الرفق والرأفة مما ساعد في كسب نفسية المدعو.
٢. التوافق بين الأديان السماوية في إجابة الدعوة.
٣. احترام المدعو دليل على قوة الحجة والإقناع.
٤. شمولية الدعوة الإسلامية في كفالة حرية الاعتقاد.
٥. ظهر من أول الأمر فاعلية استخدام الاتصال المباشر في سرعة الإقناع دون عصبية.

رسالة شجاع بن وهب إلى الغساني:

أما الحارث الغساني فقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم رمى به، وعزم أن يسير إليه ليقاتله، ولكن تراجع عن قراره عندما فشل في تكوين حلف بينه وبين قيصر ملك الروم الذي رفض التعاون معه. أما ملك اليمامة فظن أن الأمر ملك لا نبوة، فطمع أن يكون له بعض هذا الملك، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله فاجعل لي بعض الأمر فأتبعك" فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه قال: "لو سألتني سبابة (البلحة) من الأرض ما فعلت"^(٢).

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ط١ ص٣٣٩.

(٢) هارون، عبد السلام (بدون تاريخ). تهذيب سيرة ابن هشام. دار العلم، بيروت، ط٢ ص٣٦٤.

رسالة دحية الكلبي إلى عظيم بصرى:

الذي جاء فيها: "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا على كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون"^(١).

رسالة معاذ بن جبل إلى اليمن:

ذكر بن اسحق: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذاً إلى اليمن أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: "يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك مفتاح الجنة فقل لهم: "شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"^(٢).

رسالة عبدالله بن حذافة إلى كسرى عظيم الفرس:

بينما أخذ كسرى ملك الفرس يمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نائبه على اليمن أن يبعث إلى هذا الذي يدعي النبوة أن يأتيه به، فبعث (بازان) برجلين، فلما قدما علي النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما: من أمركما بالمجئ هنا؟ قالوا ربنا يقصدان كسرى فقال لهما: "أبلغا صاحبكما أن ربي قتل رب كسرى في هذه الليلة" فرجعا إلى بازان فأخبراه بما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينما هما في مجلس "بازان" أتاه الخبر بقتل كسرى على يد ابنه (سيرويه) فأسلم (بازان)، وأسلم من معه باليمن من أبناء

(١) البخاري(١٩٨٧م). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ج٣ ص٣١.

(٢) هارون، عبد السلام(بدون تاريخ). مصدر سابق. ص٣٦٢.

الفرس^(١). كل تلك الإشارات والدلائل تؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته بالتي هي أحسن، حتى عمت بشائر الدعوة الإسلامية بلاد العرب والعجم دون تفریط أو تمييز، وما تناقله من أخبار النبوة والعصمة في قول الفصل دلالة على أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ومن أبرز النقاط في بناء العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين والفرس:

١. قوة الرسالة التي حملها عبدالله بن حذافة السهمي إلى الملك كسرى (ايدويز) والتأكيد بأنها رسالة عالمية تحمل في طياتها قوة ومثانة الدبلوماسية الإسلامية.

٢. الدعوة إلى التوحيد بالأدلة القطعية دون الظنية.

٣. الدبلوماسية الفائقة التي امتازت بها رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملك كسرى.

٤. الإيجاز والبيان في خطابه صلى الله عليه وسلم دليل على معرفته بقيمة العلاقات الدولية.

٥. جاء في معظم رسائله صلى الله عليه وسلم عبارة "سلام على من اتبع الهدى" وهذا دلالة على عالمية الدعوة الإسلامية.

رسالة عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي:

عندما خشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه من قريش مكة، خوفاً من أن يفتنوا في دينهم أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وأخبرهم بأنهم سيكونون تحت حماية ملك عادل، وأوصاهم بتقوي الله والصدق في القول، وهذا ما جاء في قول ابن كثير: "ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) دويدار، أمين (بدون تاريخ). مصدر سابق. ص. ٥٠٠.

وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هم فيه من العافية، قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه"^(١). فالحق كانت الهجرة الأولى وسيلة من وسائل الاتصال الشخصي والجمعي بين المسلمين وأهل الكتاب (النجاشي)، وليس مجرد خروج كما يزعم البعض فكانت مقدمة الوفد تمثل الرسالة الأولى لبناء علاقات التعاون والتآلف، وخلق أرضية صلبة لإنتشار رسالة الدعوة الإسلامية، فاستمر المسلمون في تلك البقعة الجديدة إلى أن يسر لهم المولى عزّ وجلّ بالهجرة الثانية التي تمثل قمة الدبلوماسية الإسلامية برئاسة جعفر بن أبي طالب سفير رسول صلي الله عليه وسلم إلى الحبشة. ويرى الباحث أن قوة الرسالة الإعلامية التي استخدمها سفير الأمة جعفر بن أبي طالب لمقارنة الحجّة بالحجة أفضت إلى ظهور النتائج التالية:

- كشف الحوار أن الحبشة هي أرض صدق ومأمن بين أهل الكتاب والمسلمين.
- عدالة ملك الحبشة هي ضمان لقبول البعثة، وبناء علاقات دولية بين الدولتين.
- فشلت الدعاية التي استغلتها قريش مكة من أجل إضعاف رسالة الدعوة، والعمل على إثارة الحقد والاحتقان بين الإثنيات المختلفة في دولة الإسلامية.
- الاختيار الموفق للسفير الذي يحمل في طياته كل أساليب البيان والفصاحة والحجة والإقناع، وقدرته الفائقة علي تحريك الكوامن الدينية عند

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم، بيروت، ط١. ص٢٧٨.

النجاشي وبطارقته. وأهم ما يمكن أن نستخلصه من الدروس والعبر في بناء العلاقات الدولية على ضوء ذلك الحوار الآتي:

١. أن اختيار الوقت والمكان المناسبين للحوار سبب أساسي في تقريب وجهة النظر بين الطرفين.

٢. الاحترام والاعتراف بالآخر شكل القواسم المشتركة التي يمكن أن تجمع كل مظاهر التعايش والتآلف والسلم بين الديانتين.

٣. عرض المحاسن والمساوي بالأدلة والحجة الدامغة.

٤. الاختيار المناسب للألفاظ والأساليب التي تؤكد حقيقة رسالة الإسلام.

وقد روى ابن اسحق قائلاً: "ثم قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً حين بلغهم خبره فوجدوه في مسجده، فجلسوا إليه وناقشوه، وكان رجال من قريش في أندية حول الكعبة، وقد اطلع علي صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله التي ذكرت في كتاباتهم فلما فرغوا من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن الكريم، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله سبحانه وتعالى وآمنوا وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتاباتهم من أمره^(١). وعلى ذات النسق حرص النبي صلى الله عليه وسلم في تحريك الغريزة الدينية لهذا الوفد فتلا لهم القرآن فبكوا، واستمالهم إلى الإسلام فأمنوا فأصبح الدين عندهم عبارة عن مؤسسة اجتماعية يلعب دوراً كبيراً في التأثير على سلوك الأفراد في مختلف جوانب الحياة (المادية والروحية)، ولا يفوت علينا فإنه صلى الله عليه وسلم كان مدرك بعلم النصارى، وبيشارة

(١) ابن هشام (بدون تاريخ). السيرة النبوية. دار العلم. بيروت، ط ١ ص ٢٣٦.

عيسى عليه السلام؛ فوجد في ذلك مدخلاً إلى نفوس هؤلاء فنجح في دعوته لهم إلى قبول التعايش والتسامح بين الإسلام والمسلمين. ومما يدل على حسن استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب الاتصال الشخصي بين مدعويه، روى ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم في رحلته للطائف، التقى غلاماً اسمه عداس: "فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أهل قرية الرجل الصالح (يونس بن متى)، وعند ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس بن متى؟ فإني والله لقد خرجت منها وما بها عشرة يعرفون ما متى؟ فمن أين عرفت ابن متى، وأنت أمي في أمة أمية؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي أمي"^(١). ومن هنا نتلمس دلالة الرابطة الإنسانية من حيث الكرامة والاحترام فكان تعريفه بأنه نبي نقطة تحول في علاقة عداس بالإسلام. ومن أبرز صور الاتصال الفردي أو الشخصي لهذا الحوار تطور العلاقات الإسلامية المسيحية للإسباب التالية:

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن استقبال الوفود الذين يفدون إليه من خارج المدينة المنورة، وخاصة الذين يرغبون في معرفة الإسلام.
- حاول النبي صلى الله عليه وسلم بلورة مفهوم الدبلوماسية الإسلامية التي تدعو إلى بناء العلاقات الدولية.
- سعي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحدد مطلوبات التوافق في بناء علاقات تعايش بين المسلمين وأهل الكتاب سواء المقيمين في المدينة المنورة أو في شتى انحاء العالم.

(١) الحلبي، على برهان الدين (بدون تاريخ). السيرة الحلبية. دار المعارف، بيروت، ط ٥٤.

• دقة رسائله صلى الله عليه وسلم ساعدت في بناء العلاقات الدولية.
 وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: "إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى "أكيدر دومة" وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"^(١). وزودهم بكتب هي وثائق تؤيد صحة انتدابهم كما توضّح الغرض منه، كما بعث النبي الأمين المبعوثين السريين الموثوق بهم إلى البلاد التي يهتم بمعرفة أحوالها، فقد عين عمه العباس مبعوثاً سرياً في مكة، والمندر بن عمرو بن خنيس الساعدي المكنى في نجد، وكانت مهمتهم تزويد النبي صلى الله عليه وسلم بالمعلومات عن أحوال وأحداث الجهة التي بعثوا إليها، وفي المقابل كان صلوات الله وسلم عليه يستقبل وفودهم في مسجده بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، وجاء في سيرة ابن هشام: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلبسون أحسن الثياب عند استقبالهم الوفود والرسل"^(٢)، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يتقيد بهذا الأسلوب من الرسميات بل مارسه بالبساطة؛ حتى إن سفير قيصر الروم لما أوفده وجده نائماً تحت شجرة، ربما أن الخليفة عمر قد أراد أن يُري سفير قيصر الروم الفرق الشاسع بين البساطة التي يعيشها خليفة المسلمين، وبين الترف الذي يعيشه القيصر البيزنطي، ولم يخل الشرع الإسلامي من إبراز أهمية التمثيل الدبلوماسي كأحد الوسائل الأساسية للتواصل بين الشعوب، فالنظام الداخلي في خطوطه العريضة لدولة الإسلام قد وضع مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكتابه كتاب المواعدة

(١) الفارسي، علاء الدين بن بليان (بدون تاريخ). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط دار القلم، ط ٣، ج ١٤/ص ٤٩١-٤٩٢.

(٢) ابن هشام (بدون تاريخ). مصدر سابق، ص ٦٢٢.

بينه وبين اليهود والمشركين^(١). فكان كل صاحب رسالة يستقبل الوفود باحتفال ووفق المراسيم والعادات الإسلامية، فهم يحترمون تقاليد الدول التي يوفدون إليها ولا يخرجون عنها، إلا إذا تعارضت مع أحكام الدين الحنيف، كعادة السُّجود للملوك التي كانت شائعة في العهود القديمة. وكان المسلمون يعترفون للمبعوث الأجنبي بالحصانة، ولم يقصّر المسلمون صفةَ المفاوض الدبلوماسي على ممثلي الملوك والحكومات، بل كان التسامح الإسلامي يتسع إلى حدٍ إضافيٍّ صفةَ المفاوض على كلِّ من يجادل في موضوع يخصُّ الدعوة الإسلامية حتى إنَّ هذا التسامح أصبح قانوناً بأمر من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حدث لمبعوثي مسيلمة الكذاب مع أنهما أساءا القول. وقد أجمعت كتب السير على ذكر رواية أبي رافع الذي جاء إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موفداً من قريش، وبعد مُثوله بين يديه، آمَنَ وعزم على ألا يرجع، فقال له النبيُّ: "ارجع، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن، فارجع إلينا"^(٢)، وهذا الحادث يدل على مدى تقدير الرسول للأمانة التي يجب أن يتخلق بها السفير، وإلزامه بتأديتها بإخلاص. وعندما عاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً، وقيل له: "يا رسول الله إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً"^(٣)، فاتخذ صلى اللهُ عليه وسلم يوماً خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله) وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم^(٤). فهذه الأدلة الموضوعية

(١) ابن هشام (بدون تاريخ). المصدر نفسه، ص ٥١٩.

(٢) ابن سيد الناس (بدون تاريخ). عيون الأثر. طبعة المعرفة، بيروت، ط ٢ ص ٢٥٩.

(٣) ابن القيم الجوزية (١٩٧٥ م). زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٣ ص ٦٨٨.

(٤) حمادة، فاروق (١٩٩٧ م). مصدر سابق ص ١٦.

والمنطقية تحسم أي شك أو نقاش في صحة إرساله صلى الله عليه وسلم هذه الكتب والرسائل إلى الملوك والامراء، خاصة من قبل المستشرقين وهم أنفسهم الذين عثروا على هذه الكتب^(١). وبناءً على تلك الدلائل الواقعية التي تحدثت عن الدبلوماسية الإسلامية، يمكن ملاحظة الآتي:

١. لأول مرة في تاريخ البشرية تتحول مهمة الدبلوماسية إلى الدعوة والهداية لبناء قيم ومبادئ ومثل، فقد كان قبل الإسلام تقوم العلاقات الدبلوماسية بين الدول على المادية والعاطفية، والمجاملة في إبرام العقد والصلح فقط.

٢. تعميم الرسل والسفراء لجميع الشعوب، لتحقيق هدف عالمية الرسالة الإسلامية.

٣. الاختيار المناسب للرسل الذين أوفدهم رسول الله إلى عظماء عصره لأداء رسالته، فالذين تم اختيارهم هم من السابقين إلى الإسلام، والراسخين في معرفته، والمشهود لهم بالفضل، وحصافة العقل، وطلاقة اللسان، وقوة الحجج والبيان وقوة الجنان.

٤. إقراره صلى الله عليه وسلم لنظرية الدبلوماسية الإسلامية في مخاطبة الآخرين دون تحقير. وقد حملهم مسؤولية شعوبهم، ونبههم إلى خطورة مكائنتهم في الهداية والضلالة لمن يسوسونهم ويتولون أمرهم، وفي ذلك تنبيه واضح على أهمية فتح أبواب الإسلام عند الأمم والشعوب الأخرى سلماً دون إكراه، كما أباح وجود النصارى واليهود والمجوس في دولته وأعطاهم الأمان والحرية الفكرية والعقائدية وممارسة عبادتهم وأعمالهم

(١) أبو شريعة، إسماعيل محمد (١٩٨١م). نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١١٢.

« العدد الحادي والعشرون - صفر ١٤٤٣هـ / سبتمبر ٢٠٢١م » ٢٠٠

العبادية والتعبدية دون حجر من أحد.

٥. حافظ صلى الله عليه وسلم على ما كان سائداً في عصره من معاني الخير والإنسانية في العلاقات والعهود والمواثيق أو البعثات فكان يستقبل الرسل وهم له مكذبون، ويؤمنهم على حياتهم ومتاعهم بل وينزلهم ويكرمهم في دار الضيافة، ويهتم بهم ويشرح لهم رسالة الإسلام ولا يقبل منهم البقاء عنده ولو أسلموا طالما هم رسل حتى يعودوا فيؤدوا رسالتهم.

٦. أعطى صلى الله عليه وسلم لسفرائه ومبعوثيه صلاحية إبرام المعاهدات الدولية، وأكد على الوفاء بها في إطار توجيهات عامة تنطلق من روح الإسلام ونصوص القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: "ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم". وفي رواية: "يد المسلمين على من سواهم تكافأ دماؤهم ويجير عليهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"^(١). فالدبلوماسية التي اتسم بها النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة شؤون الحكم، أو مارسها في خطابه السياسية والإعلامية، أو في الاتصال بالناس، أو في الانفتاح على العالم، كانت وما زالت هي العين الصافي لكل من جاء بعده من الخلفاء والرؤساء والولاة والدعاة^(٢). ولقد أرسى الإسلام مبدأ المعاملة بالمثل في كثير من قضايا الدبلوماسية، ومن ذلك ما يتصل بالدبلوماسيين وتأمينهم وتوفير الحصانة والحماية لهم، فالرسل الأجانب الذين يوفدون إلى الدولة الإسلامية لهم كافة الامتيازات التي يتمتع بها المستأمن.

(١) الشوكاني، محمد بن علي (١٣٤٧هـ). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار العلم، القاهرة، ط ١، ج ٨ ص ٣٢.

(٢) التميمي، عز الدين الخطيب (١٩٩٩م). الدبلوماسية في الإسلام. المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، العدد الثاني، ص ٥.

فللحضارة الإسلامية دور كبير في تطوير العمل الدبلوماسي وإرساء العديد من القواعد والأسس التي أخذت تركز عليها الدبلوماسية المعاصرة. ومن هنا نؤكد أن ممارسة عمل الدبلوماسية في جميع مجالاتها يحتم الالتزام بالمعايير الأخلاقية الثابتة، والالتزامات الدينية التي تحقق أخلاقيات ممارسة المهنة. ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للدبلوماسية الإسلامية للمبدأ الخبيث الذي ينادي (الغاية تبرر الوسيلة)، فالضرورة هي المناداة بمشروعية الوسيلة مراعاة معاني الأخلاق لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فهذه الآية توجب على المسلمين نصره إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين، خاصة إذا كانت نصرتهم لا تلزم نقض العهد مع المخالفين لهم؛ ويرى الباحث أن (الغاية لا تبرر الوسيلة): شعار يجب أن تضعه مهنة الدبلوماسية خاصة، وتعيد صياغة وسائلها وأهدافها تحت النظام الأخلاقي في الأديان، وفي النظام الإسلامي بشكل خاص؛ لأن تعاليم الإسلام جاءت لتنتقل بالبشرية إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، واعتبر الإسلام المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عدّ الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابتعاداً عنه، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين. فإذا أحسنت العلاقات الدبلوماسية عموماً استخدام تلك القيم التي تفيض بالحيوية وتنطق بالصدق وتوقظ الوجدان وتسمو بالروح، وستكون النتيجة خلق بواعث الإيمان وستنتشر الأخلاق والمثل العليا إلى العالم أجمع، فنأمل أن تعيد الدبلوماسية العربية اليوم مجدها وقوتها وعزتها، وأن تستمد قوتها وأصولها من قواعدها الدبلوماسية الإسلامية الأولى، وتسعى إلى إظهار فعاليتها وتأصيلها والأخذ بأساليبها حتى تسود وتهيمن على العالم كله.

خاتمة

أكدت الدراسة أنّ انتشار فكرة الدعوة الإسلامية في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها أسعدت البشرية جمعاء بخروجهم من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، حينها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه العزيمة الفائقة في التوجيه والتربية والارشاد لإنشاء دولة يكسب بها ثقة الموالين وغير الموالين له، وعلى ضوءها أرسل رسائله إلى الملوك والأمراء لتوطيد علاقات دولية تسهم في بناء العيش المشترك بين الأديان السماوية.

وبالرغم من التحديات التي صاحبت نشر الدعوة الإسلامية إلا أنه صلى الله عليه وسلم استطاع أن يبني دولته على أساس الأحكام الشرعية واحترام الآخر، والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغيرهم. فالحقائق الماثلة أمام تلك التحديات المستحدثة؛ هي التي دفعت المسلمين إلى أن ينظروا الرسالة الإسلام بأنها رسالة عالمية، وعلى أنها تقوم على كسر حاجز الشك الذي كان ينتاب مجموعة من ضعفاء النفوس بحجة أن المسلمين كانوا فقراء لا يستطيعون بناء علاقات دبلوماسية. وبما أن عالم اليوم طغت فيها موازين المادة على الروح إلا أنها لا تختلف في جوهرها عن المادية التي طغت على العالم في صدر الدولة الإسلامية، وما أشبه الروم والفرس بأروبا والولايات المتحدة الأمريكية. فعلى المسلمين اليوم إذا أرادوا بناء علاقات دولية على نسق دولة الرسول صلى الله عليه وسلم (المدينة المنورة) أن يعتمدوا على أسس ومفاهيم قرآنية، وأن يستيقظوا من غفوتهم، وأن يخلصوا نواياهم حتى يدفعوا بالأمة المسلمة إلى آفاق المستقبل.

وثمة أمر آخر، هو أنّ رسالة التبليغ أو الاتصال في النظام الإسلامي لا تخرج عن محتوى العقيدة الإسلامية التي تهدف إلى إصلاح حال الإنسانية أفراداً وجماعات، وذلك لحفظ التوازن بين مقومات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

التوصيات:

- توسيع قاعدة المشاركة الحوار بين الدول الإسلامية في تطوير مفهوم الدبلوماسية.
- على السفراء والبلوماسيين أن يكونوا أصحاب رسالة لدولهم.
- الواقعية والالتزام والصدق في تحقيق عالمية الرسالة الإسلامية للعالم.
- تنوع الأساليب والوسائل ومراعاتها لحال مستقبلي الرسائل الدعوية.
- مواجهة قضايا ومشاكل المدعوين بصورة توافق مميزات الدعوة الإسلامية.
- فتح قنوات فضائية تسهم في تأكيد مفهوم الدبلوماسية الإسلامية.

المصادر والمراجع

- القراءان الكريم.
- ١. ابن الأثير (١٩٦٥م). الكامل في التاريخ، دارالجيل، بيروت، ط ١.
- ٢. ابن الفراء (١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط ٢.
- ٣. ابن القيم الجوزية (بدون تاريخ). زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٣ ص ٦٨٨.
- ٤. ابن سيد الناس (بدون تاريخ). عيون الأثر، طبعة المعرفة، بيروت، ط ١.
- ٥. ابن كثير (١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم، بيروت، ط ١.
- ٦. ابن كثير (١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ط ٢.
- ٧. ابن منظور (١٣١٤هـ). لسان العرب. دار العلوم، بيروت، ط ٢.
- ٨. ابن هشام (بدون تاريخ). سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت ط ٢ ج ٢.
- ٩. أبو شريعة، إسماعيل محمد (١٩٨١م). نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ٢.
- ١٠. الألواري، عبدالله آدم (١٩٩٧م). تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمم واليوم. مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١ ص.
- ١١. البخاري (١٩٨٧م). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣ ج ١.
- ١٢. بو سلطان، محمد (١٩٩٩م). مبادئ القانون الدولي العام. دارالغرب للنشر، الجزائر، ط ١ ج ٢.

١٣. التميمي، عز الدين الخطيب (١٩٩٩م). الدبلوماسية في الإسلام. المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، العدد الثاني، فبراير ١٩٩٩م.
١٤. حسن، إبراهيم حسن (١٩٦١م). تاريخ الإسلام، درا الأرقم، القاهرة، ط٢.
١٥. حسين، عدنان السيد (٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية، دار أمواج، بيروت، ط٣.
١٦. الحلبي، علي برهان الدين (بدون تاريخ). السيرة الحلبية. دار المعارف، بيروت، ط١.
١٧. دراز، عبدالله (١٩٤٩م). القانون الدولي في الاسلام. المجلة المصرية للقانون الدولي، ط١.
١٨. دويدار، أمين (بدون تاريخ). صور من حياة الرسول. دار المعارف، بيروت، ط٢.
١٩. الشاوي، هشام (١٩٦٩م). الوجيز في فن التفاوض. مطبعة جامعة بغداد. العدد العشرون.
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي (١٣٤٧هـ). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار العلم، القاهرة، ط١ ج.
٢١. العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٦٠م). المسلمون والجرمان. دار وهبة، القاهرة، ط١.
٢٢. الفارسي، علاء الدين بن بلبان (بدون تاريخ). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢.

٢٣. فاروق، حمادة (١٩٩٧م). البعثات الدبلوماسية في العهد النبوي وأثرها في التشريع الدولي، سلسلة ندوات ومنظرات، "التشريع الدولي في الإسلام"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط ١ ص.
٢٤. فودة، عزالدين (١٩٦١م). النظم الدبلوماسية. دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١.
٢٥. القرطبي (بدون تاريخ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ج ٩.
٢٦. محمد، فاضل زكي (١٩٧٣م). الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، بغداد، ط ٣.
٢٧. المرغنياني، أبي الحسن (١٩٦٣م). الهداية، شرح بداية المبتدأ. دار الاندلس للطباعة، القاهرة ط ١ ج ٢.
٢٨. هارون، عبدالسلام (بدون تاريخ). تهذيب سيرة ابن هشام. دار العلم، بيروت، ط ٣.
29. Ch. Rousseau, 1953. Droit International Public. Sirey Paris.
30. Ian Brownel, 1966. Principles of Public International Law. C. Press Oxford.
31. Afdal Iqbal, 1975. The Prophet's Diplomacy. U. S. A.

سلطات الإدارة في الإشراف والرقابة على تنفيذ العقود الإدارية والتعديل

د. وليد خضر كافي فرج الله

ملخص

جاءت أهمية الدراسة بضرورة توفير الرقابة والإشراف من قبل السلطة الإدارية، واحترام الجهات الإدارية لحدود هذه السلطات الرقابية والإشرافية، الحاجة إلى توضيح حدود هذه السلطة، لذا هدفت هذه الدراسة للتعريف بمفهوم الرقابة والإشراف، وتوضيح الأساس القانوني ومجال سلطة الرقابة والإشراف، وشرح قيود استعمال سلطة التعديل، ينتهج الباحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، التحليلي، والمنهج المقارن، توصلت الدراسة لعدة نتائج وتوصيات، أهم النتائج تعد الرقابة والإشراف من قبل الإدارة من السلطات الهامة والخطيرة في نفس الوقت إذا لم تقم بها الإدارة على الوجه الصحيح، إن عدم نص العقد على حق الرقابة لا يحرم الإدارة من سلطتها في مراقبة تنفيذ العقد فهذا الحق الأصيل للإدارة تستمد من المبادئ العامة للقانون الإداري وليس من نصوص العقد، بينما جاءت أهم التوصيات على الجهات التشريعية إعطاء الهيئات الإدارية الحق في التعديل الانفرادي دون الحاجة لنص وذلك نسبة لضرورة المصلحة العامة، على الإدارة عند تعديلها لعقودها أن تحترم قواعد المشروعية، وذلك بأن يكون قرارها بالتعديل مستوفياً لأركان صحته من حيث السلطة المختصة، واستيفائه للشكليات والإجراءات القانونية، وأن تكون الغاية تحقيق المصلحة العامة.

• كلية القانون - جامعة الجزيرة - السودان.

Abstract

The importance of the study came with the need to provide control and supervision by the administrative authority, and the administrative authorities' respect for the limits of these supervisory and supervisory authorities, the need to clarify the limits of this authority, so this study aimed to define the concept of control and supervision, to clarify the legal basis and the scope of the authority of control and supervision, and to explain the limitations of the use of the power of amendment. The researcher adopts the descriptive, inductive, analytical, and comparative approach, the study has reached several results and recommendations, the most important results are the control and supervision by the administration from the important and dangerous authorities at the same time if the administration does not implement it properly, if the contract does not stipulate the right of control. The administration is not deprived of its authority to monitor the implementation of the contract. This is the inherent right of the administration that it derives from the general principles of administrative law and not from the provisions of the contract, while the most important recommendations were on the legislative bodies to give administrative bodies the right to unilaterally amend without the need for a text, due to the necessity of the public interest. Amending its contracts to respect the rules of legality, so that its decision to amend the amendment fulfills the pillars of its validity in terms of the competent authority, and it fulfills the formalities and For legal procedures, and that the goal is to achieve the public interest.

مقدمة

يتم بالرقابة جمع المعلومات اللازمة لقياس الأداء الفعلي ومقارنته بالأداء المرغوب أو المخطط له، فإن كان هناك اختلاف بينهما يتم اتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة لتطوير الأداء أو تحسينه ومحاولة إيصاله للمستوى المطلوب. لذلك تناول البحث سلطات الرقابة الإدارية والإشراف واحترام الجهات الإدارية .

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

١. احترام الجهات الإدارية لحدود هذه السلطات الرقابية والإشرافية.
٢. ضرورة توفير الرقابة والإشراف من قبل السلطة الإدارية.
٣. الحاجة إلي توضيح حدود هذه السلطة.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بمفهوم الرقابة والإشراف.
٢. توضيح الأساس القانوني ومجال سلطة الرقابة والإشراف.
٣. بيان حدود سلطة الرقابة والإشراف.
٤. شرح قيود استعمال سلطة التعديل.

منهج الدراسة:

ينتهج الباحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، التحليلي، والمنهج المقارن.

مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الرقابة والإشراف.
 ٢. الأساس القانوني ومجال تطبيق الرقابة والإشراف.
 ٣. ما مدى إعمال سلطة التعديل.
 ٤. ما قيود استعمال سلطة التعديل.
- هيكلية الدراسة:

ونتعرض لهذا الموضوع من خلال التقسيم التالي:

المبحث الأول: مفهوم سلطة الرقابة والإشراف في اللغة والاصطلاح
المطلب الأول: ماهية سلطة الرقابة.

المطلب الثاني: تعريف الرقابة والإشراف في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الأساس القانوني لسلطة الرقابة ومجال تطبيقها
المطلب الأول: الأساس القانوني لسلطة الرقابة.

المطلب الثاني: مجال تطبيق سلطة الرقابة.

المبحث الثالث: حدود سلطة الرقابة والتعديل الانفرادي
المطلب الأول: مفهوم وأساس سلطة التعديل.

المطلب الثاني: مدى إعمال سلطة التعديل.

المطلب الثالث: قيود استعمال سلطة التعديل.

الخاتمة

النتائج.

التوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم سلطة الرقابة والإشراف في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول

ماهية سلطة الرقابة

الرقابة هي إحدى وظائف الإدارة ومن خلالها يتم جمع المعلومات اللازمة لقياس الأداء الفعلي ومقارنته بالأداء المرغوب أو المخطط له، فإن كان هناك اختلاف بينهما يتم اتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة لتطوير الأداء أو تحسينه ومحاولة إيصاله للمستوى المطلوب. وهناك فرق بين المراقبة التي تعتبر جزء من عملية الرقابة وبين الرقابة نفسها، فالرقابة تبدأ بعملية المراقبة التي تختص بالتجميع المنتظم للبيانات وإعداد التقارير عن الأداء الفعلي للأنشطة المختلفة. ثم تأتي بعد ذلك عملية الرقابة التي تقوم بقياس الأداء الفعلي ومقارنته بالمعايير المحددة مسبقاً ثم القيام بالإجراءات اللازمة لتحسين الأداء^(١).

وأيضاً يطلق مصطلح الرقابة للدلالة على معنيين.

١. المعنى الضيق، أي تحقق الإدارة من أن المتعاقد يباشر تنفيذ العقد طبقاً لشروطه، وذلك من أجل التأكد من سلامة التنفيذ، وبهذا تكون سلطة الرقابة مرادفة لمعنى الإشراف. وهذا يتم عن طريق إرسال الإدارة بعض فنييها لزيارة موقع العمل والتأكد من تنفيذه وفقاً للشروط المتفق عليها.
٢. المعنى الواسع، حيث يجوز للإدارة التدخل بدرجة تزيد على حد التأكد من سلامة تنفيذ العقد وتغيير بعض تلك الأوضاع، وذلك في غير الحالات المنصوص عليها صراحة في العقد، شريطة ألا تؤدي هذه السلطة لتعديل

(١) د. خير الدين موسى احمد، إدارة المشاريع المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠١٢م ص ٢٥٥.

العقد الإداري الإنفرادي وذلك كإصدار الإدارة التعليمات للمتعاقد أو إتباع طريقة معينة للتنفيذ واستبعاد الطريقة المتبعة، وهي في هذه الحالة تأخذ الرقابة معنى التوجيه للمتعاقد.

المطلب الثاني

تعريف الرقابة والإشراف في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: تعريف الرقابة في اللغة والاصطلاح:

أ. تعريف الرقابة في اللغة:

في أسماء الله تعالى الرقيب وهو الحافظ الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ فعيلٌ بمعنى فاعل وفي الحديث ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ أَي أَحْفَظُوهُ فِيهِمْ وَفِي الْحَدِيثِ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ سَبْعَةَ نَجَبَاءَ رُقَبَاءَ أَي حَفَظَةَ يَكُونُونَ مَعَهُ وَالرَّقِيبُ الْحَفِيزُ وَرَقَبَهُ يَرْقُبُهُ رَقَبَةً وَرَقَبَانًا بِالْكَسْرِ فِيهِمَا. وَرَقِيبُ الْجَيْشِ طَلِيعَتُهُمْ وَرَقِيبُ الرَّجُلِ خَلْفُهُ مِنْ وَلَدِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ وَالرَّقِيبُ الْمُتَنَتِّرُ وَارْتَقَبَ أَشْرَفَ وَعَلَا^(١).

ب. تعريف الرقابة في الاصطلاح:

عرف الفقيه هنري فايول (الرقابة هي التحقيق مما إذا كان كل شيء يحدث طبقاً للخطة الموضوعة والتعليمات الصادرة، وان غرضها هو الإشارة إلى نقاط الضعف والأخطاء بقصد معالجتها ومنع تكرار حدوثها كما أنها تنطبق على كل شيء (الأشياء - الناس - الأفعال)^(٢).

في هذا التعريف يحاول صاحبه أن يؤكد أن الرقابة تحاول أن تتأكد من أن كل الأعمال تسير وفقاً للخطة والبرامج والتعليمات التي تم تحديدها مسبقاً فهدفها هو محاولة كشف الأخطاء والانحرافات بقصد اقتراح الحلول المناسبة

(١) لسان العرب، ص ٤٢٥.

(٢) عبد الكريم أبو مصطفي، الإدارة والتنظيم والمفاهيم والوظائف والعمليات، مكتبة الإشعاع الإسكندرية، ٢٠٠١ م ص ٢٤٦.

لها ومنع حدوثها مرة أخرى. كما أشار بأن يكون تطبيقها على كل شيء. عرف جاري ديسلر (الرقابة هي الوظيفة التي تضمن أن الأنشطة توفر لنا النتائج المرغوبة وتتعلق بوضع هدف واتخاذ الإجراءات التصحيحية^(١)).

وهناك تعريف لمحمد عثمان إسماعيل حميد (الرقابة هي النشاط الذي يساعد على التحقق من أن أداء الأنشطة تم بالكيفية المحددة لها طبقاً للإجراءات والقوانين التي تحكم أداء العمل الإداري العام وكذلك التحقق من أن التنفيذ يسير في اتجاه الأهداف الرئيسية المحددة وهذا يعني أن الرقابة تهتم بالإجراءات والهدف المرجو تحقيقه في نفس الوقت^(٢)).

وعرفتها سعاد نايف البرنوطي (الرقابه هي جزء مكمل لكل قرار أو وظيفة فهي مهمة إدارية وأساسية وتعني المتابعة للتأكد من أن ما تم إقراره ينفذ بشكل سليم وأن المنظمة بحالة سليمة^(٣)).

الفرع الثاني: تعريف الإشراف في اللغة والاصطلاح

أ. تعريف الإشراف في اللغة:

الإشراف مصدر أشرف، وهو يأتي على معانٍ: الإطلاع على الشيء من فوق: يقال أشرفت الشيء، أي علوته وأشرفت عليه، أي أطلعت عليه من فوق^(٤)، العلو والإرتفاع، إشراف الموضع ارتفاعه^(٥). الدنو والقرب، يقال أشرف المريض على الموت، أي قاربه^(٦).

- (١) صالح هاشم صديق، التخطيط والرقابة، الجامعة المفتوحة للنشر، طرابلس، ١٩٩٨م، ص ٩٣.
- (٢) زيد منير عبودي وسامي محمد هشام حري، مدخل الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر، عمان، ٢٠٠٥م، ص ١٧٣.
- (٣) سعاد نايف البرنوطي، أساسيات إدارة الأعمال، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠٠١م، ص ٣٣٣.
- (٤) الصحاح، الجزء ٣، ص ١٣٨٠. النهاية (ابن الأثير) ج ٢، ص ٢٣٢. لسان العرب، ج ٧، ص ٩٢.
- (٥) لسان العرب، ج ٧، ص ٩٠. المصباح المنير، ج ١، ص ٣١٠. القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٢٩.
- (٦) لسان العرب، ج ٧، ص ٩١. القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٢٠.

ب. تعريف الإشراف في الاصطلاح:

وقد استعمله الفقهاء في نفس المعاني اللغوية، مستخدمين المعنى في غير المادي، وهو الإشراف والرقابة على شيء ما ومراقبته ومتابعة شؤونه.

ويأتي الإشراف في الفقه بمعنى النظارة في الموارد التالية:

أ. الولاية: وهي من أبرز أشكال الإشراف الواردة في الفقه، سواء كانت ولاية عامة كولاية النبي صلى الله عليه وسلم أو الإمام المعصوم عليه السلام ونحوهما كولاية الفقيه بناءً على عموميتها، أم خاصة وأمثلتها كثيرة كولاية الأب على الابن الصغير أو المجنون، وولاية المولى على العبد ونحوهما.

ب. الوصاية: كالوصاية علي المحجور عليه مثل الصغير والسفيه والمجنون، أو على إخراج حقه أو استيفائه.

ج. الإشراف على الوقف: بأن يجعل الواقف النظر في الموقوف لغيره، فيتولى شؤون الوقف وما فيه مصلحته والذي يعبر عنه في الفقه بالناظر على الوقف^(١).

مجاوزه الحد المباح إلى المحظور^(٢).

(١) القواعد، ج٣، ص٣٢٣، الأيضاح، ج٣، ص١٣٠-١٣١.

(٢) د. عبدالله معصر معجم مصطلحات الفقه المالكي، المرجع السابق، ص٢٠.

المبحث الثاني الأساس القانوني لسلطة الرقابة ومجال تطبيقها المطلب الأول الأساس القانوني لسلطة الرقابة

قد يرد النص على سلطة الإدارة في الرقابة على تنفيذ العقد الإداري نفسه أو في دفا تر الشروط العامة أو الخاصة، وقد يرد النص عليها في بعض النصوص القانونية لطائفة من العقود الإدارية إلا أن النص على هذا الحق في العقد يكون كاشفاً ومنظماً لا منشأً له، حيث إن عدم نص العقد على حق الرقابة لا يحرم الإدارة من سلطتها في مراقبة تنفيذ العقد فهذا الحق الأصل للإدارة تستمد من المبادئ العامة للقانون الإداري وليس من نصوص العقد. فمن المتفق عليه أن هذا الحق من النظام العام^(١).

ورغم ثبوت هذا الحق للإدارة إن نص عليه العقد أم لا. فقد ثار خلاف فقهي حول الأساس القانوني لهذا الحق ونستعرض من بين هذه الآراء الفقهية ما يلي^(٢):

١. فقد ذهب الدكتور سليمان الطماوي أن الطبيعة القانونية للمرفق العام هي الأساس القانوني لسلطة الدولة في الرقابة.

٢. ويذهب رأي آخر إلى أن المرفق العام غير كاف لوحده كأساس لهذه السلطة بل يجب الأخذ بالنية المشتركة للمتعاقدين (الإدارة المفترضة) لحظة إبرام العقد. فالإدارة لا تستطيع التخلي عن وظيفتها بشكل كامل في تحقيق المصلحة العامة هذا من جانب، ومن جانب آخر أن المتعاقد قد

(١) عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الأسس العامة للعقود الإدارية، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، ٢٠٠٥م، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) د. محمد الحسين، د. مهدي نوح، العقود الإدارية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٧-٢٢٨.

وافق على التعاون مع الإدارة لإشباع الحاجات العامة عن طريق حسن تسيير المرفق العام، وهذا يدل على قبول المتعاقد مع الإدارة الخضوع لقواعد القانون العام التي تحكم العقود الإدارية.

٣. وهناك رأي ثالث يرى أن استخدام هذه السلطة هو أحد أوجه امتيازات

السلطة العامة التي تتمتع بها الإدارة في سبيل تحقيق المصلحة العامة.

٤. وأخيراً فقد ذهبت المحكمة الإدارية العليا المصرية عام ١٩٦٨م إلى أن

سلطة الرقابة لها أساس قانوني مزدوج، يتكون من فكرة تحقيق المصلحة

العامة وما تقتضيه من تحقيق مقتضيات المرافق العامة ومن فكرة امتيازات

السلطة العامة، كون سلطة الرقابة أحد تطبيقاتها.

المطلب الثاني

مجال تطبيق سلطة الرقابة

حيث تستخدم هذه السلطة في جميع العقود الإدارية، ولكن نطاق

استخدامها يختلف باختلاف نوع العقد، وذلك وفقاً لمدى صلة العقد بالمرفق العام^(١).

الفرع الأول: عقود الأشغال العامة:

ففي عقود الأشغال العامة تصل هذه السلطة إلى أبعد مدى لها حيث

أن الإدارة تبقى صاحبة المشروع الذي ينفذه المتعاقد معها، فإنها تقتصر رقابة

الإدارة في هذا النوع من العقود على المعنى الضيق "الإشراف" وإنما تمتد

لتشمل الرقابة بمعناها الواسع "التوجيه"، حيث يجب على الإدارة أن تراقب

تنفيذ نصوص العقد بدقة فائقة، وتقوم بتوجيه الأوامر للمتعاقد خلال تنفيذ

(١) د. محمد الحسين، د. مهند نوح، القانون الإداري، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٣١٦.

العقد، والتدخل في أوضاع تنفيذ العقد، وتمارس الإدارة رقابتها عن طريق إرسال مندوبين عنها يعيشون في المشروع ويراقبون يومياً سير الأعمال وحسن تنفيذها من الناحية النوعية، وكذلك صلاحية الأدوات المستعملة، وفي حال وجود مخالفات بالتنفيذ تقوم الإدارة بتوجيه الأوامر الإدارية للمتعاقد الذي عليه الالتزام بها كونها تعد قرارات إدارية فردية ملزمة، مع حق المتعاقد التظلم منها إدارياً إذا كانت غير مبررة قانونياً، من خلال الاعتراض عليها ضمن مهلة (١٥) يوماً من تاريخ يبلغه إياها، لكي يسمح له فيما بعد اللجوء إلى القضاء للمطالبة بالتعويض عما لحقه من ضرر، ودون أن يكون له التوقف عن تنفيذ هذه القرارات.

وقد نظم المشرع السوري عملية الرقابة في تنفيذ عقود الأشغال في دفتر الشروط العامة الصادر بالمرسوم رقم ٤٥٠ لعام ٢٠٠٤م، في المواد ٢٦-٢٧ منه.

الفرع الثاني: عقود التزام المرافق العامة:

تباشر الإدارة حقها في الرقابة على تنفيذ شروط العقد الإداري بإيفاد مهندسيها إلى مواقع العمل، للتأكد من سيره وفقاً للأوضاع المحددة، وفحص وإختبار المواد المستخدمة للإطمئنان على جودة نوعها، والرقابة في هذه الحدود مرادفة لمعنى الإشراف، وتعد إجراءً ممهداً لتسليم العمل عند إتمامه، ومكملاً لرقابة الفحص اللاحقة عند التسليم.

أما سلطة الرقابة في عقد الامتياز فإنها تتجاوز هذا الحد حيث تتدخل الإدارة بدرجة تزيد على مجرد التأكد من سلامة التنفيذ إلى التدخل في التنفيذ وتغيير بعض الأوضاع فيه ولو لم يرد النص عليها صراحة في العقد.

وتتضمن العقود الإدارية في فرنسا تحديد مدى سلطة الإدارة في التدخل في أوضاع تنفيذ عقود الامتياز، وقد يرد النص عليها في بعض القوانين واللوائح المنظمة لذلك، ويسلم مجلس الدولة الفرنسي للإدارة بسلطات واسعة في الرقابة والإشراف والتوجيه على عقود الإشغال العامة فيما يتعلق باختيار المواد وطرق التنفيذ^(١).

تنوع صور الرقابة في عقود الامتياز إلى:

أ. الرقابة الفنية: تتضمن دفاتر الشروط العامة الملحقة بعقود الامتياز في فرنسا تنظيم سلطات الإدارة وحدودها، وأهدافها في مجال ممارسة الرقابة الفنية، ففي عقود القوي الهيدروليكية، يكون لموظف الإدارة الحق دائماً في الدخول إلى مناطق الاستغلال للإطلاع على مختلف الوثائق الفنية من رسوم وخرائط وإجراء الاختبارات اللازمة على منسوب القوي للتأكد من كفاءة معدلات الاستغلال.

وفي مصر تتضمن اتفاقيات الامتياز البترولية بيان سلطات الرقابة الفنية على الملتزم، وذلك على النحو الوارد في المادة الرابعة عشر من اتفاقية الامتياز البترولي المبرمة بين الحكومة المصرية العامة والهيئة العامة للبترول وشركة اجيبتيكو اويل جاز اكسبلوريشن^(٢). وتتضمن عقود التزام المرافق العامة تخويل الإدارة إجراء الرقابة الفنية في إدارة وتشغيل المطار، ومراجعة الوثائق والمستندات ورقابة التنفيذ المشوب بالعيوب في المواد ٨، ٧، ٣، من العقد طبقاً لأسس الأداء والتقنيات الحديثة والمتطلبات والمعايير المستخدمة في التشييد واختبار المعدات والأدوات وأطقم التشغيل حسب المواصفات

(١) د. سليمان الطماوي، العقود الإدارية، المرجع السابق ٤١٣.

(٢) المادة الرابعة من اتفاقية حكومة جمهورية مصر العربية، والهيئة العامة للبترول.

والمقاييس والوثائق والكتيبات المستخدمة عالمياً في هذا المجال وذلك علي النحو المبين بالملاحق أرقام ٢١، ١٧، ١٦، ١٥^(١).

ب. الرقابة المالية: تتمثل الرقابة المالية في حق الجهة مانحة الالتزام إجراء التفيتيش في أي وقت على حسابات الملتزم الخاصة باستغلال المرفق محل الامتياز فالمتعاقد في نطاق عقود الامتياز على اختلاف أنواعها يلتزم بإمسك دفاتر حسابات منتظمة وفقاً للقواعد المحاسبية المتعارف عليها والمعمول بها. وفي مصر- ينظم القانون الخاص بنظام المرافق العامة قواعد الرقابة المالية التي تمارسها الجهة مانحة الامتياز على الملتزم وتتضمن اتفاقيات الامتياز البترولي هذه القواعد^(٢).

ج. الرقابة الإدارية: تنفرد عقود الامتياز بوضع خاص حيث يحق للجهة المالكة تعيين عضوين ممثلين لها في مجلس إدارة الشركة صاحبة الامتياز وذلك على النحو المنصوص عليه في المادة ٣ الفقرة ج من العقد من موضوع العقد إدارة وتشغيل المطار^(٣).

د. رقابة الصيانة والتجديد: من المتعارف عليه بالنسبة للمشروعات الإنتاجية والخدمية على السواء أن أصولها تستهلك بفعل الزمن ما لم يتم وعلى الدوام صيانة وتجديد ما تآكل منها أو تقادم به العهد، ويتلزم هذا الأمر ضرورة متابعة مستوى أداء المشروع للتأكد من عمليات الترميم والتصحيح والتجديد، وتحديث الأصول بحسبان أن كل شيء له عمر افتراضي، فكثيراً ما انهارت مؤسسات وتعطلت مشروعات بسبب النقص في قطع الغيار أو

(١) الوقائع المصرية، المرجع السابق، ص ٦٧، ٦٢، ١٥، ١١.

(٢) قانون تنظيم المرافق الخاصة المصري رقم ١٢٩ لسنة ١٩٤٧م المعدلة، المادة الثالثة عشرة.

(٣) إدارة وتشغيل المطار، المادة الفقرة ج.

الأدوات والمهمات وأيضاً حين يتقدم العهد بالمعدات والأجهزة، والآلات وغيرها في ظل التطور التكنولوجي الحديث، ولاقتصار أعمال الصيانة والتجديد على الأصول المادية فحسب بل أن العنصر البشري هو الآخر في أمس الحاجة إلي التدريب وتجديد المهارات، أما التكاليف والمصاريف اللازمة فإنها تقع على كاهل الملتزم باعتباره المسئول الأول عن استقرار انتظام العمل بالمشروع طول مدته وحتى انتقال ملكيته للدولة في حالة جيدة حفاظاً على رأس المال القومي من الانهيار^(١).

هـ. حدود سلطة الرقابة وأهدافها في عقود إلزام المرافق العامة: تمارس الإدارة رقابتها بالمعنى الضيق في عقود الامتياز عن طريق الإشراف للتأكد من سير عمليات الاستغلال بانتظام وإضطراد دون أن تتضمن توجيهها أو تدخلات في إدارة المرفق على نحو يعوق الملتزم عن مباشرة نشاطه، وتحرص الإدارة المانحة بصفة عامة أن تجعل للملتزم اليد الطولى في إدارة المرفق واستغلاله في مقابل التضحيات المالية التي يتكبدتها الملتزم ومن ثم يكون تدخل الإدارة في حدود الإشراف والتأكد من سير عمليات الاستغلال بانتظام واطراد، فالمادة ٣٠ من دفتر الشروط العامة لعقود امتياز الإنارة في فرنسا تنص على أنه (ليس لموظفي الرقابة التدخل بأي حال في إدارة الاستغلال). وفي مصر تتضمن المادة الرابعة عشر من اتفاقية الامتياز البترولي سالف الذكر - إشارة إلى هذا المعنى حيث تفضي في هذا الخصوص بأن يراعي ممثل الهيئة أثناء ممارسته لتلك الحقوق عدم إعاقة عمليات المقاول وهي العمليات الخاصة بالاستغلال.

(١) د. ابراهيم الشهاوي، عقد امتياز المرفق العام، دراسة مقارنة، مؤسسة الطوبجي، القاهرة، ٢٠٠٣م/ص ٢٥٢.

ويمكن القول أن جهة الإدارة مانحة الامتياز تراعي دائماً وهي بصدد ممارستها للرقابة على الملتمزم المواممة بين اعلمبارين هما: كفالة حرية الملتمزم في إدارة المرفق محل عقد الالملمزم وضممان سير مرفق الالملمزم بانللمزم اطراد، وذلك من خلال إعمال سللملمها في الرقابة اللل تقف في حقيقة الأمر عند حد الإشراف علي عملليات الالملمزم^(١).

الفرع اللالم: عقود الللمرلء:

لعرف عقد الللمرلء بأنه عقد إءارل الللمرلء بمقلملماه أءء الملمرلءلن بأن لورء للءارة منقولاء للملمها مقابل لمم معلن^(٢)، وللملمز عقد الللمرلء بموضوعه الملمرلء بالمنقول كاللمضائع أو مواد الللموملن واللمزلن، الململماء اللمذائفة للالملمرلء الللموانل، مواد البناء والآلاء، الللمرلء الكلمرلمائفة . . . الخ^(٣).

لملمز الفلمه الللمرلء بين نوعلن من عقود الللمرلء الأول الللمرلء في عقود الللمرلء العاءفة، والللمن الللمرلء في عقود الللمرلء الصناعمفة، وللملمرلء مفلموم الرقابة اللل ملمرلءها الإءارة علي الملمرلء في كلا النوعلن علي الللمرلء الللمرلء الللمرلء العاءفة: لملل الرقابة علي الملمرلء وءءوءها وأءءافها في عقود الللمرلء العاءفة: لملل رقابة الإءارة في نطاق هذا النوع من العقود في فءص أصناف الللمرلء تملمءاً لالملمرلء نهائياً، وذلك بهءف الللمرلء من مطابلمتها لما لم الاتفاق علله، أما فلما الللمرلء باللمرلء علي الملمرلء في أثناء الللمرلء، فالأصل أن لملرلء المورء في نطاق هذا النوع من العقود باللمرلء في الللمرلء الللمرلء الللمرلء الللمرلء، ومع ذلك فإن للإءارة أن لملرلء باللمرلء في الإشراف علي المورء في فترة الللمرلء بشرط أن لملرلء علي ذلك صرلءة في العقد أو ءفاآر الللمرلء

(١) ء. محمد سعلاء أمبلن، الالمس العامة للإلمزاماء وءقوق الملمرلء مع الإءارة في لملرلء العقود الإءارفة ءقوق علن شممس، ١٩٨٤م، ص ٢٠٢.

(٢) ءكم المءكمة الإءارفة العللما المصرفة، رقم ٥١٦-١٣ في لوملءو٢١٩٧م، السنة القضالفة ١٨-٨١-ص ٥٦٧.

(٣) ء. عبءالله ءلء، العقود الإءارفة، مجلة القانون العام والعلوم الإءارفة، ءلسمبر ٢٠١٢م ص ٢٢.

النوع الثاني: وسائل الرقابة على المتعاقد وحدودها في عقود التوريد الصناعية: في مجال عقود التوريد الصناعية، فإن الوضع مختلف لأن الإدارة لا تتفق على مجرد التوريد، ولكن على نوع الصناعة أيضاً لا سيما إذا إنصب موضوع التعاقد على أشياء ذات أهمية خاصة تتعلق بالجهود الحربية، فحينئذ لا تقتصر رقابة الإدارة على مجرد التسليم، ولكن يكون لها متابعة المتعاقد أثناء تنفيذ العقد^(٢).

وتحرص دفاتر الشروط الخاصة بهذا النوع من العقود في فرنسا على إبراز مختلف الوسائل التي تلجأ إليها الإدارة في هذا النوع من العقود، المادة ٣٧ من دفتر الشروط العامة لعقود التوريد الصناعية تشير إلى مختلف وسائل الرقابة التي تمارسها الإدارة على المتعاقد في إطار هذا النوع من العقود^(٣).
صور الرقابة في عقود التوريد:

أ. الرقابة المالية: فإنها تتمثل في الرقابة المحاسبية التي تباشرها الإدارة على المورد بهدف التأكد من سلامة اقتصاديات مشروعه، حيث تتم تلك الرقابة بمعرفة مندوبي الإدارة المختصين الذين يطلعون على كافة الدفاتر والمستندات التي يلتزم المورد بموجب دفتر الشروط بأن يطلعهم عليها.
ب. الرقابة الإدارية: فإنها تتمثل فيما تتمتع به الإدارة من سلطات للإشراف على المتعاقد، وهو بصدد استخدامه لموظفين أو عمال مصانعه، كما تتمثل في مراقبة سير العمل وفقاً للخطة المرسومة والسابق الاتفاق عليها بين الإدارة والموردين وذلك بهدف التأكد من مدى احترام المتعاقد لمدة التنفيذ المتفق عليها^(٤).

(١) د. محمد سعيد حسين أمين، المبادئ العامة في تنفيذ العقد الإداري، مرجع سابق ص ٢١٥.

(٢) د. سليمان محمد الطماوي، الأسس العامة للعقود الإدارية، دراسة مقارنة، مطبعة عين شمس، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، ص ٤٤٧.

(٣) د. محمد سعيد حسين أمين، المبادئ العامة في تنفيذ العقد الإداري، مرجع سابق ص ٣٢٥.

(٤) د. محمد سعيد حسين أمين، المبادئ العامة في تنفيذ العقد الإداري، مرجع سابق ص ٢١٨.

المبحث الثالث حدود سلطة الرقابة والتعديل الانفرادي المطلب الأول مفهوم وأساس سلطة التعديل

الفرع الأول: مفهوم سلطة التعديل:

إن الأصل في العقود الإدارية كما هو الحال في العقود المدنية أنها تخضع للقاعدة العامة العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه أو تعديله إلباتفاق الطرفين، إلا أن الإدارة تستطيع الخروج على هذه القاعدة استثناء إلى قاعدة أخرى تمتاز وتختص بها العقود الإدارية، وهي "أن العقد شريعة المرفق العام" وذلك إذا اقتضت الظروف المستجدة بالمرفق موضوع العقد قيام الإدارة بتعديله بإرادتها المنفردة.

والإدارة لدى استعمالها لسلطة التعديل الإنفرادي لا تتدخل في مجال مسكوت عنه في العقد، بل تحاول تغيير الشروط المنصوص عليها صراحة في العقد إما بالزيادة أو النقصان^(١).

وهذه السلطة يتم النص عليها صراحة في العقد أو في القوانين أو اللوائح وفي هذه الحالة فلا خلاف حول حق الإدارة في استخدامها أما عندما لا يرد نص صريح بذلك في العقد أو القوانين أو اللوائح فحينئذ يدقق بالأمر^(٢).

الفرع الثاني: أساس سلطة التعديل:

لقد أصبح هناك إجماع فقهي وقضائي على حق الإدارة في التعديل الانفرادي لعقودها الإدارية دون نص يبيح ذلك العقد، وذلك لضرورات

(١) د. سليمان الطماوي، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٥٨.

(٢) د. محمد سعيد حسين أمين، المبادئ العامة في تنفيذ العقد الإداري، مرجع سابق ص ٣٢٥.

المصلحة العامة، إلا أن الفقهاء قد اختلفوا حول الأساس القانوني لهذه السلطة وانقسموا إلى عدة آراء وهي^(١):

١. معيار السلطة العامة: حيث يرى بعض الفقهاء في فرنسا ومصر أن الأساس القانوني لحق الإدارة في تعديل عقودها الإدارية بشكل إنفرادي سببه كون الإدارة سلطة عامة تمارس حقها في اتخاذ القرارات الإدارية بإرادتها المنفردة، وإن استخدام الإدارة لهذا الحق ليس امتيازاً تعاقدياً بل هو امتياز تنظيمي، وهذا الرأي منتقد حيث لا تستطيع الإدارة تعديل جميع شروط العقد بإرادتها المنفردة، بل تملك فقط تعديل الشروط المتعلقة بسير المرفق.
٢. معيار ضرورات المرفق العام: حيث غالبية الفقه لا يؤيد معيار نظرية السلطة العامة، بل يؤكد أن ضرورات المرفق العام هي الأساس القانوني لسلطة الإدارة في التعديل الانفرادي لأن هذه الضرورات متجددة باستمرار فيجب على الإدارة أن تلائم على الدوام العقود الإدارية مع متطلبات المصلحة العامة المتجددة وذلك قد يتطلب أن تغير الإدارة من شروط العقد وتضع التزامات جديدة على المتعاقد معها^(٢).
٣. الأساس المزدوج لسلطة التعديل: حيث يرى قسم آخر من الفقهاء أن الأساس القانوني لحق التعديل الانفرادي هو بطبيعته أساس مزدوج يخلط بين مقتضيات المرفق العام ومتطلباته من جهة وامتيازات السلطة العامة من جهة ثانية، وقد أكد القضاء المصري هذه الفكرة بوصفها أساساً قانونياً لسلطة التعديل^(٣).

(١) أ. د. محمد الحسن، المرجع السابق، ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٢) د. سليمان محمد الطماوي، المرجع السابق، ص ٤٦٤.

(٣) د. محمد الحسين، الموسوعة القانونية المتخصصة، المرجع السابق، ص ٣٥٥.

ونحن نرى أن فكرة مقتضيات المرفق العام هي الأساس القانوني السليم الذي يجب أن تبنى عليه سلطة التعديل الإفرادي للإدارة، لأن الإدارة عندما تبرم عقودها الإدارية لتتخلى عن التزامها في تحقيق المصلحة العامة بل العكس من ذلك فهي تبقى المسئول دائماً عن حسن سير المرفق العام.

المطلب الثاني

مدى أعمال سلطة التعديل

إن الإجماع الفقهي والقضائي على تمتع الإدارة بسلطة التعديل الانفرادي لعقودها الإدارية لا يعني أن الإدارة تستطيع تعديل عقودها الإدارية بشكل مطلق، بل إن هذا التعديل مقيد فهو لا يتناول سوى الشروط العقدية المتعلقة بإدارة المرفق العام، وكذلك بالنسبة لنوع العقد واتصاله بالمرفق العام وذلك حسب الصور التالية^(١).

١. التعديل الكمي بالزيادة أو النقصان: حيث تمتلك الإدارة وفي جميع عقودها الإدارية، القيام بتعديل إلتزامات المتعاقد معها زيادة أو نقصان وذلك من الناحية الكمية دون أن يكون لها الإجراء النوعي للعقد وذلك بتعديل طبيعة الإلتزامات^(٢).

٢. التعديل في طرق ووسائل التنفيذ: يحق للإدارة عند ملامستها حصول ابتكارات جديدة خلال تنفيذ العقد تكون أكثر فائدة من المشروعات القديمة أن تستخدم حقها في التعديل الانفرادي للبنود العقدية، وذلك لمواءمة المرفق مع المتطلبات الجديدة الناشئة عن الابتكارات الحاصلة وبما يتناسب مع المصلحة العامة، حيث يمكن للإدارة أن تطلب من المتعاقد

(١) د. محمد الحسين، د. مهند نوح، العقود الإدارية، منشورات جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٥م، ص ٢٢٧-٢٢٨، ٢٣٨.

(٢) د. محمد نوح، الإيجاب والقبول في العقد الإداري، منشورات حلب الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٨٦-٨٧.

وتأمره باستخدام وسيلة فنية جديدة في التنفيذ بدلاً من الوسيلة المتبعة ولكن إذا تضرر المتعاقدين من جراء أوامر الإدارة بالتعديل فإنه لهم الحق في التعويض.

٣. تعديل مدة التنفيذ: يحق للإدارة عندما تجد ضرورة للإسراع في تنفيذ العقد تحقيقاً للمصلحة العامة أن تقوم بتقصير فترة التنفيذ، وكذلك يحق لها أن تطيل مدة التنفيذ عندما تجد ضرورة لذلك كنقص في الاعتمادات المالية، ويحق للإدارة أن تأمر بوقف تنفيذ العقد بشكل نهائي إذا رأت أنه لا فائدة من إكمال العمل بالعقد، وفي كل الحالات يحق للمتعاقد أن يطالب بالتعويض عما لحقه من ضرر.

المطلب الثالث

قيود استعمال سلطة التعديل

١. حدوث تغيير بظروف التعاقد خلال التنفيذ: حيث يجب حدوث تغيير وتبدل بالظروف المحيطة بالعقد خلال تنفيذه لم تكن في حساب المتعاقدين عند إبرام العقد، وأن تكون هذه الظروف المستجدة تقف حائلاً دون تحقيق المصلحة العامة، وذلك حتى يتسنى إعمال سلطة التعديل الانفرادي للإدارة بتعديل شروط العقد بما يتفق مع الظروف الجديدة للمصلحة العامة، وهذا الشرط ضروري ومتفق عليه من معظم الفقهاء لكن الأمر مختلف عليه إذا لم يحدث تغيير في الظروف لكن الإدارة لم تقدر مقتضيات المصلحة العامة بالشكل الصحيح وقت إبرام العقد بل أخطأت في تقديراتها فهل يحق لها إجراء التعديل أم لا؟

حيث يذهب الدكتور سليمان الطماوي برأيه مؤيداً سلطة الإدارة في تعديل عقودها الإدارية الانفرادية سواء كانت الإدارة مخطئة أم غير مخطئة في تقديراتها حيث يجب، لقد أصبح هناك إجماع فقهي وقضائي على حق الإدارة في التعديل الانفرادي لعقودها الإدارية دون نص يبيح ذلك العقد، وذلك لضرورات المصلحة العامة^(١).

بينما يرى الدكتور ثروت بدوي في رسالته عن عمل الأمير عدم إمكانية الإدارة تعديل عقودها انفرادياً في هذه الحالة، بل عليها تحمل مسؤولية الخطأ الذي وقعت فيه وقت الإبرام، بحيث يجب على الإدارة أن تقدر حاجة المرفق تقديراً سليماً منذ بداية الأمر^(٢).

٢. إقتصار التعديل على الشروط التنظيمية في العقد: حيث أنه من الراجح إن سلطة التعديل لا تتناول سوى الشروط العقدية المتصلة بسير المرفق العام وحاجته، وبالتالي لا يجوز للإدارة وبأي حال من الأحوال أن تمس شروطه العقدية الأخرى والتي لها صلة بالمرفق العام كالميزات والأفضلية الممنوحة للمتعاقد وأهمها المزايا المالية للمتعاقد.

٣. الالتزام بموضوع العقد: حيث إن سلطة الإدارة في التعديل الانفرادي يجب أن تقف عند حدود معينة لا يمكن تجاوزها، فلا يمكن للإدارة أن تفرض على المتعاقد التزامات جديدة خارج موضوع العقد، بحيث يجد المتعاقد نفسه أمام عقد جديد ما كان يقبل به لو عرض عليه في بادئ الأمر، كون المتعاقد أقدم على العقد في ضوء امكانياته المالية والفنية وتطبيقاً لذلك فلا يمكن للإدارة بتعديلها الانفرادي إعطاء محل جديد للعقد غير المحل المتفق

(١) . سليمان محمد الطماوي، المرجع السابق، ص ٤٦٥.

(٢) د. ثروت بدوي، نظرية فعل الأمير، رسالة دكتوراه مقدمة بالفرنسية في باريس ١٩٥٤م، ص ١٠١ مشار إليه لدى د. سليمان الطماوي، المرجع السابق، ص ٤٦٥.

عليه، أو تغيير نوع العقد أو موضوعه وإلا جاز للمتعاقد الامتناع عن تنفيذ قرار الإدارة أو طلب فسخ العقد مع المطالبة بالتعويض الكامل عما يكون لحقه من خسائر، لأن قرار الإدارة في مثل هذه الحالات يعد باطلاً بحيث يملك المتعاقد حق الامتناع عن تنفيذه وطلب إلغاءه من قاضي العقد.

٤. احترام مبدأ المشروعية: حيث يجب على الإدارة عند تعديلها لعقودها أن تحترم قواعد المشروعية، وذلك بأن يكون قرارها بالتعديل مستوفياً لأركان صحته من حيث صدور القرار عن السلطة المختصة، واستيفائه للشكليات والإجراءات القانونية، وأن تكون الغاية من القرار تحقيق المصلحة العامة، أما إذا كان إجراء الإدارة مخالفاً لمبدأ الشرعية فإنه يكون باطلاً ومن حق المتعاقد طلب إلغاءه من القاضي الإداري.

٥. عدم الإخلال بالتوازن المالي للعقد: حيث أنه وإن كان من حق الإدارة تعديل عقودها انفرادياً بزيادة أو إنقاص التزامات المتعاقد معها كميّاً، خلال تنفيذ العقد، إلا أنه لا يجوز لها بتعديلاتها أن تخل بالتوازن المالي للعقد، فتفرض التزامات جديدة على المتعاقد تجاوز الحدود الطبيعية أو المعقولة وتؤدي إلى قلب اقتصاديات العقد رأساً على عقب، وفي حال حدوث ذلك فإنه يحق للمتعاقد مع الإدارة الامتناع عن تنفيذ العقد أو طلب فسخ العقد مع حقه في التعويض الكامل والشامل عن كافة الأضرار التي لحقت به من جراء تصرف الإدارة، أي تعويضه عن كافة الخسائر التي لحقت به وعن الأرباح المشروعة التي كان من الممكن أن يحققها لو استمر العمل بالعقد بالشكل الطبيعي، وهذا التعويض الكامل هو أحد أهم الآثار القانونية لنظرية فعل الأمير التي تعتبر سلطة التعديل الانفرادي إحدى تطبيقاتها^(١).

(١) أ. د. محمد الحسين، د. مهند نوح، العقود الإدارية، المرجع السابق، ص ٣٢٨-٣٢٩.

الحاتمة والنتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

١. تعد الرقابة والإشراف من قبل الإدارة من السلطات الهامة والخطيرة في نفس الوقت إذا لم تقم بها الإدارة على الوجه الصحيح.
٢. دور الإدارة في سير المرافق العامة وبالتالي يكون لها سلطة رقابة وإشراف حتى تستطيع تسيير هذه المرافق.
٣. إن عدم نص العقد على حق الرقابة لا يحرم الإدارة من سلطتها في مراقبة تنفيذ العقد فهذا الحق الأصيل للإدارة تستمد من المبادئ العامة للقانون الإداري وليس من نصوص العقد.
٤. تمارس الإدارة رقابتها في عقود الامتياز عن طريق الإشراف للتأكد من سير عمليات الاستغلال.
٥. إن الإدارة تستطيع الخروج على قاعدة العقد شريعة المتعاقدين في القانون المدني استثناء إلى قاعدة أخرى تمتاز وتختص بها العقود الإدارية، وهي " أن العقد شريعة المرفق العام " وذلك إذا اقتضت الظروف المستجدة بالمرفق موضوع العقد قيام الإدارة بتعديله بإرادته المنفردة.
٦. إن الإجماع الفقهي والقضائي على تمتع الإدارة بسلطة التعديل الإنفرادي لعقودها الإدارية لا يعني أن الإدارة تستطيع تعديل عقودها الإدارية بشكل مطلق، بل إن هذا التعديل مقيد.

ثانياً: التوصيات:

١. على الجهات المختصة أن تضع الحدود لسلطة الإدارة في الرقابة والإشراف وأن تقوم بمعالجة التجاوزات التي تقع نتيجة لذلك.

٢. على الجهات التشريعية إعطاء الهيئات الإدارية الحق في التعديل الإنفرادي دون الحاجة لنص وذلك نسبة لضرورة المصلحة العامة.
٣. عدم مساس الإدارة بالشروط العقدية الأخرى والتي لها صلة بالمرفق العام كالميزات والأفضلية الممنوحة للمتعاقد والتي منها المزايا المالية للمتعاقد.
٤. على الإدارة عند تعديلها لعقودها أن تحترم قواعد المشروعية، وذلك بأن يكون قرارها بالتعديل مستوفياً لأركان صحته من حيث السلطة المختصة، واستيفائه للشكليات والإجراءات القانونية، وأن تكون الغاية تحقيق المصلحة العامة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. كتب الفقه الإسلامي د. عبدالله معصر معجم مصطلحات الفقه المالكيين دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، ١٩٧١ م .
كتب اللغة:
 ١. ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
 ٢. الصحاح، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الجزء ٣، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ. النهاية (ابن كثير) ج ٢.
 ٣. المصباح المنير، احمد بن محمد بن علي الفيومي، دار المعارف، القاهرة، ج ١، . القاموس المحيط، الفيروز ابادي، الجزء ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
 ٤. القواعد، ج ٣، الإيضاح، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ج ٣. الكتب القانونية:
 ٥. د. خير الدين موسي احمد، إدارة المشاريع المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠١٢ م.
 ٦. عبد الكريم أبو مصطفى، الإدارة والتنظيم والمفاهيم والوظائف والعمليات، مكتبة الإشعاع الإسكندرية، ٢٠٠١ م.
 ٧. صالح هاشم صديق، التخطيط والرقابة، الجامعة المفتوحة للنشر، طرابلس، ١٩٩٨ م.

٨. زيد منير عبودي وسامي محمد هشام حري، مدخل الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر، عمان، ٢٠٠٥ م.
٩. سعاد نايف البرنوطي، أساسيات إدارة الأعمال، دار وائل لنشر، الأردن، ٢٠٠١ م.
١٠. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الأسس العامة للعقود الإدارية، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، ٢٠٠٥ م.
١١. د. محمد الحسين، د. مهند نوح، العقود الإدارية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٥ م.
١٢. د. إبراهيم الشهاوي، عقد امتياز المرفق العام، دراسة مقارنة، مؤسسة الطوبجي، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
١٣. د. محمد سعيد أمين، الأسس العامة لالتزامات وحقوق المتعاقد مع الإدارة في تنفيذ العقود الإدارية حقوق عين شمس، ١٩٨٤ م.
١٤. د. سليمان محمد الطماوي، الأسس العامة للعقود الإدارية، دراسة مقارنة، مطبعة عين شمس، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤ م.
١٥. د. محمد نوح، الإيجاب والقبول في العقد الإداري، منشورات حلب الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥ م.

الاتفاقيات:

١٦. اتفاقية حكومة جمهورية مصر العربية، والهيئة العامة للبترو، المادة الرابعة.

القوانين:

١٧. قانون تنظيم المرافق الخاصة المصري رقم ١٢٩ لسنة ١٩٤٧ م المعدلة، المادة الثالثة عشرة .

١٨. قانون إدارة وتشغيل المطارات المصري، المادة ٢٤.

المجلات العلمية والرسائل:

١٩. عبدالله حجاج، العقود الإدارية، مجلة القانون العام والعلوم الإدارية، ديسمبر ٢٠١٢ م .

٢٠. د. ثروت بدوي، نظرية فعل الأمير، رسالة دكتوراه مقدمة بالفرنسية في باريس ١٩٥٤ م .

أحكام المحاكم:

٢١. حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية، رقم ٥١٦-١٣ في يونيو ١٩٧٢ م، السنة القضائية ١٨ .

أثر العلاج الديني وفاعلية برنامج إرشادي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات جامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم

د. محمد حيدر الحبر الطيب

ملخص

استهدفت الدراسة التعرف إلى فاعلية برنامج إرشادي علاجي إسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات جامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم ، وتكونت عينة الدراسة من (٢٤) طالبة من كلية التربية الجامعية، وتم توزيعهن على مجموعتين متساويتين، مجموعة تجريبية تألفت من (١٢) طالبة، ومجموعة ضابطة تألفت من (١٢) طالبة، وتم استخدام مقياس الأمن النفسي والبرنامج الإرشادي باستخدام استراتيجيات الإرشاد والعلاج الديني الإسلامي، بينما لم تتعرض المجموعة الضابطة للبرنامج الإرشادي، وتوصلت الدراسة في نتائجها إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي ولصالح المجموعة التجريبية؛ أي فاعلية البرنامج الإرشادي والعلاج الإسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى الطالبات. (كلمات مفتاحية: الإرشاد والعلاج الإسلامي، الأمن النفسي، طالبات الجامعة).

• أستاذ مساعد - قسم العلوم التربوية - كلية التربية - جامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم - السودان.

Abstract

This study aimed to identify effectiveness of Islamic counseling and therapy program in the development psychological sense of psychological security for female students. The sample of the study consisted of (24) female students from the College of University. They were divided into two equal groups, an experimental group consisted of (12) female students, and a control group consisted of (12) female students, To measure such an issue, the standards of Islamic psychological security and counseling program has been implemented, using strategies of Islamic counseling and treatment. while the control group was not exposed to the program. The study found that there are significant statistical differences at the level of (0.05) between the experimental and control groups in post test in favor of the experimental group; i.e. there is an instructional effectiveness of the Islamic treatment of the psychological development of a sense of security among female students.

(key words: Islamic Counseling and Therapy, Psychological Security, Female Students).

مقدمة والإطار النظري

الحمد لله رب العالمين، مُجيب المضطرِّ إذا دعاه، أدعوه مخلصاً له الدين،
والصلاة والسلام على النبي الأميِّ محمد، خاتم النبيين وإمام المرسلين، الحياة
كنوز ونفائس وأعظمها الإيمان بالله وطريقها منارة القرآن الكريم، إن كلاً منا
يبحث عن السعادة ويسعى إليها، فهي أمل كل إنسان ومنشود كل بشر والتي
بها يتحقق له الأمن النفسي^(١).

يعدُّ مفهوم الأمن النفسي (Psychological Security) من المفاهيم
المركبة في علم النفس، ويتداخل في مؤشرات مع مفاهيم أخرى مثل الطمأنينة
الانفعالية، الأمن الذاتي، التكيف الذاتي، الرضا عن الذات، مفهوم الذات
الإيجابي، التوازن الانفعالي^(٢)، وهو الطمأنينة النفسية أو الانفعالية وهو الأمن
الشخصي أو أمن كل فرد على حدة، وهو حالة يكون فيها إشباع الحاجات
مضموناً وغير معرض للخطر وهو محرك الفرد لتحقيق أمنه وترتبط الحاجة إلى
الأمن ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء، ويعد مفهوم الأمن النفسي من
المفاهيم الأساسية في مجال الصحة النفسية^(٣).

ويرى ماسلو (Maslow) أن الأمن النفسي يعني شعور الفرد بأنه
محبوب ومنتقل من الآخرين، له مكان بينهم يدرك أن بيئته صديقة وودودة
غير محبطة يشعر فيها بندرة الخطر والتهديد والقلق^(٤)، والحاجة إلى الأمن
النفسي تتضمن الصحة الجسمية والأمن الجسمي، والحاجة إلى الشعور بالأمن
الداخلي والبقاء حياً، والحاجة إلى تجنب الخطر، والألم، والحاجة إلى الاسترخاء

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، جدة، دار العلم، ١٤٠٦ هـ (ط١٢).

(٢) سعد، علي، "مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد (١٥)، العدد ١٩٩٩، ١٠٠.

(٣) عبدالرحمن، محمد السيد، دراسات في الصحة النفسية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م، ١٠٠.

(4) Jaffe, Alan M: Comparison of state legislators with a central group on Maslow's
"Security- Insecurity" Measure. Psychological Reports, 48, (1981).41- 42.

والراحة، والحاجة إلى الشفاء عند المرض، والحاجة إلى الحياة السوية المستقرة السعيدة، والحاجة إلى الحماية ضد الحرمان من إشباع الدوافع، والحاجة إلى المساعدة في حل المشكلات⁽¹⁾.

والأمن النفسي أحد الحاجات المهمة للشخصية الإنسانية حيث تمتد جذوره إلى طفولة المرء، والأم هي أول مصدر لشعور الطفل بالأمن، ولخبرات المرء دور مهم في شعوره بالأمن النفسي، فأمن المرء يصبح مهدداً في أية مرحلة من مراحل العمر؛ إذا ما تعرض لضغوط نفسية أو اجتماعية لا طاقة له بها، مما قد يؤدي إلى الاضطراب النفسي، لذلك يعد الأمن النفسي من الحاجات ذات المرتبة العليا للإنسان يتحقق بعد تحقيق حاجاته الدنيا⁽²⁾.

إن الأمن النفسي من أهم الحاجات النفسية ومن أهم دوافع السلوك طوال الحياة، وهو من الحاجات الأساسية اللازمة للنمو النفسي والتوافق النفسي والصحة النفسية للفرد، أي أن بناء الصحة النفسية ترتكز على دعامتين أساسيتين هما: الاطمئنان النفسي والمحبة، وهي مسيرة الحياة الطبيعية عند علماء النفس والتي تبدأ من الطفولة وتنتهي بالشيخوخة، بمعنى أن الاطمئنان والمحبة يسيران مسيرتهما في النفس البشرية بين شاطئين، شاطئ الاطمئنان في الطفولة وشاطئ الأمن والأمان في الأمن النفسي⁽³⁾.

ويؤكد لنا القرآن الكريم بأنه لن يتحقق للإنسان الطمأنينة والأمان إلا بذكره الله عز وجل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. إذن؛ علينا أن نتمسك بكتاب الله ونقتدي به، ونتدبر

(1) زهران، حامد، الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٩م (٤).

(2) Robert, John E. Adult Attachment Security And Symptoms Of Depression, (1996), Vol 70, No2.

(3) زهران، حامد، الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي والعالمي، دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٣م.

في آياته البيّنات، وتأمل في كلماته التي لا تنفد أبداً، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

إن حفظ القرآن الكريم وملازمة المراجعة والتلاوة؛ أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي والطمأنينة القلبية والسكينة فهو طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته فإذا بالشخص بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقاً جديداً^(١).

والمؤمن المواظب على ذكر الله وطاعته ودائم التوكل على الله في جميع شؤونه لا يأتيه الخوف والحزن لأنه في حفظ الله ورعايته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية، والدينية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به"^(٢).

إن القرآن الكريم قد سبق علماء النفس عندما أوضح لنا أهمية الإيمان في تحقيق الأمن النفسي، لأنه يزيد من ثقة الإنسان بنفسه ويزيد من قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة، ويبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة، ونجد أن الإنسان المؤمن يتمسك بكتاب الله لاجئاً إليه دائماً،

(١) العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، بيروت، دار الراتب الجامعية، ٢٠٠١م، ط ١.

(٢) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ط ٤.

فهو بالنسبة له خير مرشد في تحقيق الاستقرار النفسي له^(١)، وهناك شواهد وأدلة عديدة من القرآن والسنة على علاقة الإيمان بالأمن النفسي من قصص الأنبياء، ومواقف من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه - رضي الله عنهم -، ونذكر هنا مثلاً واحداً فقط من الشواهد: فبنو إسرائيل لما لحقهم فرعون وجنوده، وضافت بهم الأرض، وظنوا أنهم مأخوذون لا محالة، كانت لدى موسى عليه السلام طمأنينة عجيبة مستولية عليه، وثبات كبير، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ • قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ • فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ • وَأَزَلَّ فَتَأْتُمُ الْآخِرِينَ • وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ • ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٦] ^(٢).

والتوكل على الله مهم جداً في باب الأمن النفسي، لأن العبد إذا قدم كل ما يستطيع، وبذل ما يقدر أن يبذله من أسباب، فإنه لا يبقى له إلا أن يفزع إلى مولاه، ويلقي بنفسه بين يديه، ويطمئن إليه، ويثق تمام الوثوق بأن الله تعالى حافظه ومانعه من أعدائه^(٣). ومن الأدلة على علاقة التوكل بالأمن النفسي قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ • فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَتَى الْفِرْعَوْنَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَخْرَجُوهُم مِّنْ دَارِهِمْ فَمَا يَسْكَنُونَ • إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ • إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وذكر الله تعالى، حيث ورد في كتاب الله ما يدل على ذلك، فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقد

(١) الشريف، محمد موسى، الأمن النفسي، دار الأندلس الخضراء ضمن سلسلة معالم على طريق الصحة، جدة، السعودية، ١٤٢٤ هـ، ط ٢.

(٢) الحراشي، ناهد، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣ م.

(٣) العيسوي، عبد الرحمن محمد، الهدى الإسلامي والصحة النفسية، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٢ م، ط ١.

بين النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحاديثه أثر الذكر في تحقيق الأمن النفسي، وفي حديث أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب - الله، الله ربي ولا أشرك به شيئاً"^(١)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يُستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء"^(٢).

ومن الأدلة القرآنية والنبوية على أنواع من الأدعية تحقق الأمن النفسي، مثل: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها"، فقال - صلى الله عليه وسلم -:
أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] ^(٣).

ومن هنا يعدُّ الإرشاد والعلاج الإسلامي من أساليب التوجيه والاستبصار يعتمد على معرفة الفرد لنفسه ولربه ولدينه والقيم والمبادئ الروحية والخلقية، وهذه المعرفة غير الدنيوية المتعددة الجوانب والأركان تعتبر مشعلاً يوجه الفرد في دنياه ويزيده استبصاراً بنفسه وبأعماله وذنوبه وآثامه وطرائق توافقه في حاضره ومستقبله، والدين الإسلامي يحتل مكانة بارزة بين حاجات الأفراد، بكونه دافعاً فطرياً لدى الفرد لعبادة الله، وطلب العون

(١) سنن أبي داود، كتاب سُجُودِ الْقُرْآن، بَابُ تَفْرِيعِ أَيْوَابِ السُّجُودِ وَكَمْ سَجْدَةٌ، رقم الحديث: ١٣٠٨.

(٢) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي: ١ / ٧٢٩.

(٣) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي: ١ / ٦٨٤ - ٦٨٥.

والحاجة من الله، وكونه عاملاً مهماً في حياة الإنسان النفسية، وعنصراً أساسياً في نمو شخصيته، وأعظم دعائم السلوك حيث يوفر قاعدة وجدانية تضمن الأمن والاطمئنان النفسي والاتزان الانفعالي، وتفاؤل وحب للحياة، وعدم النظرة إليها نظرة تشاؤمية، وتأكيد الهوية^(١).

إن أهمية الإرشاد والعلاج الإسلامي تتمثل في أثر سيكولوجية الدين الإسلامي في علاج الاضطرابات النفسية باختلاف أنواعها، ويؤدي الإسلام دوراً إيجابياً في الوقاية من أعراض الاضطرابات النفسية لدى الأفراد؛ نظراً لارتباط ارتفاع مستوى الإيمان بالكثير من الجوانب الإيجابية لديهم، فيؤدي إلى صحة نفسية أفضل وقدرة أكبر على مجابهة الأمراض، والتغلب على آثارها السلبية، وسرعة الشفاء من الأعراض النفسية، الأمر الذي يدعم الاهتمام ببرامج الإرشاد النفسي الديني الإسلامي وفعاليتها في علاج الاضطرابات النفسية^(٢).

والإرشاد والعلاج النفسي الإسلامي هو أحد المساعدات الإرشادية التي تستخدم كأداة للتغلب على العقبات التي تقف في سبيل التوافق النفسي، وتحقيق الحاجات النفسية والسيكولوجية لدى الأفراد بصفة عامة، والشباب بصفة خاصة، وذلك عن طريق الإفادة من محتوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كأحد المساهمات في تصحيح الأفكار والتصورات الخاطئة^(٣)، وهو عمليات تعلم وتعليم نفسي اجتماعي يستخدم فيه فنيات وتقنيات وأساليب فنية ومهنية، ويهدف إلى مساعدة الفرد على حل مشكلاته ومواجهتها بأساليب

(١) الحديبي، مصطفى عبد المحسن، أهمية الإرشاد النفسي الديني والحاجة إليه وتطبيقاته لأحد الاضطرابات النفسية، وحدة الأبحاث النفسية والاجتماعية. كلية التربية، جامعة أسبوط، ٢٠١٠م.

(٢) عنوة، عزيزة، مدى فعالية العلاج النفسي الديني، الجزائر، دار هومه، ٢٠٠٨م.

(٣) ياركندي، هانم بنت حامد، الصحة النفسية في المفهوم الإسلامي، الرياض، عالم الكتب، ٢٠٠٣م.

توافقية مباشرة، وإعانتته على فهم نفسه، ومعرفة قدراته وميوله وتشجيعه على الرضا بما قسم الله له^(١)، وتدريبه على اتخاذ قراراته بهدي من شرع الله حتى ينشأ عنده طلب الحلال بإرادته، وترك الحرام بإرادته، ويضع لنفسه أهدافاً واقعية مشروعة، ويجد تحقيق ذاته من فعل ما يرضي الله، فينعم بالسعادة في الدنيا والآخرة^(٢).

ويقوم الإرشاد والعلاج الإسلامي على أسس ومبادئ ومسلمات تتعلق بالسلوك البشري وعلى أسس فلسفية تتعلق بطبيعة الإنسان وأخلاقيات الإرشاد النفسي، وعلى أسس نفسية وتربوية تتعلق بالفروق الفردية ومطالب النمو، وعلى أسس اجتماعية تتعلق بحاجات الفرد والمجتمع، وعلى أسس فسيولوجية تتعلق بالجهاز العصبي والحواس^(٣)، ومن خلال تأسيس الإرشاد النفسي على أسس ومنطلقات وممارسات إسلامية تجعل الإرشاد النفسي أكثر كفاءة عند الأفراد في وقايتهم من الاضطرابات النفسية ومساعدتهم على استعادة الصحة النفسية^(٤).

مشكلة الدراسة:

تعد الحاجة إلى الأمن النفسي من الحاجات الأساسية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها بعد إشباع حاجاته البيولوجية، فإذا لم تتحقق الحاجة إلى الأمن النفسي أصبح العالم في نظره مليئاً بالخوف والتهديد، إذ إن انعدام

(١) محمد، محمد عودة، ومرسي، كمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، الكويت، دار القلم، ١٩٩٧م، ط٤.

(٢) الأحمد، عبد العزيز عبد الله، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس، قسم علم النفس كلية التربية، مكة المكرمة، ١٩٩٩م.

(٣) مرسي، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية مسئولية الفرد في الإسلام وعلم النفس، الكويت، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٠م.

(٤) أبو شهيه، هناء يحيى، السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧م.

الأمن النفسي يؤدي إلى ظهور اضطرابات شخصية وانفعالية، والأمن النفسي أحد العوامل المهمة التي تؤثر في شخصية الفرد، فالفرد يجد أمنه النفسي في انضمامه إلى جماعة تشعره بالأمن النفسي حيث يجد الراحة والأمن في صحبة الآخرين ويحتاج إليهم ليكونوا بجواره عندما يقابله خطر وعندما تحل به مصيبة لأن وجوده معهم يخفف عنه الخطر حتى ولو لم يمينه^(١).

فالأمن النفسي مرتبط بالفرد ويمتد عبر مراحل النمو كافة، إذ إن إهمال تنمية الأمن النفسي لدى الطالب يؤثر سلباً على صحته النفسية، فالمرهقون المضطربون انفعالياً في الغالب يعانون من عدم الشعور بالأمن النفسي، حيث يعتبر الأمن النفسي عاملاً مهماً من عوامل الصحة النفسية التي يحتاجها الفرد لكي يتمتع بشخصية ناضجة ومنتزعة ومنتجة ومنتكيفة.

وتظهر مشكلة الدراسة في تأثير اضطراب الأمن النفسي كأحد الاضطرابات التي تؤثر على حياة الطالبة وعلى توافرها النفسي، وطالبة الجامعة فضلاً عن كونها طالبة جامعية لها مستقبل أن تكون زوجة، أو معلمة، أو أمماً؛ تؤثر إصابتها باضطراب الأمن النفسي على مجمل حياتها الشخصية، والاجتماعية، والدراسية، كما تؤثر على أسرتها والمجتمع بشكل عام. وتتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي:

ما مدى فاعلية برنامج إرشادي علاجي إسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم؟
وانبثق عن هذا السؤال ثلاثة فروض هي:

(١) زهران، الصحة النفسية، ص ٣٠-٤٤.

- "توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات طالبات المجموعة الضابطة على مقياس الأمن النفسي بعد تطبيق البرنامج الإرشادي".
- "توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات الطالبات في المجموعة التجريبية على مقياس الأمن النفسي قبل تطبيق البرنامج الإرشادي ثم بعد تطبيقه لصالح التطبيق البعدي".
- "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات الطالبات في المجموعة التجريبية على مقياس الأمن النفسي في القياسين البعدي والتبعي".

أهمية الدراسة:

تعد المرحلة الجامعية مرحلة تعليمية مهمة، لأنها تترك أثارها على مستقبل الطالبة دراسياً ومهنياً، وهي من المراحل المسؤولة عن إعداد الشباب لحياة أسرية واجتماعية وتعدّ عاملاً مهماً في النمو الاجتماعي للفرد، وتحقق لهم التكيف والصحة النفسية.

وطالبات الجامعة عرضة للاضطرابات النفسية المختلفة والمتنوعة، والتي من بينها اضطراب الأمن النفسي؛ فالطالبات اللاتي يعانين من سوء التوافق النفسي والاجتماعي، ويتبنين مفهوم ذات سلبياً، ويعانين من انخفاض في درجة الدافعية لديهن، ويشتكين من عدم القدرة على مواجهة المشكلات؛ هن في أمس الحاجة إلى البرامج الإرشادية والعلاجية الإسلامية لتدريبهن على التخطيط والتغلب على هذه المعوقات التي قد تتسبب في ظهور الاضطراب النفسي، ويعد الإرشاد والعلاج الإسلامي أحد أبرز تلك التدخلات الفعالة؛

إذ يسهم في تحسين قدرة الفرد على التفكير والإدراك السليم للمواقف. ويساعد الفرد على الوعي بالذات، والتعبير عن النفس، واكتساب المهارات الحياتية بل ممارستها، ومن خلال ذلك تصل الطالبة إلى الشعور بالأمن النفسي وفهم نفسها وفهم الآخرين^(١).

وتأتي أهمية الدراسة من أهمية الدين الإسلامي والمتمثل بالالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأدعية والأذكار طريق لعلاج الاضطرابات النفسية، وكمقوم أساسي يساعد الأفراد في التخلص من الأزمات النفسية، وإن الإسلام هو الملاذ الوحيد للتخلص من الصدمات النفسية التي لا يتحملها إلا الشخص المؤمن، فهناك علاقة بين التأثير الديني الإسلامي والصحة النفسية والتي توصلت إلى أن الإيمان والخبرات الدينية لها دور في خفض الاضطرابات النفسية وباعتبار أن طالبات الجامعة في مرحلة الشباب وهي مرحلة مليئة بالقلق تجاه المستقبل، وباعتبار أن الإسلام يصحح فكر الإنسان وتصوراته في كل أمور الدنيا والآخرة^(٢).

كما وترتبط أهمية الدراسة بأهمية القرآن الكريم وتعاليم الإسلام والشريعة الإسلامية وندرة الدراسات التي استخدمت الإرشاد والعلاج الإسلامي في تنمية الأمن النفسي، وقد أثبتت الدراسات (السابقة) أن الإرشاد والعلاج الإسلامي قد نجح في تعديل وتغيير الكثير من السلوكيات، واسهم في التوافق النفسي والاجتماعي، وتلعب الأساليب الإرشادية المستمدة من القرآن الكريم والسيرة النبوية دورا مهما في تعديل السلوك المضطرب، ويُعد (أسلوب

(١) شاذلي، عبد الحميد محمد، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩م.

(٢) الر يماوي، محمد عودة، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، الكويت، دار القلم، ١٩٨٦م، ط٢.

الإرشاد والعلاج الإسلامي) من الأساليب المهمة في تنمية تلك السلوكيات؛ إذ انه يساعد الطالبة على فهم الواقع الذي تعيش فيه وإشباع حاجاتها بما يتلاءم مع الواقع وتحقيق التوافق النفسي مع نفسها ومع المجتمع .

وتأتي أهمية الدراسة في أنها تسهم في التعامل مع مشكلة حيوية، وواقعية، وهي اضطراب الأمن النفسي لدى عينة من طالبات الجامعة، والتحقق الإجرائي من مدى فاعلية برنامج قائم على الإرشاد والعلاج الإسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى عينة من طالبات المرحلة الجامعية، مساهمة في الأخذ بأيديهن لاكتساب بعض مهارات التوافق النفسي والاجتماعي.

هدف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على فاعلية برنامج إرشادي جماعي علاجي في الإرشاد الإسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة.

حدود البحث:

يتحدد البحث بطالبات جامعة جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - كلية التربية الجامعية للعام الدراسي (٢٠١٢ - ٢٠١٣).

مصطلحات الدراسة:

الإرشاد والعلاج الإسلامي: مجموعة من الخدمات التخصصية التي يقدمها مختصون في الإرشاد النفسي والتربوي لأشخاص يعانون من سوء توافق نفسي أو شخصي أو اجتماعي بهدف مساعدتهم على تجنب الوقوع في مشكلات أو محن نفسية أو اجتماعية أو أسرية، وتقليل آثارها إذا وقعت ، وتزويدهم بالمعارف الدينية الإسلامية والعلمية والمهارات الفنية لتحسين

توافقهم النفسي^(١)، استرشاداً بالعبادات والقيم الدينية، مثل: التقوى، والتوكل، والصبر، والإيمان بالقضاء والقدر، والدعاء، هذا من ناحية، وتحقيق النمو الذاتي وتحمل المسؤولية الاجتماعية وتحقيق أهدافه المشروعة من الناحية الدينية في نطاق قدراته وإمكاناته^(٢).

ويعرف (السهل) الإرشاد النفسي الإسلامي أنه: مجموعة من الخدمات التخصصية التي يقدمها مختصون (مرشدون) في علم النفس الإرشادي إلى أشخاص يعانون من سوء توافق نفسي أو شخصي أو اجتماعي بهدف مساعدتهم على تجنب الوقوع في مشكلات أو محن نفسية أو اجتماعية أو أسرية، وتقليل آثارها إذا وقعت، وتزويدهم بالمعارف الدينية والعلمية والمهارات الفنية لتحسين توافقهم النفسي مع هذه الظروف استرشاداً بالعبادات والقيم الإسلامية، مثل: التقوى، والتوكل، والصبر، والإيمان بالقضاء والقدر، والدعاء^(٣).

وإجرائياً: يقتصر الإرشاد والعلاج الإسلامي على الفنيات والأساليب المستخدمة في البرنامج العلاجي (وفق منظور الشريعة الإسلامية) الذي قام الباحثان بإعداده وتطبيقه على عينة من طالبات الجامعة، وهي: التقوى، والتوكل، والصبر، والإيمان بالقضاء والقدر، والدعاء - الاستغفار - فنية إعادة البناء المعرفي - فنية التعريض ومنع الاستجابة - فنية التحصين التدريجي - فنية صرف الانتباه - الطرق الاقتدائية - فنية لعب الدور، المناظرة والحوار - فنية التعزيز - فنية الاسترخاء العقلي والتدريب على التنفس - تقليل الحساسية

(١) زهران، الأمن النفسي دعامة، ص ٣٣.

(٢) أبو شهبه، هناء يحيى، فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني لتخفيف الإحساس بالمشكلات لدى المراهقات الجامعيات، نوقشت

الدراسة ونشرت بمجلد المؤتمر الدولي، جامعة الزهر، مصر، ٢٠٠٤م.

(٣) السهل، راشد علي، مقدمة في الإرشاد النفسي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٢م، ط ١.

التدريجي - الاعتراف بالذنب - فنية إعادة العزو - أسلوب المحاضرة
والوعظ - أسلوب المناقشة الجماعية، الواجبات المنزلية.

الأمن النفسي: وهو الاطمئنان وعدم الخوف وهو الشعور بالأمان والسكينة
والرضا والهدوء النفسي والسلام الروحي والاطمئنان القلبي حيث يحيا
الإنسان حياة آمنة مطمئنة^(١).

وفي حدود هذه الدراسة: هو الدرجة التي تحصل عليها الطالبة على مقياس
الأمن النفسي.

الدراسات السابقة:

يستعرض الباحث الدراسات السابقة التي استخدمت الإرشاد
والعلاج الإسلامي في علاج الاضطرابات النفسية، والدراسات المتعلقة
بالأمن النفسي.

ففي دراسة (رجب سيد أحمد، ٢٠٠٩)^(٢)، والتي استهدفت استكشاف
فعالية برنامج نفسي قائم على العلاج النفسي الديني الإسلامي في التخفيف من
أعراض اضطراب الوسواس القهري لدى عينة من طالبات الجامعة. وتكونت
عينة الدراسة من (٢٠) طالبة جامعية؛ ممن يعانين من اضطراب الوسواس
القهري، حيث تم تقسيمهن إلى مجموعتين متجانستين هما: المجموعة التجريبية:
وقوامها (١٠) طالبات. والمجموعة الضابطة: وقوامها (١٠) طالبات، وشملت
أدوات الدراسة: المقابلة الشخصية، وقائمة مودزلى للعصاب القهري،
ومقياس يل براون للوسواس القهري، ومقياس المستوى الاجتماعي الاقتصادي

(١) السهلي، ماجد، "الأمن النفسي وعلاقته بالأداء الوظيفي"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك نايف بن عبد العزيز،
السعودية، ٢٠٠٧م.

(٢) سليمان، رجب سيد أحمد، "فعالية العلاج النفسي الديني في تخفيف أعراض الوسواس القهري لدى عينة من طالبات
الجامعة"، جامعة طيبة، السعودية، ٢٠٠٩م.

والثقافي، وبرنامج العلاج النفسي الديني الإسلامي، وتوصلت الدراسة في نتائجها إلى فاعلية برنامج العلاج النفسي الديني الإسلامي في التخفيف من أعراض الوسواس القهري.

وفي دراسة (الجروشي، ٢٠٠٧)^(١) والتي استهدفت التعرف إلى مدى فاعلية الدعاء كبرنامج إرشادي نفسي ديني في خفض قلق السمة - قلق السمة يشير إلى ميل أو تهيو أو سمة ثابتة نسبياً في الشخصية (شخص قلق) - لدى طالبات كلية الآداب في جامعة السابع من أكتوبر بمدينة مصراته، بلغ عدد العينة (٣٦) طالبة انقسمت إلى مجموعتين مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية، وتراوحت أعمارهن ما بين (١٩-٢١) سنة، تضمنت الأدوات المستخدمة في الدراسة مقياس سبيلبرجر القلق كسمة، وبرنامج مبني على الدعاء الإسلامي، وتوصلت الدراسة في نتائجها إلى فعالية البرنامج الإرشادي المبني على الدعاء، وأوصت الدراسة بتوجيه اهتمام الوالدين بتنمية القيم الدينية والأخلاقية التي تساعد على تحقيق الطمأنينة لدى الأبناء.

وفي دراسة (بركات، ٢٠٠٦)^(٢) والتي استهدفت التعرف إلى تأثير الاتجاه نحو الالتزام الديني في التكيف النفسي والاجتماع، وعلاقته ببعض المتغيرات المرتبطة بالطالب الجامعي: الجنس، والعمر، التخصص، والتحصيل الأكاديمي، وعمل الأب، وعمل الأم، واستخدم الباحث مقياس الاتجاه نحو الالتزام الديني، ومقياس التكيف النفسي والاجتماعي لطلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٠) طالباً وطالبة، منهم (١٠٠) ذكور، و(١٠٠) من الإناث، وقد

(١) الجروشي، أسماء، "مدى فاعلية الدعاء كبرنامج إرشادي نفسي ديني في خفض قلق السمة لدى طالبات كلية الآداب"، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السابع من أكتوبر، مصراته، ليبيا، ٢٠٠٧م.

(٢) بركات، زياد، الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مج(٤٦)، ١٥٤، ٢٠٠٦م، ٤٩-٨٩.

أسفرت الدراسة عن وجود تأثير جوهري لاتجاه الطلاب نحو الالتزام الديني في مستوى تكيفهم النفسي والاجتماعي لمصلحة الطلبة ذوي التوجه المرتفع ، كما أظهرت الدراسة وجود تأثير للمتغيرات: الجنس، والتخصص، والعمر في الاتجاه نحو الالتزام الديني وذلك لمصلحة الإناث، وأوصى الباحث بدعوة التربويين وأولياء الأمور والمعلمين على حث الشباب للتمسك بالقيم الإسلامية لما له من تأثير في وصولهم لمستوى من الأمن والاستقرار النفسي.

وفي دراسة (أبو شهبه، ٢٠٠٤)^(١) فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني لتخفيف الإحساس بالمشكلات لدى المراهقات الجامعيات، وتألفت عينة الدراسة من (٤٠٠)، طالبة متوسط أعمارهن (١٨،٤) سنة، واستخدمت الباحثة مقياس قائمة مقياس الإحساس بالمشكلات لدى المراهقات، وبرنامج الإرشاد النفسي الديني الجماعي من منظور الإسلام، وتوصلت الدراسة في نتائجها إلى فاعلية البرنامج الإرشادي النفسي الديني الإسلامي، وأهمية إعداد البرنامج الإرشادي النفسي الديني الإسلامي ومدى حاجة المراهقات الجامعيات إلى مثل هذا البرنامج.

وفي دراسة (رشيد، ٢٠٠٤)^(٢) والتي استهدفت التعرف إلى فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الأمن النفسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية ، وتألفت عينة الدراسة من (٣٠) طالبة، وقد استخدم الباحث مقياس الأمن النفسي وبناء مقياس لحصر المشكلات التي يمكن أن تكون مصدر قلق لهم وتدفع بحاجتهم إلى الأمن النفسي ، وقام بتطبيق برنامج إرشادي نفسي ، وقد توصلت الدراسة

(١) أبو شهبه، السنة النبوية.

(٢) رشيد، احمد، "فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الأمن النفسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية"، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٤م.

في نتائجها إلى فعالية الإرشاد النفسي الجماعي في تنمية مشاعر الأمن النفسي لدى الطلاب .

وفي دراسة (الصنيع، ٢٠٠٢)^(١) والتي هدفت إلى معرفة العلاقة بين التدين الإسلامي والقلق العام لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تكونت عينة الدراسة من (٢٤٠) طالباً، واستخدم مقياس التدين، ومقياس القلق العام للراشدين، وانتهت الدراسة إلى نتائج تؤيد العلاقة العكسية بين التدين والقلق العام لدى عيني الدراسة، كما أن طلاب كلية الشريعة حصلوا على متوسط درجات أعلى من طلاب كلية العلوم الاجتماعية على مقياس التدين، بينما على مقياس القلق العام حصل طلاب كلية العلوم الاجتماعية على متوسط أعلى من طلاب كلية الشريعة. وأوصى الباحث دعم الجانب الديني لدى الطلاب وزيادة حصة المقررات الشرعية في خطط الأقسام العلمية في الجامعات والمدارس، لما لها من أثر إيجابي على الصحة النفسية للطلاب وإبعادهم عن الاضطرابات النفسية.

وأجرى (محمد، ١٤١٦هـ)^(٢)، دراسة استهدفت التعرف إلى فعالية العلاج الديني الإسلامي في تخفيض القلق لدى طلاب الجامعة، وتكونت العينة من (٢٠) طالباً من كلية التربية بجامعة عين شمس؛ ممن حصلوا على الدرجات الأعلى على مقياس القلق، وقسموا إلى مجموعتين إحداهما تجريبية (١٠ طلاب) تعرضت للمعالجة الدينية، والأخرى ضابطة (١٠ طلاب) لم تتعرض لأي معالجة، واستخدم مقياس القلق، وطبق برنامجاً علاجياً للمجموعة

(١) الصنيع، صالح بن إبراهيم، العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج(١٤)، ٢٠٠٢م، ٢٠٧-٢٣٤.

(٢) محمد، درويش محمد، "مدى فعالية العلاج الديني في تخفيض القلق لدى طلاب الجامعة"، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع٥١ع، ١٤١٦هـ، ١٨٦-٢١٢.

التجريبية استغرق (١٥) جلسة طبقت بطريقة فردية، وكانت نتيجة الدراسة وجود فروق دالة إحصائية في انخفاض درجات القلق بين المجموعتين التجريبية والضابطة بعد انتهاء البرنامج العلاجي لصالح المجموعة التجريبية.

وقام (حوالة، ١٩٩٠)^(١) بدراسة حول القلق الأخلاقي وعلاقته بالقيم والمفاهيم الدينية، وتكونت عينة الدراسة من (١٠٠) طالب من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، و(١٠٠) طالب من كلية التربية في جامعة قناة السويس، واستخدم الباحث أربعة اختبارات هي: اختبار تحديد القضايا "لقياس النمو الأخلاقي"، واختبار حالة وسمة القلق للكبار، واختبار روتر لتكملة الجمل، واختبار القلق الأخلاقي، ومن أهم نتائج الدراسة وجود علاقة عكسية دالة إحصائية بين القلق الأخلاقي (الذي يعكس ارتفاعاً في مستوى التدين) وبين قلق الحالة وقلق السمة لدى عيني الدراسة، كما خرج الباحث بنتيجة مفادها أن دراسة العلوم الدينية "طلاب كلية أصول الدين" تخفض مستوى التوتر النفسي لدى الطالب.

وفي دراسة (البناء، ١٩٩٠)^(٢)، والتي استهدفت دور الأدعية والأذكار في علاج القلق كأحد طرق العلاج النفسي الديني الإسلامي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٠) طالبة من طالبات كلية التربية بالمنصورة؛ ممن حصلن على أعلى الدرجات على مقياس القلق الصريح لتيلور من عينة أكبر قوامها ١٤٩ طالبة. واستخدمت الباحثة برنامجاً علاجياً على شكل جلسات استخدمت فيها قراءة القرآن الكريم وبعض الأدعية والأذكار الدينية. وكان من نتيجة هذا

(١) حواله، محمد السيد، "القلق الأخلاقي وعلاقته بالقيم والمفاهيم الدينية لدى شرائح من الشباب المصري الجامعي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٠م.

(٢) البناء، إسعاد عبد العظيم، دور الأدعية والأذكار في علاج القلق كأحد طرق العلاج النفسي الديني، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، ١٩٩٠م، ٥١ - ٦٨.

البرنامج انخفاض مستوى القلق لدى عينة الدراسة بفرق دال إحصائياً قبل وبعد تطبيق البرنامج.

وأجرت (الشويعر، ١٤٠٨هـ)^(١) دراسة عن الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي، حيث كانت العينة مكونة من ٢٠٠ طالبة من كلية التربية للبنات بجدة، واستخدمت مقياس الإيمان بالقضاء والقدر، ومقياس القلق، وكان من أهم نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائياً بين الإيمان بالقضاء والقدر ومستوى القلق لدى عينة الدراسة كما وجدت فروقاً دالة إحصائياً في درجة القلق النفسي بين الطالبات الأكثر إيماناً بالقضاء والقدر والطالبات الأقل إيماناً به لصالح المجموعة الثانية.

كما أجرت (الشويعر، ١٤٠٩هـ)^(٢) دراسة حول الالتزام الديني وعلاقته بقلق الموت، على عينة من (٢٨٧) فرداً منهم (١٤٢) من الذكور و(١٤٥) من الإناث العاملين والعاملات في القطاع التعليمي في مدينتي مكة المكرمة وجدة، واستخدمت مقياسي الالتزام الديني وقلق الموت وهما من إعداد الباحثة. وكان من أهم النتائج وجود علاقة سالبة دالة إحصائياً بين مستوى الالتزام الديني ومستوى قلق الموت لدى عينة الدراسة الذكور وعلى العكس كانت النتيجة لدى عينة الإناث.

من خلال استعراض الدراسات السابقة نجد أن هنالك بعض الدراسات استخدمت العلاج الإسلامي في علاج الاضطرابات النفسية من خلال برامج إرشادية كالوسواس القهري، والقلق، وقلق المستقبل، وقلق الموت كدراسة كل

(١) الشويعر، طريفة، الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي، جدة، دار البيان العربي، ١٤٠٨ هـ.

(٢) الشويعر، طريفة، "الالتزام الديني في الإسلام وعلاقته بقلق الموت"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٩ هـ.

من: (الجروشي، ٢٠٠٧؛ رجب، ٢٠٠٩؛ البنا، ١٩٩٠؛ حواله، ١٩٩٠؛ الصنيع، ٢٠٠٢؛ الشويعر، ١٤٠٨هـ؛ الشويعر، ١٤٠٩هـ)، ودراسة (بركات، ٢٠٠٦) والتي بحثت في الالتزام الديني والتكيف النفسي والاجتماعي، ودراسة (أبو شهبه، ٢٠٠٤) استخدمت برنامج إسلامي لتخفيف مشكلات المراهقات الجامعيات، وقد أكدت هذه الدراسات على فعالية العلاج الإسلامي في دراساتهم، وقد استشعر الباحثان من خلال هذه الدراسات أهمية الإرشاد والعلاج الإسلامي حيث لم يجد الباحثان أي دراسة تطرقت لاستخدام في علاج اضطرابات الأمن النفسي من خلال برنامج إرشادي جماعي مما دفعهما لاستخدام الإرشاد والعلاج الإسلامي في رفع مستوى الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة.

إجراءات الدراسة

مجتمع الدراسة والعينة:

تكون مجتمع الدراسة من طالبات جامعة القرآن الكريم وتأسيل العلوم كلية التربية، للعام الدراسي ٢٠١٢ / ٢٠١٣ م، ويقدر عددهن بـ (٣٨٠٠) طالبة. وتم اختيار عينة الدراسة من خلال الإجراءات الآتية:

١- تم تطبيق مقياس الأمن النفسي على (١٠) شعب بطريقة عشوائية على طالبات مستوى مرحلة البكالوريوس في السنة الدراسية الأولى، تخصص التعليم قبل المدرسي .

٢- تم اختيار (٢٤) طالبة بطريقة قصديه من اللواتي حصلن على أقل الدرجات على مقياس الأمن النفسي، وتم توزيعهن وبشكل عشوائي إلى مجموعتين:

مجموعة ضابطة ضمت (١٢) طالبة، ومجموعة تجريبية ضمت (١٢) طالبة.

التكافؤ بين المجموعتين:

أجري التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في بعض المتغيرات التي من الممكن أن تؤثر على نتائج الدراسة، وهي: (درجة الأمن النفسي قبل تطبيق البرنامج الإرشادي، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي والتخصص، والعمر).

١- درجة الأمن النفسي قبل البدء بالبرنامج: للتأكد من تكافؤ المجموعتين تم استخدام اختبار مان-وتني (Mann - Whitney test) وبلغت القيمة المحسوبة (٧١,٦) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٤٠,٠)، وبذلك لم يظهر فرق دال إحصائياً وهذا يشير إلى أن المجموعتين متجانستان في درجة الأمن النفسي قبل تطبيق البرنامج الإرشادي.

٢- المستوى التعليمي والتخصص: جميع أفراد عينة الدراسة في مستوى السنة الأولى وتخصص تعليم قبل مدرسي

٣- العمر: تراوحت أعمار الطالبات بين (١٨-٢٠) سنة وبمتوسط حسابي بلغ (١٩,٣) سنة، حيث تميزت العينة بأعمار متقاربة.

٤- الحالة الاجتماعية: كانت الحالة الاجتماعية لجميع أفراد عينة الدراسة (غير متزوجة).

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التجريبي الذي يعتمد على تشكيل مجموعتين متكافئتين، إحداهما: تجريبية تم تعريضها لعدة جلسات لبرنامج الإرشاد والعلاج

الإسلامي لتنمية الشعور بالأمن النفسي، والأخرى ضابطة لم تتعرض للبرنامج،
والجدول (١) يوضح ذلك.

جدول (١)

التصميم التجريبي

المجموعة التجريبية	اختبار قبلي	تطبيق البرنامج الإرشادي	اختبار بعدي
المجموعة الضابطة	اختبار قبلي	بدون برنامج	اختبار بعدي

أدوات الدراسة:

أولاً: مقياس الأمن النفسي:

استخدم الباحثان مقياس الأمن النفسي لـ ابراهام ماسلو (Abraham Maslow, 1952)، حيث تم تقنيه ليناسب البيئة الأردنية، وتكون مقياس للأمن النفسي من (٧٥) فقرة، يجاب عليها باختيار حد البدائل الثلاث الموجودة أمام كل فقرة وهي: (نعم، غير متأكد، لا). وتم تصحيح المقياس في اتجاه درجة الأمن النفسي، حيث تشير الدرجات العالية في هذا المقياس إلى الشعور بالأمن النفسي، وتعطى الدرجات التالية لاستجابات المفحوص على كل عبارة من عبارات المقياس: نعم=٣، غير متأكد=٢، لا=١.

ثانياً: ثبات المقياس:

تم استخراج ثبات المقياس بطريقتين هما:

- ١- معامل الاتساق كرومباخ الفا وبلغ (٠,٨٧).
- ٢- معامل ارتباط بيرسون بطريقة (إعادة الاختبار Test-Retest) وبلغ (٠,٧٠). وهي معاملات ثبات مرتفعة وتصلح لأغراض الدراسة.

ثالثاً: البرنامج الإرشادي وفق استراتيجيات الإرشاد والعلاج الإسلامي: الصدق الظاهري للبرنامج:

عرض البرنامج على (٩) محكمين من الخبراء والمتخصصين في التربية الإسلامية وعلم النفس والإرشاد النفسي والصحة النفسية، لمعرفة مدى مناسبة محتوى البرنامج من الأنشطة والفعاليات المستخدمة لتحقيق الأهداف وقد حصل البرنامج على نسبة عالية من الاتفاق بين المحكمين بلغت (٩٥٪).

تطبيق البرنامج الإرشادي:

تم تطبيق البرنامج الإرشادي باستخدام أسلوب الإرشاد والعلاج الإسلامي، وحدد عدد الجلسات الإرشادية للمجموعة التجريبية بواقع (١٠) جلسات، جلستين أسبوعياً، ومدة كل منها (٤٥) دقيقة، وقد طلبت من أفراد المجموعة التجريبية الحفاظ على مواعيد الحضور وسرية ما يدور خلال الجلسات الإرشادية.

وقد استخدم الباحث طرق وأساليب وفتيات مختلفة من خلال الإرشاد والعلاج الإسلامي في جميع الجلسات الإرشادية.

لا توجد فنيات محددة للإرشاد والعلاج الإسلامي، حيث يحدد المرشد النمو الديني الإسلامي والقيم المؤثرة على الطالبة، وكيفية الاستفادة منها في عملية العلاج، بالإضافة إلى امتلاكه جانباً إنسانياً يبرز في تعامله مع الإنسان كوحدة كلية شاملة، وفي نظره لصاحب الإرادة القوية والعقيدة الصحيحة على أنه مسئول عن اختياراته وأفعاله وأقواله، مما يجعله متمتعاً بالتوافق والصحة النفسية، بالإضافة إلى الجانب المعرفي المتمثل في تناول العمليات المعرفية العقلية وآليات التفكير الشامل، أما الجانب السلوكي في الإرشاد والعلاج الإسلامي

فيتمثل في استخدامه مبادئ وقوانين التعلم، وتعديل السلوك لمساعدته على التغلب على اضطراباته النفسية، بالإضافة إلى أساليب الترغيب والترهيب من وسائل الثواب والعقاب وغيرها.

ومن الفنيات الخاصة بالإرشاد والعلاج الإسلامي التي استخدمها الباحثان والتي لها أثر فعال في علاج النفس الإنسانية من اضطراباتها المختلفة، وهذه الفنيات تستمد منهجها وإجراءاتها من هدي القرآن الكريم والسنة، وهي عديدة ومتنوعة وتحقق الأمن النفسي: الاعتصام بالله واللجوء إليه، العبادات (الصلاة والصيام والحج والزكاة)، وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، تقوى الله، وطاعة الله والتوبة والصبر، والإخلاص والصفح الجميل والرضا وشكر الله ومحبة الله، وتناول العلاج بالتوحيد، والأدعية، والأذكار، والاستغفار لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤].

كما استخدم الباحثان أثناء الجلسات الإرشادية طرقاً وفنيات منها:

- الطرق الاقتدائية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: المثل الرائع على ما يجب علينا الاقتداء به، والاقتداء بالمربي له أثره البالغ فيما يعلمه للأبناء، والاقتداء بطريقة علاجية تعليمية حيث يكتسب الفرد منها المهارات الاجتماعية وإن كثيراً من الاستجابات والاضطرابات الانفعالية يمكن أن تعدل وإن التفكير المنظم يمكن تعلمه من خلال قوة الإيمان والرضا بما قسمه الله لك، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ) (١).

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. تحقيق الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٢١١٠ في صحيح الجامع.

- الطرق الوعظية: وتعتمد على أسلوب النصح والإرشاد والترغيب والترهيب.
- الاعتراف بالذنوب: إن الإرشاد والعلاج الإسلامي هنا ينصب على تخفيف حدة مشاعر الذنب والخطيئة التي تنجم عن خطأ ارتكب الشخص فيه مبادئ الخلق والدين الإسلامي، عن طريق مساعدة الفرد على الاعتراف بذنوبه وآثامه، والاعتراف يتضمن شكوى النفس من النفس طلباً للخلاص وللغفران، وهنا يحدث التنفيس الانفعالي وتخف حدة التوتر ويعيد إليها طمأنينتها، لأنها نوع من التفريغ للطاقات الانفعالية الضاغطة عليها، ولذا نجد فيها نوعاً من التسكين لمشاعر الإثم التي تهدد الإنسان المخطئ وتعود النفس إلى اتزانها وطمأنينتها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].
- التوبة والتكفير عن الذنوب والمعاصي: لأن التوبة هي الطريق إلى الغفران، والتوبة والتكفير في الإرشاد العلاجي الإسلامي يدعمان تطهير النفس، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ومهما أذنب العبد وكثرت ذنوبه فإن باب التوبة مفتوح له، والتوبة هي الخطوة الحاسمة في محاولة الاستقامة والسير على هدى الله تعالى والبعد عن الجنوح والانحراف وهي الباب الواسع الذي فتحه الله لعباده علي مصراعيه لرجوع المذنبين وتوبة العصاة والجانحين دون إبطاء أو تردد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

- تكوين ذات اجتماعية جديدة: وهذه الخطوة تقوم على بث مشاعر الطمأنينة والثقة بالنفس واحترام الفرد لذاته واحترام الآخرين له، كل ذلك من شأنه أن يولد لديه أفكارا سليمة، ويجتهد في التخلي عن السلوكيات التي تجلب عليه الشقاء.
- تكوين مجموعة من الاتجاهات والقيم لدى الطالبات: من خلال تعديل فكرة الفرد عن نفسه، وجعلها مركزا لخبرات إدراكية وانفعالية جديدة، وهي: القدرة على الصمود، القدرة على العمل والإنتاج، والقدرة على تقبل الذات وذوات الآخرين واتخاذ أهداف واقعية، والقدرة على ضبط الذات وتحمل المسؤولية، والقدرة على تكوين علاقات مبنية على الثقة المتبادلة، والقدرة على القيام بالتضحية وخدمة الآخرين والشعور بالسعادة، وعبادة الله حق عبادته، والإخلاص لله، والشعور بالمسؤولية، وخاصة مسؤولية الاختيار لأن الإنسان ميزه المولى عز وجل بنعمة العقل عن باقي المخلوقات، والبعد عن الحرام، والعبودية لله وحده لا شريك له، والوسطية والبركة والذكر والصدق والطمأنينة والرضا والتعاون والتكامل والتفائل والرغبة في الآخرة، والاستقامة، وإصلاح النفس، وتزكية النفس، وضبط النفس، والصدق، والتواضع، والأمانة، ومعاشرة الأخيار، والكلام الحسن، واحترام الآخر، والإصلاح بين الناس، وحسن الظن، والاعتدال، والإيثار، والسلام، والتحية، والضمير الحي، والصبر: ولنتذكر قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (١).

(١) رواه مسلم في صحيحه / رقم الحديث: ٣٤٣.

الوسائل الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

- معامل ارتباط بيرسون (Person Correlation)، استعمل لحساب ثبات الاختبار بطريقة إعادة الاختبار.
- اختبار الفا-كرونيخ. استعمل لحساب ثبات الاختبار.
- اختبار مان-وتني لعينات متوسطة الحجم (Man-Whitney test) استعمل لمعرفة دلالة الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة عند تطبيق البرنامج وفي الاختبار القبلي عند احتساب التكافؤ بين المجموعتين.
- اختبار ولكوكسن لعينتين مترابطتين (Wilcoxon test) استعمل لمعرفة دلالة النتائج بين عينتين مترابطتين.

نتائج الدراسة

عرض النتائج ومناقشتها:

نتائج الفرض الأول:

والذي نص على: "توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات طالبات المجموعة الضابطة على مقياس الأمن النفسي بعد تطبيق البرنامج الإرشادي.

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام اختبار مان ويتني (Mann-Whitney- Test) لحساب دلالة الفروق بين متوسطي رتب درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لمقياس الأمن النفسي والجدول رقم (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

نتائج اختبار مان وتني (Mann Whitney U)

للمقارنة بين متوسطات رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة	العدد	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة U	قيمة Z	مستوى الدلالة
التجريبية	١٢	٦,٠٠	٦٥,٠٠	٨,٥٠	٣,٩٧٨	٠,٠٠٠
الضابطة	١٢	٢٧,٠٠	١٧٥,٠٠			

يتبين من الجدول (٢) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار البعدي لصالح المجموعة التجريبية إذ بلغت قيمة Z (٣,٩٧٨) وهي دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، أي أن الطالبات اللواتي تعرضن للبرنامج الإرشادي والعلاجي الإسلامي قد ارتفع مستوى الأمن النفسي لديهن بشكل ملحوظ مقارنة بالطالبات اللواتي لم يتعرضن للبرنامج الإرشادي والعلاجي الإسلامي.

ويفسر الباحث وجود الفروق في هذه النتيجة إلى فاعلية البرنامج الإرشادي الإسلامي والإفادة مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من قيم ومفاهيم دينية وخلقية في تنمية الأمن النفسي لدى المجموعة التجريبية، حيث تم استخدام فنيات الإرشاد والعلاج الإسلامي خلال تطبيق جلسات البرنامج، واشتملت على الحوار المتبادل بين الطالبات والباحثين حول دور القرآن الكريم والعبادات كالصلاة والاستغفار في تنمية الشعور بالأمن النفسي لديهن، وكذلك الالتزام والمحافظة على النظام والتمسك بالأخلاق الإسلامية، ومعرفة الخالق ومعرفة النفس والصدق مع النفس والرضا عنها والإيمان بالقضاء والقدر.

وفي هذا السياق ترى (عزيزة عنوة، ٢٠٠٨)^(١) أن في القرآن الكريم طاقة روحية هائلة، ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه، ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، وأوضح القرآن الكريم لبني البشر الطرق الصحيحة لتربية النفس وتقويمها وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدي بها إلى بلوغ الكمال الإنساني، الذي تتحقق به سعادة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

نتائج الفرض الثاني:

والذي نص على: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات الطالبات في المجموعة التجريبية على مقياس الأمن النفسي قبل تطبيق البرنامج الإرشادي ثم بعد تطبيقه لصالح التطبيق البعدي ".
للتحقق من هذا الفرض تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon Test)، والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣)

نتائج اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon Test) لدلالة الفروق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية وقيمة Z في القياسين القبلي والبعدي

مستوى الدلالة	قيمة Z	مجموع الرتب	متوسط الرتب	العدد	الرتب	المجموعة التجريبية
غير دالة	3.064	0.0	0.0	0	الرتب السالبة	
		76.00	5.5	12	الرتب الموجبة	
				0	التساوي	

(١) عنوة، مدى فعالية، ص ٤٠.

يتبين من الجدول (٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات المجموعة التجريبية لصالح الاختبار البعدي - أي بعد تطبيق البرنامج الإرشادي - إذ بلغت قيمة Z (٣,٠٦٤) وهي دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، أي أن للبرنامج الإرشادي والعلاجي الإسلامي فعالية في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات المجموعة التجريبية.

ويفسر الباحث هذه النتيجة إلى الاندماج الديني الإسلامي أي المشاركة الدينية الإسلامية بين الطالبات أثناء البرنامج الإرشادي، وما تم استخدامه من فنيات واستراتيجيات الإرشاد والعلاج الإسلامي، مثل: محاسبة النفس، والتوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله، والدعاء، والذكر، والعبادات، وقد أورد ابن القيم الكثير من هذه الجوانب في كتبه، مثل: مدارج السالكين، والوابل الصيب من الكلم الطيب، وإغاثة اللهفان، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، والجواب الكافي، والطب النبوي.

ويؤدي الإحساس الديني الإسلامي الإيماني إلى الشعور بالرضا والسعادة والافتناع والإيمان بقدرة الله، الذي يعين الشخص ويجعله قوياً لمواجهة الضغوط النفسية، ويمنح اليقين والثوق والقوة لمواجهة الأزمات والمشاكل والتحديات التي تعترض له في مجرى حياته، فيكون له الملتجأ وقت الشدة، الذي يشعره بالأمان الكافي وعدم الخوف والبعد عن التشاؤم، لليقين بأن الله هو المسير للأحداث من أجل الأفضل دائماً، والذي يتحقق للفرد من خلال الصلاة، والشكر مما يوفر له أسمى صور الدعم والطمأنينة.

فالإرشاد والعلاج النفسي الإسلامي هو علاج لأسباب وأعراض الاضطراب النفسي لدى الفرد، وفي الكشف عن مكبوتات اللا شعور، ويبرز

في تعامله مع الإنسان كوحدة كلية شاملة، وفي نظرتة لصاحب الإرادة القوية والعقيدة الصحيحة على أنه مسؤول عن اختياراته وأفعاله وأقواله؛ مما يجعله متمتعاً بالتوافق والصحة النفسية، بالإضافة إلى الجانب المعرفي المتمثل في تناول العمليات المعرفية العقلية وآليات التفكير الشامل، أما الجانب السلوكي في الإرشاد والعلاج النفسي الإسلامي فيتمثل في استخدامه أساليب الترغيب والترهيب من وسائل الثواب والعقاب من عند الله سبحانه وتعالى.

والمؤمن المواظب على ذكر الله وطاعته ودائم التوكل على الله في جميع شؤونه لا يأتيه الخوف والحزن لأنه في حفظ الله ورعايته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

إذن؛ فللقرآن الكريم أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي، ولن نتحقق السعادة الحقيقية للإنسان إلا في شعوره بالأمن والأمان، ولن يحس بالأمن إلا بنور الله الذي أثار سبحانه به الأرض كلها، وأضاء به الوجود كله، بدايته ونهايته، وهذا النور هو القرآن الكريم.

وتتفق نتيجة هذه الدراسة من حيث فعالية الإرشاد والعلاج الإسلامي مع نتيجة دراسة كل من (الجروشي، ٢٠٠٧؛ أبو شهبة، ٢٠٠٤؛ بركات، ٢٠٠٦؛ الصنيع، ٢٠٠٢؛ رشيد، ٢٠٠٤).

نتائج الفرض الثالث:

والذي نص على: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات الطالبات في المجموعة التجريبية على مقياس

الأمن النفسي في القياسين البعدي والتبعي".

للتحقق من هذا الفرض تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon test) ، والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤)

نتائج اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon test) لدلالة الفروق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية وقيمة Z في القياسين البعدي والتبعي

مستوى الدلالة	قيمة Z	مجموع الرتب	متوسط الرتب	العدد	الرتب	المجموعة التجريبية
غير دالة	1.4	28	4.0	7	الرتب السالبة	
				3	الرتب الموجبة	
		8	8.0	2	التساوي	
				12	المجموع	

يتضح من جدول (٤) عدم وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية على مقياس الأمن النفسي في القياسين البعدي والتبعي، وهذا يشير إلى استقرار أثر البرنامج الإرشادي والعلاجي الإسلامي في تنمية الأمن النفسي لدى طالبات المجموعة التجريبية.

ويرد الباحث هذه النتيجة إلى فاعلية البرنامج الإرشادي والعلاج الإسلامي، والذي اعتمد على فنيات مناسبة حيث يتصف البرنامج الشمولية لتحقيق أهدافه المتعلقة بمساعدة الطالبات على تقبل ذاتهن، وتنمية حالة الطمأنينة، والاستقلال عن الآخرين، والتقبل الاجتماعي، وتنمية الوازع الإيماني الإسلامي.

فقد أعطى الدين الإسلامي تصوراً كاملاً عن النفس الإنسانية في صحتها ومرضها، كما أنه الرسالة الخاتمة، التي جاءت لتناسب كل زمان ومكان وللإنسانية عامة، فالإرشاد والعلاج الإسلامي هو العلاج المحدد المبادئ، والمفاهيم، والأسس، والخطوات، والفنيات يستمد أساسياته ومبادئه وفنياته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه ذو فعالية في تخفيف الاضطرابات النفسية، الأمر الذي يسهم في تحقيق الاتزان الروحي والاستقرار النفسي التي تهتم بتوجيه الفرد إلى الاهتمام بعلاج الاضطراب الذي يعاني منه وفق المفاهيم الدينية الصحيحة، والأفكار السليمة التي تساعد على التوافق النفسي الذاتي والاجتماعي.

خاتمة

تحتوي النتائج والتوصيات.

النتائج:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي ولصالح المجموعة التجريبية؛ أي فاعلية البرنامج الإرشادي والعلاج الإسلامي في تنمية الشعور بالأمن النفسي لدى الطالبات. (كلمات مفتاحية: الإرشاد والعلاج الإسلامي، الأمن النفسي، طالبات الجامعة).

التوصيات:

- التأكيد على دور المرشد التربوي والنفسي من خلال استغلاله لمحاضرات الإرشاد الجماعي باستخدام الإرشاد والعلاج الإسلامي لأنه من أفضل السبل لرفع مستوى الأمن النفسي لدى طلبته وعلاج مختلف الاضطرابات والمشكلات النفسية.
- التأكيد على دور المرشد التربوي إثناء اجتماعات أولياء أمور الطلاب بمناقشتهم ودراسة المشاكل التي يعاني منها أبنائهم الطلبة والتي تؤثر سلباً على أمنهم النفسي.
- ضرورة أن يتصدر المرشدين دورهم الريادي في علاج الفئات التي يتسرب إليها الفكر المنحرف في المجتمع. وأن تتاح فرصة لعلماء الشريعة الإسلامية في إقناع الفئات المنحرفة وتتولى دور بيان العقيدة الصحيحة والفكر السليم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١. قطب، سيد، في ظلال القرآن، جدة، دار العلم، ١٤٠٦ هـ (ط١٢).
- ٢. سعد، علي، "مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد (١٥)، العدد ١٩٩٩، ١ م.
- ٣. عبدالرحمن، محمد السيد، دراسات في الصحة النفسية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م، ط ١.
- 4. Jaffe, Alan M: Comparison of state legislators with a central group on Maslow's "Security- Insecurity" Measure. Psychological Reports, 48, (1981).4142-.
- ٥. زهران، حامد، الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٩ م (ط ٤).
- 6. Robert, John E. Adult Attachment Security And Symptoms Of Depression, (1996), Vol 70, No2.
- ٧. زهران، حامد، الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي والعالمي، دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٣ م.
- ٨. العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، بيروت، دار الراتب الجامعية، ٢٠٠١ م، ط ١.
- ٩. السعدي، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ، ط ٤.

١٠. الشريف، محمد موسى، الأمن النفسي، دار الأندلس الخضراء ضمن سلسلة معالم على طريق الصحوة، جدة، السعودية، ١٤٢٤ هـ، ط ٢.
١١. الخراشي، ناهد، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣ م.
١٢. العيسوي، عبد الرحمن محمد، الهدى الإسلامي والصحة النفسية، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٢ م، ط ١.
١٣. سنن أبي داود، كِتَابُ سُجُودِ الْقُرْآنِ، بَابُ تَفْرِيفِ أَبْوَابِ السُّجُودِ وَكَمْ سَجْدَةً، رقم الحديث: ١٣٠٨.
١٤. أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي: ١ / ٧٢٩.
١٥. أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي: ١ / ٦٨٤-٦٨٥.
١٦. الحديبي، مصطفى عبد المحسن، أهمية الإرشاد النفسي الديني والحاجة إليه وتطبيقاته لأحد الاضطرابات النفسية، وحدة الأبحاث النفسية والاجتماعية. كلية التربية، جامعة أسيوط، ٢٠١٠ م.
١٧. عنوة، عزيزة، مدى فعالية العلاج النفسي الديني، الجزائر، دار هوم، ٢٠٠٨ م.
١٨. ياركندي، هانم بنت حامد، الصحة النفسية في المفهوم الإسلامي، الرياض، عالم الكتب، ٢٠٠٣ م.
١٩. محمد، محمد عودة، ومرسي، كمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، الكويت، دار القلم، ١٩٩٧ م، ط ٤.
٢٠. الأحمد، عبد العزيز عبد الله، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس، قسم علم النفس كلية التربية، مكة المكرمة، ١٩٩٩ م.

٢١. مرسي، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية مسئولية الفرد في الإسلام وعلم النفس، الكويت، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٠ م.
٢٢. أبو شهبه، هناء يحيى، السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧ م.
٢٣. زهران، الصحة النفسية، ص ٣٠-٤٤.
٢٤. شاذلي، عبدالحמיד محمد، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩ م.
٢٥. الريماوي، محمد عودة، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، الكويت، دار القلم، ١٩٨٦ م، ط ٢.
٢٦. زهران، الأمن النفسي دعامة، ص ٣٣.
٢٧. أبو شهبه، هناء يحيى، فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني لتخفيف الإحساس بالمشكلات لدى المراهقات الجامعيات، نوقشت الدراسة ونشرت بمجلد المؤتمر الدولي، جامعة الزهر، مصر، ٢٠٠٤ م.
٢٨. السهل، راشد علي، مقدمة في الإرشاد النفسي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٢ م، ط ١.
٢٩. السهلي، ماجد، "الأمن النفسي وعلاقته بالأداء الوظيفي"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك نايف بن عبد العزيز، السعودية، ٢٠٠٧ م.

٣٠. سليمان، رجب سيد أحمد، "فاعلية العلاج النفسي الديني في تخفيف أعراض الوسواس القهري لدى عينة من طالبات الجامعة"، جامعة طيبة، السعودية، ٢٠٠٩م.
٣١. الجروشي، أسماء، "مدى فاعلية الدعاء كبرنامج إرشادي نفسي ديني في خفض قلق السمة لدى طالبات كلية الآداب"، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السابع من أكتوبر، مصراتة، ليبيا، ٢٠٠٧م.
٣٢. بركات، زياد، الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مج (٤٦)، ع ١٥، ٢٠٠٦م، ٤٩-٨٩.
٣٣. أبو شهبه، السنة النبوية.
٣٤. رشيد، احمد، "فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الأمن النفسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية"، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٤م.
٣٥. الصنيع، صالح بن إبراهيم، العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج (١٤)، ٢٠٠٢م، ٢٠٧-٢٣٤.
٣٦. محمد، درويش محمد، "مدى فعالية العلاج الديني في تخفيض القلق لدى طلاب الجامعة"، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع ٥١، ١٤١٦ هـ، ١٨٦ - ٢١٢.
٣٧. حواله، محمد السيد، "القلق الأخلاقي وعلاقته بالقيم والمفاهيم الدينية لدى شرائح من الشباب المصري الجامعي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٠م.

- ٣٨ البناء، إسعاد عبد العظيم، دور الأدعية والأذكار في علاج القلق كأحد طرق العلاج النفسي الديني، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، ١٩٩٠م، ٥١ - ٦٨.
٣٩. الشويعر، طريفة، الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي، جدة، دار البيان العربي، ١٤٠٨ هـ.
٤٠. الشويح، طريفة، "الالتزام الديني في الإسلام وعلاقته بقلق الموت"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٩ هـ.
٤١. دواني، كمال، وديراني، عيد، اختبار ماسلو للشعور بالأمن النفسي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، مج (١٠)، ع٢، ١٩٨٣ م.
٤٢. رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. تحقيق الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٢١١٠ في صحيح الجامع .
٤٣. رواه مسلم في صحيحه / رقم الحديث: ٣٤٣.
٤٤. عنوة، مدى فعالية، ص ٤٠.

الوظائف النفسية المشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم

د. السر أحمد محمد سليمان*

ملخص

هدف البحث لدراسة الوظائف النفسية المشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم. وتمّ استخدام المنهج الوصفي التحليلي بتطبيق أسلوب تحليل المحتوى. وأسفرت النتائج عن وجود ٢١ وظيفة نفسية مشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم وهي: العلم والتعلم، تخزين المعلومات وإدارتها، الاستكبار، الابتلاء، الإيمان، التثبيت، التقلب والحركة الداخلية، التقوى، الحاجة، الحرج، الحسرة، الذكر، الصغو، الضيق، الطمأنينة، الغل، الغيظ، الكسب، الهدى، الهوى، والوسوسة. وأفادت النتائج أيضاً بأن هناك تفاوت في ارتباط تلك الوظائف بالنفس والقلب والصدر والفؤاد كما يلي: اشتركت المكونات الأربعة جميعها (النفس والقلب والصدر والفؤاد) في وظيفة واحدة فقط وهي: العلم والتعلم. واشتركت ثلاثة من المكونات (القلب والنفس والصدر) فيوظيفتين هما: الاستكبار وتخزين المعلومات. كما اشترك اثنان من المكونات (النفس والقلب) في سبع وظائف هي: الإيمان، التقوى، الذكر، الطمأنينة، الهدى، الكسب، والحسرة. واشترك اثنان من المكونات (النفس والصدر) في خمس وظائف هي: الابتلاء، الحاجة، الحرج، الضيق، والوسوسة. واشترك اثنان من المكونات (القلب والصدر) فيوظيفتين، هما: الغل والغيظ. واشترك اثنان من المكونات (النفس والفؤاد) فيوظيفتين، هما: التثبيت والهوى. واشترك اثنان من المكونات (القلب والفؤاد) فيوظيفتين هما: التقلب والصغو.

* أستاذ علم النفس التربوي المشارك، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

وأفادت النتائج بأنّ النفس اشتركت مع بعض المكونات الأخرى في سبع عشرة وظيفة نفسية، وأنّ القلب اشترك مع بعض المكونات الأخرى في ثلاث عشرة وظيفة نفسية، وأنّ الصدر اشترك مع بعض المكونات الأخرى في عشر وظائف نفسية، وأنّ الفؤاد اشترك مع بعض المكونات الأخرى في خمس وظائف نفسية. وأوصت الدراسة بضرورة الاعتماد على القرآن الكريم كمصدر في الدراسات النفسية.

Abstract

Associate Prof. of Educational Psychology, Univ. of Hail, Saudi Arabia . The research aimed to study the common psychological functions between the self, heart, chest and the fuad in the Holy Quran. The descriptive analytical method was used with applying the content analysis procedure upon the Holy Quran. The results revealed these 21 psychological functions between the self, heart, chest and the fuad in the Holy Quran: Knowledge & Learning, information management and retention, arrogance, test and infestation, faith, firm, turn away and movement, piety, need, discomfort, regret, remembrance, incline, distress, contentment, resentment, rage, earning and gain, guidance, inclination, and whispers. The results indicated that there is a difference in the association of these functions with the self, heart, chest and fuad as follows: The all four components (the self, the heart, the chest and the fuad) shared one function: the knowledge & learning. The three components (the self, the heart, the chest) shared 2 functions: the information management and retention, and the arrogance. The two components (the self and the heart) shared 7 functions: the faith, the piety, the regret, the remembrance, the contentment, the earning and gain, and the guidance. And the two components (the self and the chest) shared 5 functions: the test and infestation, the need, the discomfort, the distress, and the whispers. And the two components (the heart and the chest) shared 2 functions: the resentment, and the rage. And the two components (the self and the fuad) shared 2 functions: the firm, and the inclination. And the two components (the heart and the fuad) shared 2 functions: the turn away and movement, and the incline. The results indicated that the self was shared other components in 17 psychological functions, and the heart shared other components in 13 psychological functions, and the chest shared other components in 10 psychological functions, and the fuad shared other components in 5 psychological functions. Finally the study recommended to depend on the Holy Quran and to use it as a source of facts relating to psychological aspects.

مُقَدِّمَةٌ

شغلت الجوانب النفسية والعقلية للإنسان كثيرا من المتأملين والباحثين عبر التاريخ، وتشير المصادر المهمة بتطور علم النفس أنّ البدايات ترجع إلى أنّ هناك كتابات عن النفس وحالاتها المختلفة منذ العهود القديمة، ولكنها كانت معتمدة إلى حد كبير على التأمّلات التي قام بها الفلاسفة السابقون. وبعد ظهور الإسلام برزت اهتمامات متنوعة عن الجوانب النفسية والعقلية للإنسان، وكتب كثير من علماء الإسلام رسائل وكتب في النفس وحالاتها؛ ومنهم: الحكيم الترمذي، وابن سينا، وأبو زيد البلخي، وأبو حامد الغزالي، وابن القيم وغيرهم. وقد اعتمدوا في كتاباتهم عن الجوانب النفسية والعقلية على المصادر الإسلامية، وعلى المعارف التي وصلتهم من الحضارات الأخرى، وخاصة مساهمات الفلاسفة اليونانيين السابقين.

مشكلة البحث:

التساؤل الرئيس للبحث: يتبلور التساؤل الرئيس لهذا البحث كما يلي: ما الوظائف النفسية المشتركة المرتبطة بالنفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم؟

هدف البحث:

يهدف البحث للتعرف على الوظائف النفسية المرتبطة بصورة مشتركة بين كل من النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

ينال موضوع الدراسة أهميته من جوانب متعددة كما يلي:

تطبيقاً للتوجيه القرآني للنظر والتفكير والرؤية في آيات النفس والبحث فيها؛ فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

السعي للتعرف على الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان حتى يتم التعامل معها في المواقف المختلفة، وخاصة في مجال التعليم والإرشاد والوقاية والعلاج، وذلك بالاستفادة من الحقائق التي وردت في القرآن الكريم. المساعدة في بناء التصور للشخصية الإنسانية ومكوناتها، والإسهام في إثراء علم النفس بما يتضمنه القرآن الكريم من أسرار عن الإنسان وشخصيته وسلوكه.

منهج البحث وإجراءاته:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك بتطبيق تحليل المحتوى للتعامل مع النصوص المحددة، وقد مثل المصحف الشريف المجال اللفظي الذي تمّ التعامل معه بطريقتين هما:

• الطريقة التحليلية الكمية لحصر مجموع الألفاظ للعناصر النفسية المدروسة (قلب، نفس، صدر، فؤاد) وحصر الألفاظ المختلفة المرتبطة بتلك العناصر.

• الطريقة التحليلية النوعية لاستنباط الدلالات النفسية من الألفاظ المرتبطة بالقلب والنفس والصدر والفؤاد في القرآن الكريم. وقد تمثلت الخطوات الإجرائية للدراسة كما يلي:

القراءة المباشرة للقرآن الكريم وتدوين كل ما يتعلق بكلمة النفس، وكلمة القلب، وكلمة الصدر، وكلمة الفؤاد بجميع صيغها.

استخلاص المفاهيم النفسية المرتبطة بالنفس والقلب والصدر والفؤاد،
ودراستها دراسة سيكولوجية.

تجميع المفاهيم النفسية التي تدل على العمليات النفسية المختلفة
وحصرها والمقارنة بينها.

تحليل النتائج وتفسيرها ومناقشتها لاستخلاص النتائج.

مصطلحات البحث:

الوظائف النفسية: تُعرف الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) علم النفس بأنه العلم الذي يهتم بدراسة السلوك والعقل (Kazdin, 2000, V. 6, P. 375). وتعني الوظائف النفسية من ناحية اصطلاحية في هذا البحث كل ما يتعلق بالحالات والسمات والعمليات المرتبطة بسلوك الإنسان وشخصيته.

النفس: كلمة النفس في القرآن تدل على شيئين أحدهما الإنسان بصورة عامة، والثاني هو المكون الجزئي من شخصية الإنسان، ومن الناحية الاصطلاحية في هذه الدراسة فإن النفس تعني ذلك المكون الجزئي في شخصية الإنسان والذي يظهر متأثراً ومحكوماً بغيره من أبعاد شخصية الإنسان، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

القلب: يشير مفهوم القلب إلى أحد مكونات شخصية الإنسان في القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ . . . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وتعني كلمة القلب من الناحية الاصطلاحية في هذه الدراسة ذلك المسمى اللفظي الوارد في القرآن الكريم اسماً وهو القلب بالصيغ اللفظية التالية: قلوبهم، قلوبكم، قلوب، قلبه، قلوبنا، القلوب، قلبك، بقلب، قلب، قلوبهن، قلوبكما، قلبين، قلبي، قلبها، والقلب.

الصدر: يشير مفهوم الصدر في القرآن الكريم إلى أحد مكونات شخصية الإنسان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ . . . وَيَسْتَلِي اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وتعني كلمة الصدر من الناحية الاصطلاحية في هذه الدراسة ذلك المسمى اللفظي الوارد في القرآن الكريم اسما وهو الصدر بالصيغ اللفظية التالية: الصدور، صدورهم، صدوركم، صدور، صدرك، صدره، صدري، وصدرا.

الفؤاد: يشير مفهوم الفؤاد في القرآن الكريم إلى أحد مكونات شخصية الإنسان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. وتعني كلمة الفؤاد من الناحية الاصطلاحية هنا المسمى اللفظي الوارد في القرآن الكريم اسما وهو الفؤاد بالصيغ اللفظية التالية: أفئدة، أفئدتهم، فؤاد، وفؤادك.

الإطار النظري للبحث

يتناول البحث الوظائف النفسية المشتركة المرتبطة بكل من النفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم، فهو بحث نفسي موضوعي يتعلق ببعض المفاهيم التي تمثل أبعادا ومكونات للشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، كما يسعى البحث أيضا لاستخلاص المفاهيم المرتبطة بتلك الأبعاد للاستفادة منها في معرفة الجوانب النفسية والعقلية لتلك الأبعاد.

ومن حيث اللغة فقد ذكر ابن فارس أن معنى كلمة النفس في اللغة العربية يشير إلى أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ریح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ١٠٠٣). وهذا الأصل اللغوي تنبثق منه معان متنوعة منها: التنفس: أي خروج النسيم من الجوف. ومنها: النفس: الدم، وهو صحيح، وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فقد نفسه. والحائض تسمى النفساء لخروج دمها (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ١٠٠٣). فهذا يدل على أن أصل كلمة النفس في اللغة يشير إلى شيئين مهمين جدا لحياة الإنسان وهما: التنفس والدم، ولذلك فإن النفس ترتبط بالحياة، ويرى محمد جبل أن المعنى المحوري لكلمة النفس يدل على لطيف يسري في فتوق أثناء الشيء فيصلحه ويتيح له التصرف. كالنفس في أثناء بدن الحي فهو علامة حياته التي تتيح له التصرف، وكذلك الدم (جبل، ٢٠١٢، مج ٤، ص ٢٣٠١).

وقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم في ٢٩٥ موضعا، ولكن ستة منها جاءت مرتبطة بالذات الإلهية كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . وَيُحَذِرُكُمْ اللّهُ نَفْسَهُ . . ﴾ [من الآية ٢٩: آل عمران]. ولذلك تكون كلمة النفس التي ترتبط بالإنسان وحده قد وردت في ٢٨٩ موضعا في القرآن الكريم، وقد بلغ عدد الصيغ التي

وردت بها ١٤ صيغة مختلفة وبأعداد متفاوتة في المواضع المختلفة في آيات القرآن الكريم كما يتضح في الجدول رقم (١):

جدول رقم (١)

الصيغ و عدد المواضع التي وردت فيها لفظة النفس الإنسانية في القرآن الكريم

م	الصيغة	عدد المواضع التي وردت فيها
١	أنفسهم	٩١
٢	نفس	٥٢
٣	أنفسكم	٤٩
٤	نفسه	٣٦
٥	نفسا	١٤
٦	نفسي	١٢
٧	النفس	٩
٨	نفسك	٩
٩	الأنفس	٦
١٠	أنفسهن	٤
١١	أنفسنا	٣
١٢	نفسها	٢
١٣	النفوس	١
١٤	نفوسكم	١
	المجموع	٢٨٩

وباستقراء الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة النفس بالصيغ اللفظية المختلفة نجد أنها تشير إلى شيئين هما: أولاً الشخصية الإنسانية بكاملها والذي يمكن أن نسميه النفس العامة. وثانياً المكون الداخلي والذي يمكن أن نسميه النفس الخاصة. والدليل على ذلك ما ورد في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ

تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿[النحل: ١١١].

فهذه الآية قد تضمنت نفسين نفساً عامة تعبر عن الإنسان بكامله، ونفساً خاصة تمثل مكوناً داخل تلك النفس العامة. وقد أشار بعض المفسرين إلى وجود هاتين النفسين في هذه الآية: "والنفس الأولى: بمعنى الذات والشخص كقوله أن النفس بالنفس، والنفس الثانية ما به الشخص شخص. . وذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح فيسمونها النفس، أي الذات، وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير أنا، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه، ويسمونها نفساً أيضاً" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٤، ص ٣٠٢). وقد تساءل الفخر الرازي في تفسيره قائلاً: لقائل أن يقول: النفس لا تكون لها نفس أخرى، فما معنى قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ؟. والجواب: النفس قد يراد به بدن الحي وقد يراد به ذات الشيء وحقيقته، فالنفس الأولى هي الجثة والبدن. والثانية عينها وذاتها، فكانه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهمه شأن غيره (الرازي، ٢٠١٢، مج ١٠، ص ٣٢٩).

ومن الآيات التي تدل على وجود النفس الخاصة ضمن شخصية الإنسان أيضاً، قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]. فهذه الآية تشير ضمناً إلى أن الإنسان هو الذي ينهى نفسه الخاصة، مما يدل على أن تلك النفس الخاصة مرنة وقابلة للتحكم والضبط من النفس العامة، وأن النفس الخاصة يمكن أن تتبع الهوى وتؤثر على الإنسان بصورة عامة. وتؤكد لنا الآية التالية أن النفس الخاصة تفارق جسد الإنسان عند النوم وعند الموت بالوفاة، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ

تَمَّتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر:٤٢]. ومن الآيات التي تبين وجود النفس الخاصة ضمن شخصية الإنسان أيضا، ما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا . . .﴾ [النمل:١٤]. فهذه الآية تشير إلى حالتين حالة ظاهرية تتمثل في الجحود والإنكار الذي يؤديه الإنسان بصورة عامة، وحالة الاستيقان المنسوبة للنفس الخاصة، والتي تناقض السلوك الظاهر الذي تبديه الشخصية الإنسانية بصورة عامة.

فالنفس تشير إلى مكون مهم جدا في شخصية الإنسان، لدرجة أن هذا المكون يصبح ممثلا للشخصية بكاملها ودالا عليها، فعلى سبيل المثال نجد بعض الناس يطلق كلمة "الموتر" على السيارة؛ وذلك نظرا لأهمية الموتور داخل السيارة. فالنفس هي مكون مهم في شخصية الإنسان، وما يتعلق بها من صلاح وفساد تتأثر به شخصية الإنسان بكاملها. وقد ورد في المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم: "ومن كون النفس هي حقيقة الإنسان وجوهره أخذ منها ما يعبر عن كون الشيء ذا حقيقة قيِّمة" شيء نفيس: إذا كان يُرْغَب إليه لخطره، وقد نُفِسَ نفاسة والمنافسة والتنافس في الشيء: الرغبة في الانفراد به أي أن يأخذه لنفسه دون غيره" (جبل، ٢٠١٢، مج٤، ص٢٣٠١).

ثانيا: القلب:

تدل كلمة القلب في اللغة على معنيين: "أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَىٰ خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ، وَالْآخَرُ عَلَىٰ رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَىٰ جِهَةٍ" (ابن فارس، ٢٠٠١، ص٨٢٨). وهذا المعنى اللغوي يدل على شيئين: أحدهما معنوي والآخر مادي، وليس هناك خلاف على أن المعنى المادي للقلب يشير إلى العضو أو المضغة التي تقوم بإدارة الدم ونقله إلى سائر أجزاء الجسم. ولكن التعريفات التي تشير إلى الجانب المعنوي بعضها

يشير إلى العقل، وبعضها يشير إلى لطيفة روحانية، وغير ذلك مما يرتبط بالوظائف النفسية، ولذلك أورد الأصفهاني في تعريفه لمفردات القرآن: أنه يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٦٨١). وقد أكد الإمام الغزالي على المعنيين الدالين على القلب مع تركيزه على الجانب المعنوي بصورة أكبر، فذكر أن لفظ القلب، يطلق لمعنيين "أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته، إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت. . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب. ولها علاقة مع القلب الجسماني (الغزالي، ٢٠٠١، مج ٣، ص ٤). وهناك من يشير إلى أن القلب المقصود بالعقل هو جزء من داخل القلب المعروف حسياً والموجود داخل الصدر المعروف، فقد تناول عمر موسى مفهوم القلب الذي نعقل به في الطب والقرآن والسنة واللغة، وخلص إلى ما يلي: مما سبق ذكره فإن القلب المعروف كمضخة للدم لا يوجد له ارتباط واضح بالعقل، وإن كانت هنالك إشارات عن بعض التغيرات بعد عمليات نقل القلب، وإننا نفترض تشريحياً بأن القلب المقصود كما ورد في اللغة بأنه داخل القلب المعروف، وكما ورد في السنة بأنه مضغة، وكما ورد في القرآن والسنة بأنه بالصدر، أنه يقع في جدار الأذنين وما خلفهما، حيث تحتوي هذه المنطقة على جدار الأذنين وبعض أعصاب الجهاز العصبي المستقل وبعض الأنسجة الضامة. وهذه فرضية يجب أن نسعى للتأكد منها لتفسير ما جاء في القرآن (موسى، ٢٠٠٩، ص ٧٨).

وبالرجوع للقرآن الكريم نجد أن كلمة القلب قد وردت في ١٣٢ موقعا، وقد بلغ عدد الصيغ التي وردت بها ١٥ صيغة مختلفة من الصيغ الاسمية، وبأعداد متفاوتة في المواضع المختلفة في آيات القرآن الكريم كما يتضح في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

الصيغ وأعداد المواضع التي وردت فيها لفظة القلب في القرآن الكريم

م	الصيغة	عدد المواضع التي وردت فيها
١	قلوبهم	٦٨
٢	قلوبكم	١٥
٣	قلوب	١٥
٤	قلبه	٨
٥	قلوبنا	٦
٦	القلوب	٦
٧	قلبك	٣
٨	بقلب	٣
٩	قلب	٢
١٠	قلوبهن	١
١١	قلوبكما	١
١٢	قلبين	١
١٣	قلبي	١
١٤	قلبيها	١
١٥	القلب	١
	المجموع	١٣٢

وقد ارتبطت معظم ألفاظ القلب في القرآن الكريم بوظائف وحالات متنوعة، ما عدا موضوعين فقط من تلك المواضع قد انفردا بالإشارة لموضع

القلب، فقد ورد في أحدهما أن القلوب في الصدور وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].
 وورد في الموضوع الآخر أن القلب في الجوف؛ وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . . ﴾ [الأحزاب: ٤].

ثالثا: الصدر:

تشير كلمة الصدر في اللغة إلى أصلين أحدهما على الحركة والاتجاه والآخر يدل على موضع في الجسد معروف. وقد أورد ابن فارس أن الصدر يدل على أصلين صحيحين، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ٥٦٤). والصدر هو مقدم كل شيء وأوله (مبيقاتي وآخرون، ٢٠٠٧، ص ١٤٧٥). وهناك من يرى أن الصدر في ضوء القرآن الكريم هو كيان قائم بذاته، وأنه هو غير القلب (سنادة، ٢٠١٠، ص ١٦٠). والحكيم الترمذي يرى أن الصدر هو أحد المقامات، وإنما سمي صدرا لأنه صدر القلب، وأول مقامه كصدر النهار الذي هو أوله (الترمذي، دت، ص ٣٩). وهناك من يرى بأن الصدر الوارد في القرآن هو الصدر المعروف حسيًا بأنه المنطقة الواقعة بين العنق والبطن في جسد الإنسان. حيث يؤكد البروفيسور عمر عبد العزيز موسى ذلك بقوله: "ولقد بين الله أيضا موضع الصدر تشريحيًا حتى يتأكد المعنى حين قال جل وتعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ . . ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. والإحساس بالضيق لكل من يصعد الجبال متصعدا السماء يكون في الصدر المعروف لغة لجميع الناطقين بالعربية بأنه المنطقة بين العنق والبطن ويحتوي على الرئتين. . والذي يعطي إحساس الضيق بالصدر عند التصعد في السماء، مع ضيق التنفس والإحساس

بأنه ضيقاً حرجاً، انخفاض الضغط الجوي كلما ارتفعنا، وقلة الضغط الجزئي للأكسجين. وهذا أمر علمي مثبت ولا شك فيه (موسى، ٢٠٠٩، ص ٥٩). ولكن ارتباط الصدر في القرآن ببعض المفاهيم الأخرى الكبيرة مثل: الإسلام والكفر، وإخفاء وإبداء المعلومات يشير إلى مفهوم معنوي أوسع من ذلك الجزء المادي المحصور بين العنق والبطن، فقد قال الله تعالى عن وظائف الصدر المعرفية والمعنوية: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ . . .﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال سبحانه وتعالى عن وظائف الصدر الروحية: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ . . .﴾ [الزمر: ٢٢]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وكلمة الصدر وردت في القرآن الكريم في ٤٤ موقعا بالصيغ الاسمية، وقد بلغ عدد الصيغ التي وردت بها ٨ صيغ مختلفة وبأعداد متفاوتة في المواضع المختلفة في آيات القرآن الكريم كما يتضح في الجدول رقم (٣):

جدول رقم (٣)

الصيغ وأعداد المواضع التي وردت فيها لفظة الصدر في القرآن الكريم

م	الصيغة	عدد المواضع التي وردت فيها
١	الصدور	١٦
٢	صدورهم	١٠
٣	صدوركم	٤
٤	صدور	٤
٥	صدرك	٤
٦	صدره	٣

٧	صدرى	٢
٨	صدرا	١
المجموع		٤٤

وتشير كلمة الصدر في المواقع التي وردت فيها في القرآن الكريم إلى مكون له وظائف نفسية ومعنوية متنوعة، مما يدل على أنه أحد مكونات الشخصية الفاعلة في السلوك الإنساني.

رابعاً: الفؤاد:

كلمة الفؤاد ترجع للأصل اللغوي (فَادٌ)، وهي تدل على حُمَى وشِدَّةِ حَرَارَةٍ. وَمِنْ ذَلِكَ: فَادَتْ اللَّحْمَ: شَوِيَتْهُ. وَهَذَا فَيْدٌ، أَي مَشْوِيٌّ (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ٨٠٤). ويشير البعض إلى أن الفؤاد له علاقة بالقلب، وذلك أن "الفؤاد كالقلب لكن يقال له: فؤادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَوُّدِ، أي: التَّوَقُّدِ" (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٦٤٦). وبصورة عامة فإن استعمالات التركيب لكلمة الفؤاد فيها المعاني الآتية: الإعداد والتهيئة: مَلَّةٌ أَوْ جَمْرًا أَوْ سَفُودًا. وأخذًا من فَادَ الحُبْزَ واللحم أي إنضاجه بوضعه في الملة والجمر والسفود. والتحرق والتوقد (جبل، ٢٠١٢، ص ٣، ص ١٦٧٩).

ويرى محمد حسن جبل أن لفظ الفؤاد يشير إلى وظيفة إنضاج الرأي أو الفكرة أو الاتجاه، فقد نسبت إليه البصيرة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١]، وعُدَّ من روافد العلم كما في الآية: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾، وطُوبى بالميل في قوله تعالى: ﴿ وَتَصْنَعُ إِلَيْهِ أَفْئِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ١١٣]، لذلك ولما وَلِهَتْ أم موسى على ولدها فقدت القدرة على تحديد صواب ما تفعل في أمره عبر القرآن عن ذلك بقوله:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا ﴾ [القصص: ١٠].
 أما قوله تعالى: ﴿ وَأَقْدَتُهُمْ هَوَاءً ﴾ فهي تصوير للعجز عن الفقه (جبل، ٢٠١٢، مج ٣، ص ١٦٧٩). وهناك من يرى أنَّ الفؤاد هو أداة تعلم، مثله مثل السمع والبصر، وذلك ما نجده في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. أي أنَّ الفؤاد جهاز معرفي، وهو أيضا جهاز وجداني، مما يجعله قادرا على تكوين القيم والعقائد، واتخاذ القرارات الوجدانية، كما أنَّ وجدانية الفؤاد جزء من مكونات الشخصية (سنادة، ٢٠١٠، ص ١٥٨).

وكلمة الفؤاد وردت في القرآن الكريم في ١٦ موقعا بأربع صيغ مختلفة في آيات القرآن الكريم كما يتضح في الجدول رقم (٤):

جدول رقم (٤)

الصيغ وأعداد المواضع التي وردت فيها لفظة الفؤاد في القرآن الكريم

م	الصيغة	عدد المواضع التي وردت فيها
١	أفئدة	٨
٢	أفئدتهم	٣
٣	فؤاد	٣
٤	فؤادك	٢
	المجموع	١٦

وبناء على ما سبق يتضح أنَّ كلا من النفس والقلب والصدر والفؤاد عبارة عن مكونات داخلية مهمة جدا في شخصية الإنسان في ضوء القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت متغيرات البحث الحالي بصور مستقلة، فهناك دراسات عن النفس ودراسات عن القلب ودراسات عن الفؤاد ودراسات عن الصدر في ضوء القرآن الكريم، ولكن عندما نبحث عن الدراسات التي جمعت بين متغيرات البحث الحالي جميعها وهي: النفس، القلب، الصدر، والفؤاد، نجد شحاف في الدراسات في حدود ما تم الاطلاع عليه من خلال محركات البحث المتاحة، ولكن هناك دراسة قديمة شملت متغيراتها متغيرات البحث الحالي؛ وهي دراسة أبي عبد الله محمد بن علي المشهور بالحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠ هجري الموافق ٨٦٩ ميلادي، وعنوان الدراسة هو: بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب. وقد وضع الحكيم الترمذي تصورا لكل من هذه المكونات بصورة متدرجة متداخلة مع التركيز على وظائفها، وقد وصف القلب ومقاماته الأربعة الداخلة فيه، وكل واحد من هذه المقامات مرتبط بأحد أنوار الله، فالصدر أو المقام الخارجي فهو مرتبط بنور الإسلام، والقلب وهو من داخل الصدر مرتبط بنور الإيمان، والفؤاد وهو المقام الثالث مرتبط بنور المعرفة، واللب وهو آخر المقامات من الداخل فهو مرتبط بنور التوحيد. ويرى الحكيم الترمذي أن الصدر هو موضع دخول الغل والشهوات والمنى والحاجات، وإنه يضيق أحيانا وينشرح أحيانا، وهو موضع ولاية النفس الأمانة بالسوء، وهو موضع نور الإسلام، وهو موضع حفظ العلم المسموع. ويرى أن القلب داخل الصدر وهو معدن نور الإيمان ونور الخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين والخوف والرجاء والصبر والقناعة، وهو معدن أصول العلم. ويرى أن الفؤاد هو موضع المعرفة وموضع الخواطر

وموضع الرؤية.

ومع أن دراسة الحكيم الترمذي قد سبقت في الربط بين الصدر والقلب والفؤاد، إلا أنه قد جعل النفس عنصراً متداخلاً مع الصدر تداخلاً سالبا، فيقول عن الصدر: "وهو موضع ولاية النفس الأمانة بالسوء، ولها فيه مدخل، وتتكلف أشياء، وتتكبر، وتظهر القدرة من نفسها (الترمذي، دت ص ٣٥). ومن جانب آخر فقد جعل الحكيم الترمذي اللب أحد المكونات الداخلية، ولكن اللب في القرآن الكريم قد ورد صفة منسوبة لمن ترقوا في مقامات الإيمان من الناس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

نتائج البحث:

تفيد النتائج بأن الوظائف النفسية المشتركة المرتبطة بالنفس والقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم بلغت ٢١ كما هو مبين في الجداول: رقم (٥) ورقم (٦) ورقم (٧):

جدول رقم (٥)

يبين الوظائف النفسية المرتبطة بالقلب والنفس والصدر والفؤاد في القرآن الكريم

م	الوظائف النفسية	الارتباط بالنفس	الارتباط بالقلب	الارتباط بالصدر	الارتباط بالفؤاد
١	العلم والتعلم	يوجد	يوجد	يوجد	يوجد
٢	تخزين المعلومات وإدارتها	يوجد	يوجد	يوجد	لا يوجد
٣	الاستكبار	يوجد	يوجد	يوجد	لا يوجد
٤	الإيمان	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
٥	التقوى	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد

٦	الحسرة	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
٧	الذكر	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
٨	الطمأنينة	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
٩	الكسب	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
١٠	الهدى	يوجد	يوجد	لا يوجد	لا يوجد
١١	الغل	لا يوجد	يوجد	يوجد	لا يوجد
١٢	الغيظ	لا يوجد	يوجد	يوجد	لا يوجد
١٣	الابتلاء	يوجد	لا يوجد	يوجد	لا يوجد
١٤	الحاجة	يوجد	لا يوجد	يوجد	لا يوجد
١٥	الخرج	يوجد	لا يوجد	يوجد	لا يوجد
١٦	الضيق	يوجد	لا يوجد	يوجد	
١٧	الوسوسة	يوجد	لا يوجد	يوجد	
١٨	التقلب والحركة الداخلية	لا يوجد	يوجد	لا يوجد	يوجد
١٩	الصغو	لا يوجد	يوجد	لا يوجد	يوجد
٢٠	الثبیت	يوجد	لا يوجد	لا يوجد	يوجد
٢١	الهوى	يوجد	لا يوجد	لا يوجد	يوجد

جدول رقم (٦)

يبين اشتراك المكونات الشخصية في الوظائف النفسية

م	المكونات	الوظائف النفسية المشتركة	المجموع
١	النفس والقلب والصدر والفؤاد.	العلم والتعلم	١
٢	النفس والقلب والصدر	تخزين المعلومات وإدارتها، الاستكبار	٢
٣	النفس والقلب والفؤاد	-	٠
٤	النفس والصدر والفؤاد	-	٠

٥	القلب والصدر والفؤاد	-	٠
٦	النفس والقلب	الإيمان، التقوى، الذكر، الحسرة، الطمأنينة، الكسب، الهدى	٧
٧	النفس والصدر	الابتلاء، الحاجة، الخرج، الضيق، الوسوسة	٥
٨	النفس والفؤاد	التثبيت، الهوى	٢
٩	القلب والصدر	الغل، الغيظ	٢
١٠	القلب والفؤاد	التقلب والحركة، الصغو	٢
١١	الصدر والفؤاد	-	٠

جدول رقم (٧)

يبين المكونات الداخلية (القلب والنفس والصدر والفؤاد)
والوظائف النفسية المرتبطة بها

م	المكونات	الوظائف النفسية المشتركة	العدد
١	النفس	العلم والتعلم، الاستكبار، تخزين المعلومات، الابتلاء، الإيمان، التثبيت، الذكر، التقوى، الحاجة، الخرج، الحسرة، الضيق، الطمأنينة، الكسب، الهدى، الهوى، الوسوسة	١٧

٢	القلب	العلم والتعلم، الاستكبار، تخزين المعلومات، الإيمان، الثقل والحركة، الذكر، التقوى، الحسرة، الصغو، الطمأنينة، الغل، الغيظ، الكسب، الهدى.	١٤
٣	الصدر	العلم والتعلم، الاستكبار، تخزين المعلومات، الابتلاء، الحاجة، الحرج، الضيق، الغل، الغيظ، الوسوسة	١٠
٤	الفؤاد	العلم والتعلم، التثبيت، الثقل والحركة، الهوى، الصغو	٥

تتضمن الجداول رقم (٥)، ورقم (٦)، ورقم (٧)، مجموعة من النتائج التي تتعلق بالوظائف النفسية المشتركة المرتبطة بالقلب والصدر والفؤاد، ويمكن تفصيل تلك النتائج والاستدلال عليها من الآيات القرآنية كما يلي:

أولاً: الوظائف النفسية المرتبطة بالقلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم: تفيد النتائج أن الوظيفة النفسية الوحيدة التي ارتبطت بصورة مشتركة بين النفس والقلب والصدر والفؤاد جميعها في القرآن الكريم هي وظيفة العلم والتعلم. وارتباط العلم بالقلوب يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَافِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩]. وهذا يدل على العلاقة بين القلوب والتعلم. وعلاقة العلم والتعلم بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٥]. وارتباط

العلم والتعلم بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وارتباط العلم والتعلم بالفؤاد يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ثانياً: الوظائف النفسية المرتبطة بالنفس والقلب والصدر في القرآن الكريم:

تفيد النتائج بأن هناك اثنان من الوظائف النفسية التي ارتبطت بكل من النفس والقلب والصدر فقط بدون الفؤاد في القرآن الكريم، وهما: الأولى تخزين المعلومات وإدارتها والثانية هي الاستكبار. وفيما يلي بيان الأدلة على ارتباط كل منهما بالقلب والنفس والصدر في القرآن الكريم:

(١) تخزين المعلومات والمشاعر وإدارتها سواء بالإخفاء أو الإعلان ارتبطت

بكل من القلب والنفس والصدر، ولم ترتبط بالفؤاد في الآيات القرآنية.

وارتباطها بالقلب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا

لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَخْذِرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ . .﴾ [التوبة: ٦٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]. وتشير الآيات القرآنية إلى أن

النفس هي موضع إخفاء المعلومات والمشاعر؛ كما ورد في قوله سبحانه

وتعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ

. .﴾ [البقرة: ٢٣٥]. أي أضمرتم في أنفسكم من خطبتن (ابن كثير، ص ١٧٣).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ

اللَّهُ . . ﴿البقرة: ٢٨٤﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ . . ﴿آل عمران: ١٥٤﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿المائدة: ٥٢﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ . . ﴿يوسف: ٧٧﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ . . ﴿الأحزاب: ٣٧﴾. ودور الصدر في إمكانية تخزين المعلومات وإدارتها من إخفاء وإبداء يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ . . ﴿آل عمران: ٢٩﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عِنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿آل عمران: ١١٨﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿غافر: ١٩﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿القصص: ٦٩﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿العاديات: ١٠﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿التغابن: ٤﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَحِينَ يَسْتَعْشُونُ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿هود: ٥﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿الملك: ١٣﴾.

(٢) الاستكبار (الكبر): ارتبط الاستكبار بكل من القلب والنفس والصدر، ولم يرتبط بالفؤاد في الآيات القرآنية. وارتباط الاستكبار بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى

رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿ [الفرقان: ٢١]. وارتباط الاستكبار بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مِّمَّا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿ [غافر: ٣٥]. وارتباط الكبر بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ [غافر: ٥٦]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿ [الإسراء: ٥١].

ثالثا: الوظائف النفسية المرتبطة بالنفس والقلب وحدهما في القرآن الكريم:

تفيد النتائج بأن الوظائف النفسية التي ارتبطت بكل من النفس والقلب وحدهما سبع وظائف وهي: الإيمان، التقوى، الحسرة، الذكر، الطمأنينة، الكسب، والهدى. وفيما يلي بيان الأدلة التي تبين ارتباط هذه الجوانب بالقلب والنفس في الآيات القرآنية:

(١) الإيمان: ارتبط الإيمان بكل من القلب والنفس، ولم يرتبط بكل من الصدر أو الفؤاد في القرآن الكريم. وارتباط الإيمان بالقلب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ . . ﴿ [الحجرات: ١٤]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ . . ﴿ [المائدة: ٤١]. وارتباط الإيمان بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا . . ﴿ [الأنعام: ١٥٨]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . .

﴿يونس: ١٠٠﴾.

(٢) التقوى: ارتبطت التقوى بكل من القلب والنفس، ولم ترتبط بالصدر أو الفؤاد في القرآن الكريم. وارتباط التقوى بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤]. وارتباط التقوى بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

(٣) الحسرة: ارتبطت الحسرة بكل من القلب والنفس، ولم ترتبط بالصدر أو الفؤاد. وارتباط الحسرة بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٥٦]. وارتباط الحسرة بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾ [فاطر: ٨].

(٤) الذكر: ارتبط الذكر بكل من القلب والنفس، ولم يرتبط بالصدر ولا بالفؤاد. وارتباط الذكر بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وارتباط الذكر بالقلب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٥) الطمأنينة: ارتبطت الطمأنينة بكل من القلب والنفس، ولم ترتبط بالصدر أو الفؤاد في القرآن الكريم. وارتباط الطمأنينة بالقلب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وارتبطت الطمأنينة بالنفس كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

(٦) الكسب: ارتبط الكسب بكل من النفس والقلب، ولم يرتبط بالصدر أو الفؤاد في القرآن الكريم. وارتباط الكسب بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. وارتباط الكسب بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

(٧) الهدى: ارتبط الهدى بكل من النفس والقلب، ولم يرتبط بالصدر أو الفؤاد في القرآن الكريم. وارتباط الهدى بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. وارتباط الهدى بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى . . .﴾ [السجدة: ١٣].

رابعاً: الوظائف النفسية المرتبطة بالنفس والصدر وحدهما في القرآن الكريم:

تفيد النتائج بأن النفس والصدر كليهما يرتبطان بخمس وظائف نفسية هي: الابتلاء، الحاجة، الحرج، الضيق، والوسوسة كما يتضح من الآيات القرآنية

— العدد الحادي والعشرون - صفر ١٤٤٣ هـ / سبتمبر ٢٠٢١ م — ﴿٣٠٣﴾

التالية:

(١) ارتبط الابتلاء بالنفس والصدر، ولم يرتبط بالقلب ولا بالفؤاد، وارتباط الابتلاء بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا لَكَ تَبْلُوكُلُ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، وارتباط الابتلاء بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَكَيْتَبِي اللَّهُ مَّا فِي صُدُورِكُمْ وَيَمَحَّصَ مَّا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(٢) ارتبطت الحاجة بكل من الصدر والنفس، ولم ترتبط بالقلب ولا بالفؤاد. وارتباط الحاجة بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا...﴾ [الحشر: ٩]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَلكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَكَلْبَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: ٨٠]. وارتباط الحاجة بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا...﴾ [يوسف: ٦٨].

(٣) ارتبط الحرج بكل من النفس والصدر، ولم يرتبط بالقلب ولا بالفؤاد. وارتباط الحرج بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وارتباط الحرج بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

(٤) ارتبط الضيق بكل من النفس والصدر، ولم يرتبط بالقلب ولا بالفؤاد في القرآن. وارتباط الضيق بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ...﴾ [التوبة: ١١٨]. وارتباط الضيق بالصدر ورد

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٣].

(٥) الوسوسة: ارتبطت الوسوسة بكل من النفس والصدر، ولم ترتبط بالقلب ولا بالفؤاد. وارتباط الوسوسة بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وارتباط الوسوسة بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥].

خامسا: الوظائف النفسية المرتبطة بكل من النفس والفؤاد وحدهما في القرآن الكريم: تفيد النتائج بأن النفس والفؤاد كليهما يرتبطان باثنين من الوظائف النفسية في القرآن الكريم، وهما: التثبيت والهوى كما يتضح من الآيات القرآنية التالية:

(١) ارتبط التثبيت بكل من النفس والفؤاد، ولم يرتبط بالقلب ولا بالصدر، وارتباط التثبيت بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . .﴾ [البقرة: ٢٦٥]. أي فثبتتهم أنفسهم لما أنفقوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصححت عزمهم وآراءهم. بسبب يقينهم بالله، وتصديقهم بوعدده (الطبري، ج ٢، ص ١٤٣). وارتباط التثبيت بالفؤاد ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَلاَّ نَقِصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

(٢) ارتبط الهوى بكل من الفؤاد والنفس، ولم يرتبط بالقلب ولا الصدر. وارتباط الهوى بالنفس ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ . . ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [النجم: ٢٣]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النازعات: ٤٠]. وارتباط الهوى بالفؤاد ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. أي: اجْعَلْ أَفْئِدَةً جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ تَنْزِعُ إِلَيْهِمْ (الزجاج، ج ٣، ص ١٢١).

سادسا: الوظائف النفسية المرتبطة بالقلب والصدر وحدهما في القرآن الكريم:

تفيد النتائج بأن القلب والصدر وحدهما يرتبطان باثنين من الوظائف النفسية وهما: الغل والغيط كما تفيد الآيات القرآنية كما يلي:

(١) ارتبط الغل بكل من الصدر والقلب، ولم يرتبط بالنفس أو الفؤاد في الآيات القرآنية. وارتباط الغل بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وارتباط الغل بالقلب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿الحشر: ١٠﴾.

(٢) ارتبط الغيظ بكل من القلب والصدر، ولم يرتبط بالنفس أو الفؤاد.

وارتباط الغيظ بالصدر ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُتُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. وارتباط الغيظ بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥].

سابعاً: الوظائف النفسية المرتبطة بالقلب والفؤاد وحدهما في القرآن الكريم:

تفيد النتائج بأن القلب والفؤاد كليهما يرتبطان باثنين من الوظائف النفسية وهما: التقلب والحركة الداخلية القلقة، والصغو كما يتضح من الآيات القرآنية التالية:

(١) ارتبطت الحركة القلقة والتقلب بكل من القلب والفؤاد، ولم ترتبط بالنفس

أو الصدر، وارتباط الحركة القلقة والتقلب بالقلوب يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]. ويدل عليه بلوغ القلوب الحناجر الذي ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينًا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وارتباط التقلب والحركة القلقة بالفؤاد ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا

بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿[الأنعام: ١١٠].

(٢) ارتبط الصغو بالقلب والفؤاد وحدهما ولم يرتبط بالنفس أو الصدر، وارتباط الصغو بالفؤاد ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَصْنَعِ إِلَيْهِ أَفِيدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وارتباط الصغو بالقلوب ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا . . .﴾ [التحریم: ٤].

تحليل نتائج البحث وتفسيرها ومناقشتها:

اتضح من نتائج البحث أنّ النفس والقلب والصدر والفؤاد ارتبطت مشتركة كلها أو بعضها مع واحد وعشرين وظيفة، وتشمل الوظائف التي ارتبطت بها مظاهر سلوكية وعمليات نفسية وعقلية متنوعة وهي: العلم والتعلم، تخزين المعلومات والمشاعر وإدارتها، الاستكبار، الابتلاء، الإيمان، التثبيت، الثقلب والحركة الداخلية، التقوى، الحاجة، الحرج، الحسرة، الذكر، الصغو، الضيق، الطمأنينة، الغل، الغيظ، الكسب، الهدى، الهوى، والوسوسة.

وهذه الوظائف النفسية تتعلق بالمظاهر المختلفة لسلوك الإنسان ونشاطه وملامح شخصيته، ولكن هناك تفاوت في ارتباط تلك الوظائف بالمكونات المذكورة بصور مختلفة فمنها ما ارتبط بجميع المكونات الأربعة ومنها ما ارتبط بثلاثة منها ومنها ما ارتبط باثنين فقط، ويمكن تفسير ومناقشة ذلك فيما يلي:

أولاً: أفادت النتائج بأنّ العلم والتعلم هو الجانب الوحيد الذي ارتبط مع المكونات الأربعة: النفس والقلب والصدر والفؤاد. والملاحظ أنّ العلم والتعلم هو السلوك الذي يبدأ مع الإنسان منذ الميلاد ويستمر معه عبر مراحل العمرية

المختلفة، ولذلك فإن ارتباطه بكل من القلب والنفس والصدر والفؤاد يدل على أهميته، ويدل على الاهتمام بتنوع طرق التعلم والتعليم حتى تستطيع أن تخاطب المكونات المختلفة في شخصية الإنسان قلبا ونفسا وصدرا وفؤادا. ولذلك فإن قابلية الإنسان للتعلم عالية جدا مقارنة بغيره من الكائنات، ولذلك يرى الباحثون في مجال التعلم والتعليم أن البشر يقللون كثيرا من قيمة ذكائهم وقدراتهم على التعلم (Ormrod، 2012، 25). ومن جانب آخر فإن الباحثين في التعلم قد بينوا أن التعلم يحدث على مستويات متدرجة ابتداء من الارتباطات المشروطة، والاقتران المتزامن والمحاولات الخاطئة والصحيحة والتقليد والمحاكاة إلى مستويات المعرفة والتجهيز العقلي والذاكرة وما وراء الذاكرة وغيرها من الأبعاد الداخلية (McInerney & McInerney and Woolfolk & Margetts، 2002). ويدل اشتراك كل من النفس والقلب والصدر والفؤاد بالتعلم، مع العلم بتعدد مستويات التعلم أن هذه المكونات متفاوتة في مستوياتها بصورة تراتبية من حيث الوجود والتنظيم والعمق في شخصية الإنسان.

ثانيا: أفادت النتائج بارتباط اثنين من الوظائف النفسية بالقلب والنفس والصدر فقط بدون الفؤاد، وتلك الجوانب هي: تخزين المعلومات المشاعر وإدارتها، والاستكبار. وتشير الآيات إلى نوع المعلومات التي يتم تخزينها وإدارتها من قبل النفس والقلب والصدر أنها معلومات غير يقينية تظهر جوانب عدم الاتساق السلوكي والشخصي للأفراد، فمثلا نجد القلب يخزن معلومات ولكن السلوك اللفظي الصادر من الإنسان يكون مخالفا لذلك كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وكذلك المعلومات المخفية في النفس كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ . . يُخْفُونَ

فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ . . ﴿ [آل عمران: ١٥٤]. وكذلك الصدر يخترن معلومات ويخفيها ولكن السلوك الخارجي لا يتناسب مع حجم وكمية تلك المعلومات كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عَنَّتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]. وهذا يتسق مع الجانب النفسي الآخر المرتبط بهذه المكونات الثلاثة أي ارتباط الاستكبار بالنفس والقلب والصدر والذي يشير إلى عملية معرفية توهمية تدل على خلل في تقويم الذات، وقد عرف الأصبهاني الكبر والاستكبار بأنه الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٦٩٧). ويبدو من معنى الاستكبار أنه في ضوء الأمراض والاضطرابات النفسية يتضمن اضطراب الشخصية النرجسية (Narcissistic Personality Disorder).

وتفيد الدراسات أنّ الأفراد من ذوي الشخصية النرجسية يبالغون في تقييم قدراتهم ويزهون بإنجازاتهم، ويتصفون بوجود حاجة غلبة للإعجاب، ونقص في التقمص العاطفي مع مشاعر الآخرين، ومثل هؤلاء الناس يعتقدون أنّهم متفوقون عن الآخرين، ويتوقعون منهم أن يعرفوا ذلك. . ومع ذلك فإن وراء هذا التباهي والزهو بالإنجازات والمواهب، هناك تقدير أو اعتبار هش للذات، فهم يحتاجون بشكل ثابت إلى إعادة التوكيد والاطمئنان، وعندما لا يواتيهم ذلك يصبحون غاضبين وعدوانيين (Davey, 2014). وهذا الاضطراب مزمن وشامل في الشخصية وله صفاته وملامحه السلوكية، ويصنف كواحد ضمن عشرة اضطرابات للشخصية في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM5). أي أنّ الاستكبار يدل على حالة معرفية ضلالية عن طريق

توهم العظمة .

وبالنظر للنتائج يتضح عدم مشاركة الفؤاد في كل من الاستكبار وتخزين المعلومات وإدارتها مع أنه مشارك في التعلم، وهذا يدل على أنّ الفؤاد يقوم بدور أولي في الإحساس ونقل المعلومات وليس في تخزينها وإدارتها وتقويمها واتخاذ قرارات بشأنها سواء كانت صحيحة أو توهمية، ومما يدل على الدور الحسي للفؤاد ارتباطه بالحواس في آيات قرآنية أخرى كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

ثالثاً: تشير النتائج إلى أنّ القلب والنفس وحدهما يشتركان في كل من الإيمان، التقوى، الذكر، الطمأنينة، الهدى، الكسب، والحسرة. ومعظم هذه الجوانب هي عمليات روحية عليا، وهذا يدل على أنّ هذه العمليات تتطلب اتساقاً بين القلب والنفس، ويدل على ضرورة التكامل فيها، ويدل على مركزية القلب والنفس في الجانب الروحي. ويدل هذا على دور القلب والنفس في الأمان والصحة النفسية. فالمعنى العام للتقوى هو حفظ من الأذى أو الضرر باتخاذ حاجز دونه (جبل، ٢٠١٢، مج ٤، ص ١٧٦٢). وتشير التقوى إلى عملية عقلية روحية تؤثر في اتخاذ القرار المتعلق بالسلوك الإنساني. وتدل الطمأنينة على بلوغ أعلى مستويات الصحة النفسية بعد المرور بحالة من القلق، كما يدل على ذلك تعريف الطمأنينة: "الطُّمَأْنِينَةُ وَالْإِطْمِئْنَانُ: السَّكُونُ بَعْدَ الْإِنْزِعَاجِ" (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٥٢٤). ويدل الكسب على السلوك الإيجابي الهادف الذي يؤدي إلى نتائج إيجابية مرغوبة ويعرف الكسب بأنه: "ما يتحرّاه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظّ، ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظنّ الإنسان أنه يجلب منفعة،

— العدد الحادي والعشرون - صفر ١٤٤٣ هـ / سبتمبر ٢٠٢١ م ﴿ ٣١١ ﴾

ثم استجلب به مضرّة" (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٩٠٧). والكسب يدل على: جَمْع الشيء وتحصيله (شيئاً بعد شيء) بجُهدٍ ما، أخذاً من حيث كان (جبل، ٢٠١٢، مج ٤، ص ١٩٣٩). أمّا الهدى والهداية فتدل على شيئين هما: معرفة السلوك السوي والتقدم في السير فيه؛ كما تشير إلى ذلك معاني الهداية؛ ومنها: "الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهدية" (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٨٣٥). والهداية تعني أيضاً: التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ١٠٢٧). ونلاحظ ارتباط هذه الجوانب التي تدل على العمليات الإيجابية وخاصة الروحية منها في مجال السلوك والحالات النفسية بالقلب والنفس مما يدل على الوظائف الروحية للنفس والقلب.

ونلاحظ أيضاً ارتباط الحسرة بكل من القلب والنفس، ومع أنّ الحسرة تدل على حالة سالبة، إلا أنّها في الأصل تشير إلى تقويم ذاتي للمواقف والسلوك. "فالحسر أصله من كَشَفِ الشَّيْءِ" (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ٢٤٥). والمعنى المحوري للحسر هو زوال ما ينبت أو يلزم لتغطية الشيء تغطيه لازمة لحفظ قوامه زوالاً متوالياً أو بالغاً. (جبل، ٢٠١٢، مج ١، ص ٤٣٣). والحسرة: الغم على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٢٣٤). والملاحظ أنّ الحسرة ارتبطت بكل من النفس والقلب وذلك على مستويات، فالحسرة التي ارتبطت بالنفس تدل على مستوى يمكن التخلص منه والتسلية عنه، أمّا الحسرة التي ارتبطت بالقلب فتدل على العذاب المتمكن والمؤدي الذي لا يمكن التخلص منه.

فالحسرة التي ارتبطت بالنفس جاءت في سياق النهي، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]. وبما أنّ

الحسرة هنا وردت منهيها عنها، فهذا يدل على إمكانية معالجتها والتخلص منها، وقد جاءت الآية مسلية للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾. أما الحسرة التي ارتبطت بالقلب فقد جاءت في سياق العذاب المتمكن الذي لا يمكن إزالته؛ كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَحْسِبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

رابعاً: تشير النتائج إلى أن النفس والصدر وحدهما يشتركان في كل من: الابتلاء، الحاجة، الحرج، الضيق، والوسوسة. وهذه الجوانب تشير إلى الاضطرابات والضغوط النفسية التي يتعرض لها الإنسان، فالحاجات في علم النفس هي أساس الدوافع، أي أن ظهور الحاجات يمثل حالة ضاغطة على الإنسان ودافعة له لكي يسعى لإشباع الحاجة (L-Petri & Govern, 2013, 556). ومن جانب آخر فإن الحرج يمثل أيضاً عاملاً ضاغطاً على الإنسان يدفعه للتخلص منه، فالحرج في القرآن يعني الضيق الشديد: "وكل (حَرَج) في القرآن فهو بمعنى الضيق الشديد أو المنع (جب، ٢٠١٢، مج ١، ص ٤١٠). وتفيد الدراسات بأن الضغوط النفسية متداخلة مع الجوانب الشخصية والمعرفية والدوافع الإنسانية ومفهوم الذات وتقدير الذات، والظروف الضاغطة التي يتعرض لها الفرد (Sarafino, 2002, 95). وهذا التداخل يفسر لنا ترابط كلا من الحاجة (التي تتولد منها الدوافع)، والحرج والضيق والابتلاء (التي تشير إلى الضغوط النفسية) مع بعضها البعض في دائرة النفس والصدر. ونظراً لوجودها في هذا المستوى بعيداً من القلب فإن العلاج يكون سهلاً.

ومن جانب آخر نجد أن النفس والصدر يشتركان في الوسوسة، وقد وردت كلمة الوسوسة في القرآن مرتبطة بهما فقط، وقد وردت في سياقات تشير إلى سلبيتها. ومعنى الوسوسة: الخطة الرديئة، وأصله من الوسواس، وهو صوت الحلي، والهمس الخفي (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٨٦٩). وتدل على الكلام الخفي في اختلاط؛ لأن ما يخفى ولا يبين لا يكشف عن كلام مرتب (جبل، مج ٢، ٢٠١٢، ص ٩٥٤). وهذا يدل على إيصال معلومة بصورة خفية إلى مركز المعلومات وإدارتها في الصدر والنفس. وتفيد الدراسات النفسية أن هناك ترابط بين اضطراب الوسواس القهري وبعض الاضطرابات والمشكلات النفسية الأخرى، ويتصف اضطراب الوسواس القهري بوجود الوسواس المقتحمة والأفكار المعادة والتي يجد الفرد أنها مزعجة ولا يستطيع التحكم فيها (Davey, 2014, 365).

خامساً: تشير النتائج إلى ارتباط الغل والغيط بالقلب والصدر فقط، أي أن القلب والصدر يشتركان وحدهما في الغل والغيط، وهما عمليتان انفعاليتان ويشيران إلى حالات مرتفعة من المستوى الانفعالي، الذي يحتاج إلى التنفيس والتفريغ لكي يكون الفرد في حالة سوية، وقد أورد الرازي في تفسيره: "والغل هو الحقد. قال أهل اللغة: وهو الذي يغل بلطفه إلى صميم القلب، أي: يدخل، ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة، ويقال: انغل في الشيء، وتغلغل فيه إذا دخل فيه بلطفاً، كالحب يدخل في صميم الفؤاد (الرازي، ٢٠١٢، مج ٧، ص ٢٨٤). فالغل يدل على تخلل شيء، وثبات شيء، كالشيء يغرز (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ٧٦٨). ولذلك فإن نزع الغل من الصدور والقلوب يمثل نعيماً من

النعيم التي يهنأ بها أصحاب الجنة، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا

كَمَا لِنَهْدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَبُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورَثُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ٤٣]﴾. فهذا يدل على أن الغل حالة سالبة وعملية نفسية مؤلمة تملأ الفرد شقاء. وكذلك الغيظ، فهو حالة مرتفعة مؤلمة من الغضب الذي يتطلب إما كظما وإزالة أو تفريغا، لأنه يمثل الدرجة التي يرتبط فيها الغضب بالانتقام. وقد عرّف الأصفهاني الغيظ بأنه: أشد غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه (الأصفهاني، ٢٠١١، ص ٦١٩). ولذلك جاء في معرض الامتنان على المؤمنين ذهاب غيظ قلوبهم كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: ١٥]﴾. وتفيد الدراسات والأبحاث في علم النفس الحديث بأن الغضب يتميز عن غيره من الانفعالات بسبب أثره الاجتماعي، لأن الأشخاص الغاضبين يمثلون خطرا بالنسبة للجميع (Shiota & Kalat, 2014, 374).

سادسا: تشير النتائج إلى اشتراك القلب والفؤاد وحدهما في كل من الصغو والتقلب والحركة الداخلية. والصغو يدل على الميل (ابن فارس، ٢٠٠١، ص ٥٤٤). والمعنى المحوري ميل الشيء عن اتجاه الارتفاع إلى جانب. . وأصغيت إلى فلان: ملت بسمعك نحوه (جيل، ٢٠١٢، مج ٣، ص ١٢٦٢). وهذا يدل على أن الصغو يدل على عملية نفسية حسية، فهو ميل عاطفي حسي، وهذا يشير إلى الجانب الحسي للقلب والفؤاد، وقد اتضح أن الفؤاد مرتبط بالعمليات الحسية كما ورد سابقا ارتباطه بالسمع والبصر. أما التقلب فهو يشير إلى حالة فسيولوجية داخلية تدل عليها الحركة العضوية لبعض المكونات المعلومة الظاهرة، فالفؤاد ارتبطت حركته وتقلبه بحركة الأبصار كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿. . يَخَافُونَ يَوْمًا

تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿النور: ٣٧﴾. وحركة القلب ارتبطت بزوغان الأبصار وبلوغ الحناجر فكأنما تحركت القلوب من مواضعها حتى وصلت للحناجر كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يُومِ الْأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

سابعاً: تشير النتائج إلى ارتباط النفس والفؤاد معا في وظيفتين هما: الهوى والتثبيت، والهوى يدل على حاجة نزوعية قوية، فقد قال الله سبحانه وتعالى: على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. أي: اجعل أفئدة جماعة من الناس تنزع إليهم (الزجاج، ج ٣، ص ١٢١). أي تشتاق وأصله من الانحطاط بسرعة (ابن الملقن، ٢٠١١، ص ١٩٦). ويقال: هوى نحوه إذا مال، وهوت الناقة تهوي هويًا فهي هاوية إذا عدت عدواً شديداً كأنها في هواءٍ بئر، وقوله: (تهوي إليهم)؛ مأخوذ منه (القرطبي، ٢٠٠١، مج ٢، ص ٥٤٣). فالهوى يدل على قوة الميل والحالة الانفعالية القوية الدافعة نحو شيء ما. وعلى عكس الهوى يكون التثبيت فكأنما النفس والفؤاد وحدهما يرتبطان في الانفعالات والميول القوية، ولذلك يحتاجان للتثبيت، والتثبيت يتم بممارسة الأعمال الصالحة بالنفس للنفس، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . .﴾ [البقرة: ٢٦٥]. أي فثبتتهم أنفسهم لما أنفقوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصححت عزمهم وآراءهم. بسبب يقينهم بالله، وتصديقهم بوعد (الطبري، ٢٠١٢، ج ٢، ص ١٤٣). أي: يُنْفِقُونَهَا ﴿٣١٦﴾ مجلة تأصيل العلوم -

مُقَرِّينَ أَنَّهَا مَّا يُثِيبُ اللهُ عَلَيْهَا (الزجاج، ٢٠٠٦، ج ١، ص ٢٢٩). ويتم التثبيت بتلقي القرآن ومعرفة قصص السابقين من الصالحين بالنسبة للفؤاد، كما هو مبين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُتَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَلَّا لَنَقْصُ عَنكَ مِن آتْيَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

ثامنا: تشير النتائج في الجدول رقم (٧) إلى أن النفس اشتركت مع غيرها من المكونات في ١٧ وظيفة نفسية، وأن القلب اشترك مع غيره من المكونات في ١٣ وظيفة نفسية، وأن الصدر اشترك مع غيره من المكونات في ١٠ من الوظائف النفسية، وأن الفؤاد اشترك مع غيره من المكونات في ٥ من الوظائف النفسية. وهذا يدل على أن النفس هي الأكثر مشاركة في الوظائف النفسية مع المكونات الأخرى، وأن الفؤاد هو الأقل مشاركة في الوظائف النفسية مع المكونات الأخرى.

تاسعا: يبين الجدول رقم (٦) أن هناك أربع حالات بين الفؤاد والمكونات النفسية الأخرى لم ترتبط بها وظائف مشتركة، وذلك كما يلي: (١) النفس والقلب والفؤاد. (٢) النفس والصدر والفؤاد. (٣) القلب والصدر والفؤاد. و(٤) الصدر والفؤاد. وهذا يشير إلى أن الفؤاد يرتبط جزئيا فقط بالمكونات الشخصية الثلاثة الأخرى: النفس والقلب والصدر، وهذا يؤكد الجانب الحسي للفؤاد أكثر من الجانب المعنوي.

خاتمة

توصيات البحث:

١. التعامل مع القرآن الكريم كمصدر للحقائق المتعلقة بالإنسان وجوانبه النفسية والعقلية والسلوكية للتعرف على المكونات المختلفة للشخصية الإنسانية.
٢. تقييم النظريات النفسية المختلفة التي تذخر بها الدراسات النفسية في ضوء الحقائق القرآنية عن الجوانب النفسية للإنسان.
٣. الاستفادة من هذه الدراسة في التمييز بين مفهوم القلب والنفس والصدر والفؤاد في القرآن باعتبارها مكونات شخصية مستقلة وليست ألفاظاً مترادفة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن الملقن، عمر (٢٠١١). تفسير غريب القرآن، بيروت: عالم الكتب.
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤). تفسير التحرير والتنوير. تونس: دار التونسية للنشر.
٤. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (٢٠٠١). معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٢٠٠٠). المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (إشراف صفى الرحمن المباركفوري)، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
٦. الأصفهاني، الراغب (٢٠١١). مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ط٥، دمشق: دار القلم.
٧. الترمذي، محمد بن علي الحكيم (د.ت). بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، القاهرة: دار العرب.
٨. جبل، محمد حسن (٢٠١٢). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، القاهرة: مكتبة الآداب.
٩. الرازي، فخر الدين (٢٠١٢). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، القاهرة: دار الحديث.
١٠. الزجاج، أبو اسحق إبراهيم السري (٢٠٠٦). معاني القرآن وإعرابه (تهذيب عرفان سليم حسونة). بيروت: المكتبة العصرية.

١١. سنادة، محمد حسن (٢٠١٠). الإنسان ونفسه من القرآن الكريم: جدلية القلب والفؤاد والدماغ والصدر، الخرطوم: شركة السودان لمطابع العملة.
١٢. الطبري، محمد بن جرير (٢٠١٢). تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تهذيب وتقريب صلاح الخالدي)، ط٢، دمشق: دار القلم.
١٣. الغزالي، محمد بن محمد (٢٠٠١). إحياء علوم الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٤. القرطبي، محمد بن أحمد (٢٠٠١). الجامع لأحكام القرآن، (اختصار: عرفان حسونة)، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٣. موسى، عمر عبد العزيز (٢٠٠٩). العقل والقلب في الطب والقرآن والسنة، الخرطوم: دار السداد للطباعة.
١٤. ميقاتي، محمد ومحمد معصراني، وعبد الله الدندشي (٢٠٠٧). القطوف من لغة القرآن، بيروت: مكتبة لبنان.

15. American Psychological Association (2016). Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders. 5th Ed. <https://dsm.psychiatryonline.org/pb-assets/dsm/update/DSM5Update2016.pdf>
16. Davey, Graham (2014). Psychopathology, 2nd Ed. United Kingdom, West Sussex: Published by British Psychological Association and John & Wiley.
17. Kazdin, Alan, E. (2000). Encyclopedia of Psychology. New York: Oxford University Press.
18. McInerney, Dennis & McInerney, Valentina (2002). Educational Psychology: Constructing Learning. 3rd Ed. Australia: Person Education.

19. Ormrod, Jeanne Ellis (2012). Human Learning. 6th Ed. Published by Pearson Education.
20. Sarafino, Edward (2002). Health Psychology. 4th Ed. New York: John Wiley & Sons, INC.
21. Shiota, Michelle N. & Kalat, James (2012). Emotion, 2nd , Belmont, CA: Wadsworth Cengage Learning.
22. Woolfolk, Anita & Margetts, Kay (2013). Educational Psychology. Third Ed. Australia: Person Education.
23. L-Petri, Herbert & Govern, John(2013). Motivation: Theory, Ressearch and Application, , Belmont, CA: Wadsworth Cengage Learning.

القومية المصرية في شعر أحمد شوقي «دراسة أدبية نقدية»

د. محمد عبد القادر الأمين حمد النيل

ملخص

القومية هي ذلك الاتجاه الذي يستهدف تعميق الإحساس لدى أبناء أمة من حيث الانتماء والوعي وقد وجدت في شعر شوقي واضحة كالشمس في راد ضحاها. هدفت الدراسة إلى إبراز أبعاد القومية المصرية في شعر شوقي، دراسة الملمات التي حلت بشوقي والشعب المصري مما دفعه لتسخير شعره عما تجيش به عواطفه تجاه وطنه وأبنائه. اتبعت الدراسة المهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: برع شوقي في تصوير الواقع في مصر ومعاناة الشعب وسخر شعره الرصين لبعث القومية المصرية في وجدان أهله. عاصر شوقي أحداث وطنية كثيرة تأثر بها وأثرت عليه مما انعكس جلياً في ثنايا شعره القومي. في شعره تصد للاستعمار الذي تكالب على الدول العربية عموماً وعلى مصر على وجه الخصوص وكان لشوقي سهم ربيح في كنانة الذود عن حياض الوطن. صور بشعره أحداث معاناة الشعب المصري وفي هذا تأكيد واضح لدور الشاعر القومي الذي يحمل بين جنبيه فؤاد رجل عظيم يهتم بجلائل الأعمال. بعد شوقي عن وطنه في منفاه زاد من تعلقه واشتياقه لمسقط رأسه ودار خلانه فربة الشعر جاءت طائفة مختارة في تيه ألمدل وإدلال الفاتنات ليبر بلغة رصينة ومشاعر جياشة عن حبه لوطنه ومن بعد ذلك يكون قد رسخ قيمة عليا للشعر لا يشأها إلا كل خبير طب حاذق للغة. إن شعر شوقي القومي فيه صدق العاطفة وجمال التصوير وحسن السبك. توصي الدراسة بالبحث الدقيق عن دور الشعر في بعث الشعور القومي تجاه الأوطان للتأكد الحقيقة الراسخة للعلاقة المتينة الموثقة بين أي شاعر والمجتمع الذي يعيش فيه.

• أستاذ الأدب والنقد المشارك، جامعة البطانة، كلية التربية رفاعة، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

Abstract

Nationalism is the dimension that aiming at deepening the sensibility to the people in terms of affiliation and awareness which is found in Shawqi's Poetry as clear as the sun at sunup. The study aimed at raising the dimension of Egyptian Nationalism in Ahmed Shawqi's Poetry and studying the calamities suffered by Shawqi and Egyptian people and that encouraged him to exploit his poems for his emotions at his country and its people. Descriptive analytical method has been followed and a number of results have achieved, some of them are as follows: Shawqi has excelled in depicting Egyptian reality and Egyptians' suffering so that he exploits his sober poetry to raise nationalism in their sentimentality, he lived with many patriotic events which influenced on him and then reflected it in his national poetry, there is resistance in his poetry against colonization who aggressed towards Arab countries, specially, Egypt and Shawqi has played a profitable role in defending his homeland, he portrayed the events of Egyptian suffering which is an indicator of great man who concerns with great works, his exile made him more hankered for home country which made him more sentimental and his poetry more sober, in such a way, he could have established high value to the poetry, and his national poetry shows sincere emotions, aesthetic portrayal and good formulation. The study recommends accurate investigation into the role of poetry in evocating national feelings towards the countries for making sure of established reality that there is reliable relationship between poets and the societies in which they live.

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد.

فإن الشعر يعبر عما تختلج به النفوس تعبيراً صادقاً ويصور حياة المجتمع تصويراً دقيقاً، ومن مهمات الشعر الجسام أن يعبر الشاعر عن واقع مجتمعه ويصعد به نحو آفاقٍ أرحب في مجال القيم والأخلاق والارتباط الوثيق بالأوطان واذكاء نار القوميات وهذا ما ذهب إليه أحمد شوقي في ثنايا شعره الذي عبر فيه عن انتمائه القومي إلى وطنه.

أهداف البحث:

- ١- إظهار معنى القومية والشعر القومي.
- ٢- توضيح مواطن القومية المختلفة في شعر أحمد شوقي.
- ٣- معرفة الأسباب التي أدت إلى إشعال نار القومية في شعر شوقي.
- ٤- دراسة وتحليل بعض النصوص الشعرية لشوقي المصورة لأبعاد قوميته المصرية.

منهج البحث:

سلك البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبعه لأبعاد القومية

المصرية في شعر شوقي

مفهوم القومية والأدب القومي: القومية لغةً:

وردت كلمة القومية في المعاجم العربية حاملة معان كثيرة منها: "القومية من لفظ "القوم" وتعني الإقامة بالمكان، وجمعها أقوام وأقائم وأقوام، وتعني الجماعة من الناس. وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته^(١).
القومية اصطلاحاً:

في الاصطلاح، القومية: "هي ذلك المذهب الذي يبحث في الصفات الأساسية التي تميّز الأمم بعضها عن بعض"^(٢). تعرّف أيضاً: "هي الشخصية الجماعية لأية أمة، أو هي الواقع التاريخي واللغوي والثقافي الذي يحوي نتاج ومعطيات جميع التجارب الإنسانية التي خاضتها الجماعة البشرية منذ نشأتها إلى أن تبلورت شخصيتها تبلوراً واضحاً مميزاً قام على تفاعل عدة روابط مشتركة خاصة بهذه الأمة"^(٣).

يعرّفها الإيطالي مانشيني بأنها: "مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه ببعض بوحدة الأرض والأصل، والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي"^(٤).

يعرفها جورج حنا بأنها: "عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة، وجغرافية مشتركة، وتاريخ مشترك، ومصير مشترك، ومصصلحة اقتصادية

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٥٥٦-٥٥٧. لسان العرب لابن منظور، ت: عبدالله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، مادة القوم، دار المعارف، القاهرة، مصر "بدون سنة الطبعة"، ج ٥ ص ٣٧٨٦-٣٧٨٧.

(٢) الفكر السياسي للحصري: د. أحمد الرجي، ط ١، م. الأهالي، دمشق، سوريا، ١٩٩٧، ص ٨.

(٣) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧: د. ماجد أحمد السامرائي، ص ١٣.

(٤) ماهي القومية: ساطع الحصري، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٣، ص ٤٠.

مادية مشتركة، وثقافة نفسية مشتركة، وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة"^(١).

الهوية القومية:

هي: "معرفة المواطن بأولويات انتمائه، أو بمعنى مبسط "من هو" من حيث الانتماء الجمعي، وما يترتب على ذلك من أولويات الانتماء والإحساس بالتكامل مع الشركاء والتمايز عن الغير"^(٢).

الاتجاه القومي:

هو ذلك الاتجاه الذي يستهدف تعميق الإحساس لدى أبناء أمة من حيث الانتماء والوعي بمفهوم القومية ومقوماتها، وتحريك هؤلاء بالعاطفة والوعي معاً لترجمته في سلوك وممارسات أبناء أمة بحيث يصبح الهدف القومي هدفاً أساسياً^(٣).

الأدب القومي:

هو التمسك بالموضوعات التي تهتم كل أبناء الأمة الواحدة، والتحمس لها من حيث الاتجاه نحو الدفاع عن القضايا الوطنية، وإبراز ما يحث القراء على التمسك بقيمهم في مواجهة خطر حقيقي أو متصور^(٤).

يمكن القول بأن القومية بكل بساطة هي شعور بانتماء الفرد إلى قوم معينين تربطهم أواصر معينة تكون موحدة تقريباً، والأمة هي مجموعة أقوام، أي نفس الجماعة تكون بشكل أكبر.

(١) معنى القومية العربية: د. جورج حنا، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٥٧، ص ٣٠.

(٢) السلام وأزمة الهوية في مصر: فاروق يوسف أحمد، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٥.

(٣) الاتجاه القومي في الرواية: د. مصطفى عبد الغني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب "١٨٨"، الكويت، ١٩٩٤، ص ١٥.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، ط ٢، مكتبة لبنان بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص ٣٠٠.

رأت الدراسة إن الأدب القومي أدب قوم بعينهم كُتب بلغة رسمية متداولة بين مجموعة من البشر تربطهم صلات عدة. أي أدب يعالج مسائل محصورة ضمن نطاق قومي. إن الشعور القومي ظاهرة طبيعية ملازمة للإنسان، ولكنها تظهر أو تختفي حسب طبيعة العصر، فعندما يحس قوم بالاضطهاد والحرمان، تتجلى ظاهرة القومية وتظهر أنيابها في الواقع. مهما سكن الإنسان القصور؛ فإن ذلك لن ينسيه وطنه الذي عاش فيه آباؤه وأجداده، فإن صورة الوطن المحمول في القلب ينسج حوله الشاعر شعره^(١).

نشأة فكرة القومية في مصر:

كانت السنوات التي قضاها نابليون في مصر "١٧٩٨م - ١٨٠٥م"، سنوات جهاد وصراع بين الشعب المصري والمستعمرين، وكانت لهذه المقاومة أثر كبير في الشعور القومي عند المصريين. وهذا الشعور القومي جعل من إبراهيم باشا أن يدعو إلى فصل الأقطار العربية عن الدولة العثمانية وتأسيس مملكة عربية، وأخذ هذا الشعور يجد صداه في الأدب وعند الأدباء^(٢).

كان الاحتلال الأوربي للأراضي العربية بمثابة صدمة فكرية واجتماعية هزّت حالة الضعف في مجتمع مصر في تلك الفترة، فالفرنسيون لم يبقوا كثيراً في مصر، ولكنهم تركوا نشاطاً ثقافياً ملحوظاً، وهذا النشاط ظهر خلال فترة محمد علي باشا "١٨٠٥م - ١٨٤٩م" التي تلت تلك الفترة، فأُسست مطبعة بولاق ١٨٨٢م، وإصدار الوقائع المصرية ١٨٢٨م الجريدة الرسمية، وكذلك إرسال إحدى عشرة بعثة علمية إلى أوروبا بين عامي ١٨٢٦ - ١٨٤٧م، وتأسيس

(١) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نسخة حزيران ١٩٦٧: ماجد أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة - توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات "٣٤٤"، ١٩٨٣، ص ١٣.

(٢) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: د. عمر الدقاق، ط ٤، دار الشرق العربي سارح سوريا، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص ١٨-١٩.

عدد من معاهد التعليم، كان أشهرها مدرسة الألسن التي أسسها محمد محمد علي في سنة ١٨٣٦ م وأصبح مديرها رفاة الطهطاوي. ثم بدأت فترة ترجمة نشطة في عهدي محمد علي وإسماعيل ١٨٦٣ م - ١٨٧٩ م، حيث ترجمت مئات الكتب عن اللغات الأجنبية المختلفة، وبفضل مطبعة بولاق^(١).

تبلور الوعي القومي في مصر في عهد محمد علي باشا بعد أن حولها لأطماعه التوسعية، وأصبحت أكثر نضوجاً فترة الاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢ م، وهزيمة أحمد عرابي ومع ثورة ١٩١٩ م، ثم بعد أن عاش فترة سكون وتردد يشهد تطوراً ملحوظاً في الثلاثينيات^(٢).

ظهرت ثمار هذه النهضة في المجال الأدبي في حدود آخر عقدين من ذلك القرن بفضل رفاة الطهطاوي حيث كان معلماً ومرشداً لهذا الجيل من المترجمين، واهتم محمد علي بالعلم والفن التطبيقي ولكنه لم يهتم بالشعراء، لأنه كان تركياً في ثياب مصرية، فقتل الروح القومية الناشئة، من أجل ذلك لم يتحرر الشعب المصري بشكل كامل، بل أصبحوا أدوات تستغل لضرائب ورغبات محمد علي باشا^(٣).

يتفق المؤرخون والدارسون على أن رفاة الطهطاوي "١٨٠١ م ١٨٧٣ م" هو أول شخصية مصرية اهتمت بمفهوم الوطن، بل يعده محمد عمارة "أبو الفكر الوطني"، ويعد أحد ثلاثة مفكرين مصريين اهتموا بهذا المجال، ويشاطره في ذلك علي مبارك، وحسين المرصفي، حسب رأي أنيس صائغ صاحب كتاب

(١) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ت: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧ م، ص ٣٤.

(٢) الاتجاه القومي في الرواية، مصطفى عبد الغني، ص ١٦.

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ط ٥، دار المعارف بمصر، مصر "بدون سنة الطبعة"، ص ٣٩.

الفكرة القومية^(١).

كانت للثورة العربية^(٢) ١٨٨١م-١٨٨٢م التي هي بداية الوعي السياسي المصري، الفضل في ظهور نهضة شعرية قومية بعد الركود والفتور التي أصابها، فأبرزت البارودي ثم شوقي وحافظ وخليل مطران وغيرهم^(٣). ظهرت في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فكرة البحث عن الذات والهوية، وقد كشفت عن ذاتها في حركة الإصلاح الديني على يد محمد عبده، والإصلاح الاجتماعي على يد قاسم أمين، والهدف كان تحرير الذات على المستويين الديني والاجتماعي ثم انعكست ذاتها في الإطار السياسي في دعوة لطفي السيد: مصر للمصريين، ويمثل أحمد شوقي شاعر هذه الحقبة التي ظهرت فيها أنياب القومية^(٤).

يقول ساطع الحصري: "وأخذ الشعور بالعروبة في مصر يغمر نفوس المصريين شيئاً فشيئاً، حتى اشتد خلال الحرب العالمية الثانية، وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية وعند بدء الحركات السياسية والحربية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية. ولكن الإخفاق الذي منيت به هذه الحركات أثر في هذا التيار الفكري تأثيراً سيئاً وعرض فكرة العروبة لنكسة أليمة جداً"^(٥).

(١) محمد حسين هيكال والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢م: نجاح طلعت عطية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٥.

(٢) الثورة العربية: حركة وطنية ظهرت في عهد الحديوي توفيق، قادها أحمد عرابي "١٨٣٩م-١٩١١م"، نادي بإعادة الحياة النيابية وبإنصاف الضباط الوطنيين المصريين وحقوقهم المشروعة من أيدي ضباط الترك والشراكسة، ثم تطورت إلى حركة عامة (الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر: إلياس بيطار، رسالة ماجستير، الجامعة اليسوعية في بيروت، لبنان، ١٩٧٦م، ص ١٩).

(٣) الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر، إلياس بيطار، ص ١٧.

(٤) الشعر في إطار العصر الشوري، عز الدين إسماعيل، ط ١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ص ٤٥.

(٥) مصر العروبة: عباس خضر، مجلة الرسالة، العدد ٨٨٢، الأدب والفن في أسبوع، نشر بتاريخ ٢٩-٥-١٩٥٠م.

حياة الشاعر أحمد شوقي: ولادته وأصوله:

هو أحمد شوقي بك بن علي بن أحمد شوقي بك، ولد بباب إسماعيل بالقاهرة في أكتوبر سنة ١٨٦٨ م، وليس هذا التاريخ مؤكداً إذ أن شهادة الليسانس التي نالها من جامعة باريس أثبت انه ولد في أكتوبر سنة ١٨٧٠ م. قد حدث عن نفسه في مقدمة الشوقيات حيث قال: "سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب، ويقول: "إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاية من أحمد باشا الجزائر إلى والي مصر محمد علي باشا فأدخله الوالي في معيته، ثم تداولت الأيام، وتعاقب الولاة الفخام. وهو يتقلد المراتب العالية، ويتقلب في المناصب السامية، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً عاماً للجمارك المصرية"، وكان أحمد هذا عربياً كردياً. إذن جد أحمد شوقي كان من المهاجرين الأكراد إلى مصر حيث تزوج من فتاة شركسية رزق منها بابنه "علي شوقي" ثم مات الأب مخلفاً ثروة كبيرة، وعندما كبر علي شوقي تزوج من فتاة تركية مهاجرة، وكان اسم أبوها "أحمد حلیم" وهو من الأناضول بتركيا، والذي كانت زوجته يونانية الأصل. ولهذا فأحمد شوقي من أسرة مصرية تجتمع فيها أصول: عربية وكردية وتركية ويونانية وشركسية^(١).

نشأته:

حصل شوقي على ثروة كبيرة من أبيه، ولكنه بددها في سكرة شبابه، ويتحدث الشاعر عن ولادته، فيقول حدثني سيد ندماء العصر المرحوم الشيخ علي الليثي فيقول: "لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد، فقصص عليّ حلماً

(١) وطنية شوقي، . أحمد محمد الحوفي، ص ١٢٧-١٢٨.

رآه في نومه فقلت له وأنا أمازحه: ليولدن ذلك ولد يخرق - كما تقول العامة - خرقاً في الإسلام". ثم يقول الشاعر فزرت الشيخ في مرض الموت وكان بيده نسخة من جريدة الأهرام وقال لي: هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقي، فقلت: وما تلك يا مولاي؟ قال قصيدتك التي تقول في مطلعها^(١):

حَفَّ كَأْسَهَا الْحَبُّ فَهِيَ فَضَّةٌ ذَهَبٌ
أَوْ دَوَائِرٌ دُرٌّ مَائِجٌ بِهَا لَبُّ

هاهي ذي في يدي أقرؤها، فاستعدت بالله. وقلت له: "الحمد لله الذي جعل هذه هي الخرق ولم يضرّ بي الإسلام فتيلًا"^(٢).

أخذته جدته الأم "تمراز" اليونانية وكفلت بتربيته حيث كانت في يسر ونعمة وعلى صلة وطيدة بالقصر عكس أبيه الذي أتلف ما ورثه من أبيه، فكفلته لوالده، وأصبحت مشغوفة به تقوم على تربيته^(٣).

يقول أحمد شوقي وهو يتحدث عن نفسه، أن جدته أدخلته يوماً على الخديوي إسماعيل وهو ابن الثالثة، ويقول: "وكان بصري لا ينزل من السماء من اختلاط أعصابه فطلب الخديوي بكرة من الذهب ثم نشرها على البساط عند قدميه، فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه والعب به، فقال لجدتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي، قال: جيئي به إلي متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر"^(٤).

(١) مقدمة الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٤٣-٤٤.

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص ١٠.

(٤) الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٤٤.

تحصيله الدراسي:

دخل أحمد شوقي في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من عمره سنة ١٨٧٣ م ثم في مدرسة "المبتديان" فإلى "التجهيزية"، وكان متفوقاً في دراسته الثانوية، فمنح المجانية مكافأة له، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة، ثم أخذ في تعليمه الطريق المدني، ثم درس سنتين في مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥ م بالرغم من صغر سنه غير المؤهل للدراسة، وبعد أن أنشأت الحكومة مدرسة الحقوق قسم للترجمة، دخل فيها سنتين آخرين ثم منح بنظارة المعارف الشهادة النهائية في قسم الترجمة، وكان يتقن اللغة الفرنسية والتركية، وله إلمام باللغة الإسبانية^(١).

في فترة الدراسة التي قضاها في مدرسة الحقوق، طالع ما وقعت يده من كتب الأدب والشعر، منها دواوين البحري وابن الرومي وأبي نواس والمتنبي والمعري وبهاء الدين، وطالع أيضاً من شعر "هوغو وموسي"، وقرأ من المؤلفات الثرية لابن خلدون "المقدمة" و"الكامل" للمبرد^(٢).

كان الشيخ محمد البسيوني من علماء الأزهر يدرسه فنون البلاغة، ورأى في شوقي بواكير العبقرية، حتى أنه كان يعرض قصائده على شوقي قبل نشرها في جريدة الوقائع، وكان شوقي يحو ويضيف ويصحح ويعدل من شعره. وكان الشيخ البسيوني قد تحدث عن النبوغ الباكر لشوقي إلى صاحب العرش، فكانت هذه الشهادة طريق الوصول إلى القصر^(٣).

(١) ثقافة التلاقي في أدب شوقي، ص ١٠.

(٢) في رحاب شوقي، ص ٨.

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ص ١٣.

شوقي في القصر:

كان شوقي يمدح الخديوي توفيق وهو طالب، فقد نسج على منوال أستاذه البسيوني في التقرب إلى الخديوي، وأتاح له علي باشا مبارك فرصة لقاء الخديوي توفيق، فقال له الخديوي: "قرأت يا شوقي في الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية، وكنت انتظر ذلك لألحقتك بمعيتي، لكن ليس بها الآن محل خال، فهل لك في الانتظار حتى يهبى الله لك الخير". أخبرني بأنه سيدخل أبي في عمل ما قبلي، وانتظرت بضعة شهور حتى عين أبي - وكان مبدراً - مفتشاً في الخاصة الخديوية، ثم عينت بعده مترجماً بديوان الخديوي (١).

الرحلة إلى فرنسا:

لم يقض حَوْل على تعيينه حتى بعثه الخديوي على نفقته إلى فرنسا سنة ١٨٨٧ م، ليدرس القانون والآداب الفرنسية في أربعة أعوام، في مونبيليه عامين دخل مدرسة الحقوق، ثم قضى عطلة في إنجلترا بأمر من الخديوي مع الطلبة بعد انتهاء الدراسة في مونبيليه.

في السنة الثالثة في باريس أصيب بمرض شديد جعله بين الحياة والموت، ولما تماثل الشفاء أشار الأطباء بقضاء عطلة في أفريقيا، فاخترت الجزائر، ومكث فيها أربعين يوماً، ثم عاد إلى باريس ليستأنف دراسته فيها، وحصل على إجازته النهائية في آخر السنة الثالثة، ثم قضى ستة شهور بعدها، وعاد إلى الوطن عام ١٨٩٣ م (٢).

كانت رحلة شوقي إلى فرنسا نعمة عليه، فقد أخرجته من سجنه وملأت عينيه بمفاتن الحضارة في فرنسا وإنجلترا والتعرف على آدابهما، وانطلقت به إلى

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص ١٤.

(٢) وطنية شوقي، الحوفي، ص ١٢٩.

مسارح فرنسا، وقد قرأ الصحف والكتب القانونية والأدبية، وقرأ لشعراء كبار أمثال هوغو ولامرتين ودي موسيه وغيرهم، والتقى بالأمير شكيب أرسلان وتمنى له أن يكون له مجموعة شعرية، وإذا ظهرت أن أسميها "الشوقيات"، ولكنه لم يستطع أن يخرج عن القيود التي قيد بها نفسه في مصر من مدح للخديوي، بل استمر بإرسال قصائد المدح للخديوي إلى مصر^(١).

بعد عودته إلى الوطن - وكان قد توفي الخديوي توفيق -، عين في قلم الترجمة بالقصر وعاش في القاهرة في منزل أبيه بالحنفي، ثم انتقل إلى المطرية "كرمة ابن هانيء" ليكون قريباً من القصر^(٢).

شوقي في زمن الخديوي عباس الثاني:

توفي الخديوي توفيق سنة ١٨٩١ م، فتولى ابنه عباس الثاني زمام الحكم، فلم يهتم بشوقي لاعتقاده أن شوقي شاعر فقط وأنه بحاجة إلى سياسي، إلى أن أقنع أصدقاء الخديوي عباس الثاني "بطرس غالي وبشارة تقلا ومصطفى كامل"، بأن شوقي رجل سياسة أيضاً، وطلب بطرس غالي توظيفه في الخارجية، وتأييداً لذلك وضع في مكانة من الأدب وإمارة الشعر، إلى أن أصبح من المقربين للخديوي وناط به مهاماً كثيرة، وقدمه على جميع رجاله. عاش شوقي من سنة ١٨٩٢ م إلى سنة ١٩١٤ م حبيس المدائح بالخديوي عباس ولم يتغير وجه شعره، حيث كان بعيداً عن الشعب^(٣).

قد تزوج شوقي من خديجة شاهين فحملت معها ثروة كبيرة من أبيها، ورزق بابنة سماها أمينة وصبيين علي وحسين^(٤).

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص ١٥.

(٢) في رحاب شوقي، ص ١٠.

(٣) شعراء الوطنية في مصر "تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم": عبدالرحمن الراجعي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٢ م، ص ٤٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط ١٢، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م، ص ٩٧٣.

في المنفى:

نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م بين دول الحلفاء ودول المحور، واستنكر الإنجليز وقوف الإمبراطورية العثمانية إلى جانب دول المحور، فخلعوا الخديوي عباس التابع للعثمانيين وكان الخديوي في تركيا، فمنعوه من العودة، وأقامت مكانه حسين كامل، وبدأوا بإتباع الخديوي وفي مقدمتهم أحمد شوقي، فتابعوا حركاته وخطواته، وعوقب شاعر الخديوي بالنفي، فاخترت برشلونة مقاماً له، ف قضى نحو خمس سنوات فيها.

هذه الأحداث مكنت من شوقي وشاعريته الخروج من المعتقل الذي حبس فيه، القصر وصاحب القصر، فانتقل إلى عالم النور حيث الخروج من قيود القصر، وإن استقبلها بالحزن والألم والفراق وقلة المال، ولكن كان شوقي محتاجاً لهذا الحزن والفراق. فقد أحس بالحياة من طرفيها: الحزن والفرح^(١). قام برحلة زار فيها بلاد الأندلس، حيث اغتتم فرصة إعلان الهدنة في سنة ١٩١٨م، فطاف فيها زائراً آثار العرب، وفي أثناء نفيه كتب أندلسياته معارضاً البحري والشريف الرضي وموشحات شعراء الأندلس^(٢).

الرجوع إلى مصر:

عاد شوقي إلى مصر في أوائل سنة ١٩٢٠م واستقبل استقبالاً حافلاً، وبدأت الدورة الثانية في حياته الأدبية، بعد رجوعه من المنفى "إسبانيا"، فلم يعد يفكر في القصر، فأصبح حراً طليقاً، فخلص لفنه وشعبه، ومؤهلاً ليكون أميراً في الشعر.

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣١-٣٢.

(٢) أعلام الشعر العربي الحديث "أحمد شوقي: محمد مندور": قدم له: إيليا الخاوي، ط ١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٣٦.

عاد إلى مصر في أعقاب الثورة على المحتلين، وشهد استقلال مصر سنة ١٩٢٢م، فيطرب لها، ثم يحزن لإلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، وينخرط بكل جوارحه في هموم شعبه، ومصير أمته. وزاره طاغور شاعر الهند الكبير سنة ١٩٢٦م، واختير عضواً في مجلس الشيوخ.

في سنة ١٩٢٧م، نظم بالقاهرة أسبوعاً للاحتفاء بشوقي، اتخذ صبغة قومية، حيث اشتركت فيه الدول العربية جميعاً بمندوبين، وحضور شعراء كبار بويج فيها أميراً للشعراء. وبين سنة التتويج ووفاته، كانت فترة مراجعة - دون انقطاع - والعودة إلى المسرح الشعري^(١).

وفاته:

أصيب شوقي بتصلب في شرايينه لإسرافه في شرب الكحول، واضطر إلى ملازمة الفراش حتى وافاه الأجل، وفي الساعة الثانية صباحاً من يوم ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م، جاء الذي ملأ قلبه رعباً، جاءته المنية، بالتحديد (منتصف الساعة الرابعة صباحاً) في ليلة ١٤ أكتوبر "تشرين الأول" سنة ١٩٣٢م، يقول ابنه حسين شوقي عن آخر أيامه: "إن أباه قد زار الأستاذ توفيق دياب وكان يحبه كثيراً ويرتاح إلى مداعباته، وقد توفي في الساعة الثانية صباحاً، حيث أيقظني الخادم بقوله أن أباه تعبان ويطلبه، فأسرعت إلى حجرته فوجدت أمي بجانبه قلقة تناديه وهو لا يجيب، فعلمت أنه قد فاضت روحه إلى بارئها^(٢)، وما انتصفت الساعة الخامسة من اليوم نفسه حتى اكتظ ميدان التحرير برجال الأدب والصحافة وطلاب العلم، وبهذه النهاية طوت صفحة أمير الشعراء

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر: د. شوقي ضيف، ط ١٠، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢م، ص ١١٢-١١٣.

(٢) الأيام الأخيرة في حياة هؤلاء: حنفي المحلاوي، (اقرأ) سلسلة ثقافية شهرية، العدد ٧٦٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م، ص ٢٩.

جسدياً، وبقي في قلوب الجميع خالداً وسيظل خالداً عبر الأجيال القادمة.
وتوفي الشاعر بالقاهرة مخلفاً وراءه ما يزيد عن ٢٥٥٠٠ بيت شعري^(١).

أبعاد القومية المصرية في شعر شوقي:
أولاً: الغربة والحنين في شعره:

الغرباء فئة قليلة من الناس يعيشون بعيداً عن أوطانهم، وهي حالة لا يحسد صاحبها عليه، ولشدته على النفس جمع الله بين قتل النفس والخروج من الوطن في آية واحدة فقال: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ [النساء: ٦٦].

الحنين إلى الوطن عاطفة إنسانية أصيلة، وكل من عانى الغربة، غربة الأهل والوطن شعر بالحنين والشوق إليهما، قد عرف شوقي الغربة عن مصر مرتين^(٢):

كانت رحلته التعليمية إلى فرنسا بتوجيه من الخديوي توفيق، حيث قضى أربع سنوات فيها، ولم يكشف عن حنينه وشوقه للوطن، وإن تآقت نفسه وحنّت إلى الأهل لأن الشاعر كان في مرحلة شبابه وتحت سيطرة الوصاية الخديوية.

فترة المنفى التي قاربت الخمس سنوات، ولكن هذه الغربة جاءت بعد نفي من سلطة الاحتلال، ولهذا نجد في هذه المرحلة الكثير من الأشعار عن الحنين.

(١) ذكرى الشعارين، شاعر النيل وأمير الشعراء (دراسات - مرثي - مقارنات): جمعها ورتبها: أحمد عبيد، ط ١، القسم الثاني،

المكتبة العربية في دمشق، بدون تاريخ الطبع، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

(٢) عناصر الحنين إلى الوطن (دراسة مقارنة بين المعري وشوقي): د. ياسر عبدالحسيب رضوان، منتدى الألوكة، ص ٧، WWW.alukah.net

تعد فترة المنفى بالنسبة لشوقي مهمة جداً من الناحية الثقافية، لأن الشاعر وجد وقتاً للاطلاع على الأدب العربي وتاريخ الأندلس وأدبه، فضلاً عن علاقة متينة مع الشاعر ابن زيدون الأندلسي، وقبل هذه الفترة لم يكن يهتم الشعر الوجداني بل ركز على شعر المديح وشعرائه متأثراً بالشاعر المتنبي الذي عاش حياته في البلاط وبين الأمراء، كحال شوقي الذي كان يعيش في القصور الملكية، ولكن بعد المنفى تأثر بشعراء كبار كابن زيدون، وأحسّ شوقي بالغربة والحنين وفراق الوطن فجاء الشعر الوجداني ترجماناً لما آل إليه وضعه، فأحسّ بالوطن وشعبه المقهور، وبالتالي جاء شعر الغربة والحنين^(١).

كان حنين شوقي يتجه باتجاهين طريدين، اتجاه نحو مصر وطنه وحاضره ومستقبله، واتجاه آخر نحو مصر ماضيه وتاريخه وجذوره ولغته، وتمثل هذا الاتجاه في قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) الذي يعرض تاريخ مصر وأمجادها. وقد اتخذ شوقي عدة وسائل وعلامات لهذا الشوق متمثلاً بالبلبل أو نائح الطلح، وساري البرق، ومعطرة الوادي .

ظهرت وطنية شوقي بشكل بارز في العقدين الأخيرين من عمره أي ما بعد المنفى ورجوعه إلى الوطن، ولعل استدعاءه البواخر ومعرفة الوادي وشواطئ الإسكندرية والبلابل والعصافير دليل على ذلك وما يشير إلى مكانتهم من نفسه، وهو يصور حالة قلبه كلما رأى السفن تهيم بمغادرة الميناء، وهو يعاتب البحر صاحب الجود والكرم في القديم والحديث، ولكن لم يعد البحر بحراً، ولا السفن سفناً، ووصفهما بالبخل، لأنهما منعا الشاعر من العودة إلى الوطن.

(١) أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، مجلة العرب، عدد ١٢، ايلول عام ١٩٧٠م، ص ١٠٦٣.

يشبه الشاعر نفسه بأم موسى، عندما كان موسى عليه السلام طفلاً يخشى عليه من بطش فرعون، فألقي في اليم بأمر من الله ورعايته ثم أعاده الله لها، حتى إذا انتهت الفتنة عاد سالماً إلى أمه، وبين أن فؤاده أفرغ من فؤاد أم موسى^(١):

بِنَّا فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رَوْحِ يُرَاوِحُنَا مِنْ بَرِّ مِصْرَ وَرِيحَانِ يُغَادِينَا
كَأُمِّ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا وَيَاسِمِهِ ذَهَبَتْ فِي الْيَمِّ تُلْقِينَا
في حنينه لمصر، يقول^(٢):

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
اقترن النيل في الأدب الحديث بالوطنية المصرية، فالنيل في الشعر العربي الحديث يغضب ويثور ويريد ويرعد ويعد، كل هذا جاء على لسان الشعراء ومنهم شوقي، وعندما يغضب النيل فالملقصود به أن مصر غاضبة وثائرة وواعدة^(٣).

قد انفعَل شوقي لنهر النيل حينما قال^(٤):

وَكَأَنِّي أَرَى الْجَزِيرَةَ أَيَّكَ نَعَمْتَ طَيْرُهُ بِأَرْخَمِ جَرَسِ
هِيَ بَلْقَيْسُ فِي الْخَمَائِلِ صَرْحٌ مِنْ عُبَابٍ وَصَاحَتْ غَيْرُ نَكْسِ
حَسْبُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّيْلِ عِرْسًا قَبْلَهَا لَمْ يُجَنَّ يَوْمًا بَعْرِسِ

نهر النيل يعتمد عليه المصريون في الشرب والاستخدامات المنزلية، وهو مصدر للرزق في صيد الأسماك، ويجعله الشاعر ساعي البريد، ويناشده عن أخبار الأحبة وشمائلهم، وكل ما في النفس من حنين واشتياق، وهنا الشاعر

(١) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٤.

(٣) النيل في الأدب المصري: د. نعمات أحمد فؤاد، دار المعارف بالقاهرة، مصر، ١٩٦٢م، ص ٣١١.

(٤) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ٤٦.

يبدو تأثيره بالمدرسة الرومانسية واضحاً فيقول^(١):

اللَّهُ يَنْسَمَاتِ النِّيلِ فِي السَّحَرِ هَلْ عِنْدَكُنَّ عَنِ الْأَحْبَابِ مِنْ خَبِرٍ
عَرَفْتُكَ بَعْرَفٍ لَا أَكَيْفُهُ لَا فِي الْغَوَالِي وَلَا فِي النُّورِ وَالزَّهْرِ
مِنْ بَعْضِ مَا مَسَّحَ الْحُسْنَ الْوُجُوهُ بِهِ بَيْنَ الْجَبِينِ وَبَيْنَ الْفَرْقِ وَالشَّعْرِ
فَهَلْ عَلَقْتَنَّا أَثْنَاءَ السُّرَى أَرْجَاءً مِنَ الْغَدَائِرِ أَوْ طَيِّباً مِنَ الطُّرْرِ
هَجْتَنَّا لِي لَوْعَةً فِي الْقَلْبِ كَامِنَةً وَالْجُرْحُ إِن تَعْتَرِضُهُ نَسْمَةٌ يَثُرُ
لهذا فالشاعر يأخذه منظر البواخر وصفيرها، ويجعل من قلبه راهباً

قوي الإحساس بها، يقول شوقي^(٢):

مُسْتَطَارٌ إِذَا الْبَوَاخِرُ رَنَّتْ أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ
رَاهِبٌ فِي الضُّلُوعِ لِلسُّفْنِ فَطْنٌ كُلَّمَا ثُرْنَ شَاعِهِنَّ بِنَقَسِ
يَا ابْنَةَ الْيَمِّ مَا أَبُوكَ بَخِيلٌ مَا لَهُ مَوْلَعًا يَمْنَعُ وَحَبْسِ
إنه " قلب شوقي الحنان الذي يزداد في البعد وفاءً وفي الغربة ذكرى
وحنيناً، وهو بعد مستطار لاهف كلما هدرت البواخر، وتعالى ضجيجها
وعجيجها، أما مصر موطن الروح ومستودع الهوى فيطير شعاعاً ويتفجر حقداً
وغضباً على قسوة الذين قضوا بإبعاده عن وطنه وحبسوا عنه خيارته ومنعوه
الاستمتاع بأجوائه والعيش في ظلاله"^(٣).

الشاعر يشكر السفينة التي أقلته إلى مصر بعد عودته من المنفى،
ويخاطب تلك البلاد ويمدحها، ويذكر أعاديته الذين كادوا له، وظاهروا على

(١) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ١٢٢.

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ٤٥.

(٣) أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، ص ١٠٦٣.

إخراجه من وطنه ونفيه^(١)، فيقول^(٢):

شَكَرْتُ الْفُلْكَ يَوْمَ حَوَيْتِ رَحْلِي فَيَا لِمَفَارِقِ شَكَرَ الْغُرَابَا
فَأَنْتِ أَرَحْتَنِي مِنْ كُلِّ أَنْفٍ كَأَنْفِ الْمَيْتِ فِي النَّزَعِ انْتِصَابَا
وَمَنْظَرِ كُلِّ خَوَّانٍ يِرَانِي بِوَجْهِ كَالْبَغِيِّ رَمَى النِّقَابَا
وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانٌ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

يختم شوقي قصيدة النيل بأبيات انتظرها الناس وهو حب الوطن، فهو

المستقر الأمين للجميع^(٣):

مَّا يَحْمِلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرُخٌ سَنْطِيرُ عَنْهَا وَهِيَ عِنْدَكَ تُرْزِقُ
تَهْفُو إِلَيْهِمْ فِي التُّرَابِ قُلُوبُنَا وَتَكَادُ فِيهِ بَغِيرُ عِرْقٍ تَخْفُقُ
تُرْجَى لَهُمْ وَاللَّهُ جَلُّ جَلَالِهِ مِنَّا وَمِنْكَ بِهِمْ أَبْرُّ وَأَرْفُقُ

لولا إحساس شوقي الوطني لما برع في الأوصاف لفظاً ومعنى، ولم

يكن إحساس فرد يشعر بعظمة أمة ذات ملايين وهو فاقد الإحساس بها، (بل كان شعوره بعظمة بلده قد أوحى إليه أنه موكل بأن يملأ بالإشادة بتلك العظمة أذن الزمان وسمع الدهر، ليمشي مزدهياً به في كل مكان، تلك مرتبة في الشعور الوطني والاعتزاز بأمجاد بلده، قلما ترقى إليها إلا مشاعر زعماء الوطنية الذين تدفعهم عظمة بلدهم إلى أن يندفعوا في الارتقاء بهذا الوطن والدفاع عن حياضه والفناء من أجله إن دعا داعي الوطن)^(٤).

وطنية شوقي أدت إلى نفيه، حيث خاف المحتل من شعره في التآليب

عليهم، وتنفير الشعب منهم، فأميره مبعد عن ملكه، وشعب مقيد الحرية

(١) المتنبي وشوقي، عباس حسن، ط ١ ص ٣٣٥.

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٦٧.

(٣) الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٧٣.

(٤) أحمد شوقي الشاعر الإنسان، أحمد عبد الحميد، ص ٩٨.

مغتصب الحقوق، وفي الغربة لا ينس شوقي وطنه يحن إليه وإلى النيل، فيقول
نونيته المشهورة^(١):

يا نائحَ الطلح أشباهَ عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا نقصُّ علينا غيرَ أنَّ يداً قصَّت جناحك جالت في حواشينا
رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامرنا أخوا الغريب وظلاً غيرَ نادينا
كلُّ رمتِه النوى ريشَ الفراقِ لنا سهماً وسُلَّ عليكَ البينُ سكينا
إذا دعا الشوقُ لم نبرحْ بمُصْدعٍ منَ الجناحينِ عيٌّ لا يَلِينا
فإنَّ يكُ الجنسُ يا ابنَ الطلحِ فرّقنا إنَّ المصائبَ يجمعنَ المصابينا
فهذه إحدى مناجاته ينعي فيها الظلم الذي يتعرض له المرء بأبعاده
عن وطنه، وامتزاجه وجدانياً بالطائر النائح، هذا الطائر الذي يحن إلى وطنه
وإلى عشه، ويمرض الطائر بمرض الفراق، فينتقل من غصن إلى غصن في ثققل
وحزن، كذلك فإن شوقي أبعد عن وطنه، فهو يحن إليها يجرساقيه المأبين مواقع
الأندلس، بل الغريب يجد علاجاً لمرضه الجسماني، ولكن لا يجد العلاج النفسي
الذي يشفى به نفسه، إذ يشعر بالوحشة والحنين بالرغم من جمال الأندلس.
الشعر أول وسيلة يلجأ إليها العربي للتعبير عن مشاعره فرحاً أو حزناً،
والوطنية تظهر مشاعر الشوق والحنين للوطن، ومهما سكن الإنسان القصور،
فذلك لن ينسيه وطنه، فهذا شاعرنا قد قال كثيراً في حنين مصر.

ثانياً: الإحساس بمعاناة الشعب والوقوف إلى جانبهم:

الناس دائماً يبحثون في النص الأدبي عما يلامس محنهم ويشارك
في ألمهم، حيث أن النفس تطرب لمن يقول الحق دون خوف وبيوح بالأمها

(١) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ١٠٣.

والإحساس بمعاناتها، فينظر الشاعر إلى هذه المحن في ظل الاحتلال، فهناك شعب عاجز عن الحركة تحت وطأة الاستعمار، شعب مبتلى بالعبودية والتبعية، مفتقر إلى العلم الذي به تحيا الأمم.

يتضمن دور الشاعر في تنبيه الشعب إلى واقعه المر لإيقاظه من غفلته واستنهاض هممه، ولا بد للشاعر أن يمتلك موقفاً ايجابياً تجاه ما يعاصره من آلام وظلم واحتلال، وهذا الموقف يظهر في شعره عبر صيغ متعددة كالرفض والتحريض واستنهاض الهمم وإظهار العيوب.

بل يوجه الشاعر خطاباً قاسياً للشعوب العربية وذاكراً لهم حقيقة الاحتلال وعوده الكاذبة، وأن الحقوق تؤخذ ولا تعطى، ويكشف صورة المستعمر أمام أتباعه من أبناء الوطن بأنهم بائعوا الشعوب وإن دعوا في دساتيرهم الحرية للجميع.

يرى إن المحتل من يسيّر أمور البلاد، وما حكامنا إلا أدوات في أيديهم، وأن الشعب المقاوم يهلك بأيديهم ويجوع أن استسلم لهم، والشاعر له وعي بنتائج الرضوخ والعبودية، ولهذا يسهم عن طريق شعره الوطني في تأييد خط الجماهير الذي يواجه المستعمر.

أخذ شوقي يهتم بنهضة مصر العلمية وما تحويه من معاني الرقي والاستقلال والاكتفاء الذاتي، فألقى قصائد متنوعة دعا المصريين إلى النهضة والعمل والمساعدة في إصلاح ما تعرضت له مصر من فساد وتخلف في كافة المجالات، ولم ينس دور المرأة المصرية في هذه النهضة، بل طلب منها المشاركة مع الرجل، إذ يحق لها التعليم لأنها مربية الأجيال ومنشئة المواطنين الصالحين.

يقف الشاعر مع شعبه في محنته تحت ظل الاستعمار والوصاية، وهو يقود الجماهير للوصول إلى الأهداف المشروعة، ويعبر عن موقفه الراض لكل سلطة جائرة، ومصاحبة الطغاة تحت وصاية أجنبية، فهو يرى أن الدولة وضعت لخدمة المحتل وأعوانه، بينما تركت الشعب يعاني من مرارة العيش والاستعباد، ولا تمتلك الدولة حريتها إلا إذا امتلكت أسباب القوة للحفاظ على هيبتها وسيادتها. ولهذا ارتبط شوقي بالقضايا الوطنية، فیدعوها إلى الحرية والعدالة، ويسعى إلى القضاء على جذور الاستعمار وآثاره، فلا يترك طبقة إلا يناديها في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة.

يمكن القول أن الشاعر يطرح أما الجماهير سبيل الخلاص من الوضع السيء الذي تعيشه البلاد، وإلى إيمانه العميق بالعلم هادياً للأمم على طريق النهوض والتقدم والاستغناء عن المحتل والاستقلال الاقتصادي. من أسباب بقاء الأمة أن تظل قائمة حتى تسترد أرضها، ويدعو الشعب إلى المواجهة ومواصلة الصمود والصبر على الظروف القاسية كي يعود الأمل مرة أخرى.

يتضح من شعره أنه يركّز على توعية الشعب من خلال غرس روح الثورة فيه عن طريق طرح معاناته أمام عينيه وتنبئيه إلى واقعه المر، وأن الشعب يملك القدرة على تغيير هذا الواقع الأليم.

كان افتخار العرب بماضيهم قبل الحرب العالمية الأولى ديدن الشعراء، ولكن الانتصارات التي حققوها أثناء الحرب بمساعدة الحلفاء جعلت من مادة الفخر تربط الماضي بالحاضر، تربط منجزاتهم الماضية بالحاضر المشرق. فدعا الشعراء إلى بعث القومية في المشرق العربي وكذلك في مصر، واتجهت أنظار

العرب إلى الشريف حسين بن علي ملك الحجاز أملاً في أن يحافظ على الخلافة ويكلاً القومية العربية، وأن العرب كانوا يبحثون عن زعيم يجمع العرب تحت راية واحدة، وبدت القومية العربية تضم كل الشعوب العربية، رابعاً: الإشادة بالرموز الوطنية:

ما من أمة تخلو من بطل وطني أو قومي، يتجسد شخصيته أثناء الحروب وأيام السلم، ويتخذ صيغاً مختلفاً، والبطل القومي عند كل شعب فيها صفات أبطاله القوميين، ولكن يحاول أن يجعل الشعوب لها صفات محلية متمثلة في كل مواطن، والغرض من كل ذلك هو إثارة النخوة عند الشعب في مواجهة التحديات.

ظلت البطولة العربية والكوردية تبرز في معارك العرب والكورد مع المحتلين على مدار التاريخ، وفي العصر الحديث بدأت باحتلال فرنسا مصر بقيادة نابليون، فأخذت جذوة الشعور العربي تبدأ من جديد، واضطرت فرنسا إلى مغادرة مصر. وكذلك بدأ هذا التوجه عند الكورد بعد الاحتلال والاتفاقيات الظالمة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وفي هذه الأثناء برزت البطولة العربية والكوردية، وسعّر نار الكفاح أبطال كتبت مآثرهم من ذهب^(١).

مصطفى كامل^(٢) ١٨٧٣م - ١٩٠٨م:

من جوانب وقوفه مع شعبه الإشادة بقادته، فالشعب المصري الذي أحب مصطفى كامل "١٨٧٣م - ١٩٠٨م"، جعل من شوقي أيضاً أن يحبّه، بل يعد شوقي من أصدق أصدقاء مصطفى كامل وأكثرهم أعجاباً به، إذ أنه يعد من

(١) البطولة في الشعر العربي، ص ١١٠ و ١٠٩.

(٢) مصطفى كامل: مناضل ولد في القاهرة سنة ١٨٧٣م، حيث كان همّه أن يوقظ الوعي القومي عند المصريين، ويطلع العالم الأوربي على ظلم الاستعمار، وكانت وسائله الأعلام، أسس الحزب الوطني سنة ١٩٠٧م، توفي في سنة ١٩٠٨م. (الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص ٢٠٠).

أصدقاء الطفولة، فشارك شوقي مصطفى في جهاده وفي رثاءه .
فيقول في وطنيته، إذ يخاطبه في قصيدة "شاهد الحق"، وهي قصيدة
ملهبة للعاطفة الوطنية^(١):

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلمهم وناما؟
مهارُ الحق بغضنا إليهم شكيم القيصرية واللجما
لواؤك كان يسقيهم بجام وكان الشعرُ بين يديّ جما
من الوطنية استبقوا رحيقاً فضضنا عن معتقها الختما
غرسنا كرمها فزكا أصولاً بكل قرارةٍ وزكا مداما
يقول أيضاً^(٢):

بك الوطنية اعتدلتُ وكانت حديثاً من خرافةٍ أو مناما
بُنيتُ قضية الأوطان منها وصيرتَ الجلاء لها دعاما
كان شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الوطن، فلما وافاه الأجل تأثر
تأثراً عميقاً لرحيله فقال^(٣):

المشركان عليك ينتحبان قاصيهما في مآتمٍ والداني
يقول في رثائه^(٤):

قد كنتَ تهتف في الوري بقصائدي وتجلُّ فوق النيراتِ مكاني
ماذا دهاني يوم بنتَ فعنني فيك القريضُ وخانني إمكاني
قال شوقي في ذكرى مصطفى كامل الذي أظهر الغيرة على الوطن

(١) الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥.

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ١ ص ٢٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣ ص ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣ ص ١٧٠.

والعجب من احتلال أرضه^(١):

لم يميت من له أثر وحياء من السير
أدعه غائباً وأن بعدت غابة السفر
آب الفضل كلما آبت الشمس والقمر
رب نور متمم قد أثنانا من الحفر
إنما الميت من مشى ميت الخير والخير
من إذا عاش لم يفد وإذا مات لم يضر

فالفقيد له سيرة حافلة بالأمجاد، وأن الميت هو من يرحل ولا أثر له
في الحياة والفرق شاسع بينهما، لأن صاحب الأمجاد يبقى خالداً في قلوب
الناس.

يعده شوقي شهيد الوطن، وإن مصر بعد استشهاده سترتدي مجدداً
يتعالى على جميع البلدان، فيقول^(٢):

يا صَبَّ مصرَ ويا شهيد غرامها هذا ثرى مصر فم بأمان
أخلع على مصر شبابك عالياً والبس شباب الحور والولدان
سعد زغلول^(٣) "١٩١٩م - ١٩٢٧م":

عرض سعد زغلول قضية مصر على الحكومة البريطانية عقب انتهاء
الحرب العالمية الأولى، فرفضت الخارجية البريطانية هذا العرض، وبعد مناقشات
سياسية نفى زغلول إلى مالطة، وحدثت اضطرابات وثورات ومقاطعة للإنجليز

(١) الشوقيات الصحيحة، ج٣ ص٩٩.

(٢) المصدر السابق، ج٣ ص١٧٠.

(٣) سعد زغلول: ولد في إيبيانة وتخرج في الأزهر، واشترك في الثورة العربية وسجن شهوراً ثم أصبح قاضياً فمستشاراً، ثم تولى وزارة
المعارف، ومن ثم تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩١٩م، توفي في سنة ١٩٢٧م، وهو رائد الكفاح الوطني الذي شارك في ثورة شعبية
ضد الاحتلال مع كافة طبقات المجتمع. (الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص٢٠٠).

قادتها جماهير الشعب من كافة فئاته، ولم تخمد إلا بإعلان الاستقلال، ورجع زغلول إلى مصر، وأخذت مصر كامل صلاحياتها عام ١٩٣٦ م، ورافق شوقي هذه الأحداث وانشد فيها.

كانت صلة شوقي بسعد زغلول وثيقة، ثم شابها نوع من الجفوة، ومن ثم التقى الرجلان في سويسرا بمساع من الشيخ الجديلي، وكان اللقاء مؤثراً حيث تبادل بينهما ذكريات الماضي والعزيزة عليهما، والمعلوم أن كل من سعد وشوقي كانا معجبان بعضهما بعضاً^(١).

أشاد شوقي بكفاح سعد زغلول في قصيدة "سعد باشا زغلول"، فقال في رثائه^(٢):

تسكُّبُ الدمعُ على "سعد" دماً أمةً من صخرة الحق بناها
مَنْ لبانٍ هو في ينبوعها وإباء هو في صمِّ صفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كهاباً واستقى الإيمان بالحق فتاها
بذلتَ مالاً وأمناً ودماً وعلى قائدها ألقَت رجاها
حملته ذمة أوفى بها وابتلته بحقوق فقضاها

رفع زغلول شعار "مصر للمصريين"، ويرى المصريون أن سعد زغلول سبب النكسة لذا هجاه شوقي بقصيدة شهيرة.

يجسّد للشعب فاجعته بفقدانها زعيم الأمة وقائدها إلى الاستقلال والحرية، صوت فقدوه في المنابر النضالية ضد المستعمر^(٣):

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها

(١) أبو شوقي: الأستاذ: حسين شوقي، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٧م، ص ١٢٣.

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ٣ ص ١٨٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٣ ص ١٨٥.

أحمد عرابي " ١٨٨١م / ١٨٨٣م " :

الثورة العربية كانت انفجاراً للوعي الوطني، ومن ثمراته الأحياء الكلاسيكي في الشعر، حيث قام بهذا الأحياء البارودي، وشاركه بعدها أحمد شوقي وحافظ إبراهيم و خليل مطران.

تعدّ ثورة عرابي أول ثورة تخرّج من العنصر العسكري، وكانت تستمد الفكرة القومية قواها منالإسلام في هذه الفترة.

عاد عرابي من منفاه " سريلانكا " إلى مصر عام ١٩٠٣ م، فكثرت القول فيه بين مادح وقادح، وكان شوقي ممن حمل على عرابي حملات قاسية، حيث كان شاعر القصر، والثورة العربية كان خروجاً على سلطان القصر، وقد هاجم عرابي في قصائد ثلاثة، نشرت القصيدة الأولى في "المجلة المصرية" التي كان يترأسها خليل مطران بعنوان "عاد لها عرابي"، والقصيدة الثانية بعنوان "عرابي وماجني" نشرها في "اللواء"، والقصيدة الثالثة بعنوان "صوت العظام أو عرابي أمام قتلى التل الكبير" وهي معركة خسر فيها أمام الإنجليز عام ١٨٨٢ م، نشرها في "اللواء" أيضاً، بل تكرر هجومه على عرابي في ثنايا بعض قصائده أيضاً^(١).

رغم كل هذا الهجوم، ألا ان شوقي قد غير رأيه فيما بعد، فأشاد بالثورة العربية وقوتها، بثورة ١٩١٩ م في مجال الإشادة بالدستور، وأكد هذا الدستور صرحاً بنائه الأباء في الثورة العربية^(٢) :

بنيان آبائهم مشوا بسلاحهم وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائط ومن المشائق والسجون جدار

(١) وطنية شوقي، الحوفي، ص ٢٧٦ و ٢٧٥.

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ٢ ص ١٦٤.

محمد فريد^(١):

يرثي شوقي الشهيد الوطني محمد فريد الذي أفنى حياته وماله وديناه
في سبيل استقلال الوطن سنة ١٩٢٤ م، إذ يقول في شهيد الغربه^(٢):

فريدٌ، ضحايانا كثيرٌ؛ وإنما مجال الضحايا أنت فيه فريدٌ
فما خلف ما كابدت في الخلق غايةً ولا فوق ما قاسيت فيه مزيدٌ
تغربت عشرا؛ أنت فيهن بائس وأنت بأفاق البلاد شريدٌ
يقول^(٣):

ألا في سبيل الله والحق طارف من المال، لم تبخل به، وتليدٌ
وجودك بعد المال بالنفس صابراً إذا جزع المحضور، وهو وجودٌ
يشيد بالمرحوم أمين الرافعي في رثائه^(٤):

قد فقدنا به بقية رهط أيقظوا النيل وادياً ونزيلاً
حركوه وكان بالأمس كالكهف حُزونا وكالرقيم سهوياً
يا أُمي الحقوق أديتَ حتى لم تخن مصر في الحقوق فتيلاً
يقول^(٥):

تنشد الناس في (القضية) لنا كالحواري رتل الأنجيلا
ماضياً في الجهاد لم تتأخر تزن الصف أو تقيم الرعيلا

(١) محمد فريد: ولد بمدينة القاهرة يوم الاثنين ٢٠ كانون الثاني عام ١٨٦٨ م، دخل المدارس الحكومية واستمر في مواصلة تعليمه حتى حصل على شهادة الحقوق عام ١٨٨٧ م، ناضل ضد الإنجليز، وكانت اتجاهاته الفكرية تدور حول محور الوطنية والإسلامية، تولى زعامة الحزب الوطني بعد وفاة الزعيم مصطفى كامل عام ١٩٠٨ م، توفي يوم السبت ١٥ تشرين الثاني عام ١٩١٩ م. (محمد فريد بك المحامي ودوره في الحركة الوطنية المصرية: نصير خير الله التكريتي، مجلة التربية والعلم، العدد ١، المجلد ١٦، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٠٩ م، ص ٥٧ و ٥٩ و ٦٥).

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج ٤ ص ٦٣.

(٣) الشوقيات الصحيحة، ج ٤ ص ٦٣٣.

(٤) الشوقيات الصحيحة، ج ٣ ص ١٤٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٣ ص ١٤٧.

يمكن القول، أن شوقي أنشد في الثورة ورجالاتها بما يناسب الحدث،
فأنشد في مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد فريد وعمر المختار وغيرهم،
ولابد من مراعاة البيئة التي عاش فيها معظم حياته وقربه من البلاط، بعيداً عن
الشعب حتى منفاه .

خاتمة

الحمد لله بدأً وختماً والصلاة والسلام على النبي المجتبي المصطفى،
وعلى آله الطيبين الطاهرين، أما بعد ..

فإن من دعائم القومية المصرية في شعر شوقي غرس حب الوطن في
نفوس أهل قطره، وبعث روح الوطن في أبنائه وإثارة الغيرة القومية فيهم،
والإشادة بماضيهم المجيد، وتخليد قادة ورجال الوطن الذين قدموا تضحيات
كثيرة للبلد في مواجهة الاستعمار والتصدي لهم، ودحض خططهم وكشف
نواياهم السيئة، وقد استغلّ شوقي الكثير من المناسبات التي مرت به وبشعبه
لإيقاظ الشعور القومي وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. برع شوقي في تصوير الواقع في مصر ومعاناة الشعب وسخر شعره
الرصين لبعث القومية المصرية في وجدان أهله .
٢. عاصر شوقي أحداث وطنية كثيرة تأثر بها وأثرت عليه مما انعكس جلياً في
ثنايا شعره القومي .
٣. في شعره تصدّ للاستعمار الذي تكالب على الدول العربية عموماً وعلى
مصر على وجه الخصوص وكان لشوقي سهم ريح في كنانة الذود عن
حياض الوطن .
٤. صور بشعره أحداث معاناة الشعب المصري وفي هذا تأكيد واضح
لدور الشاعر القومي الذي يحمل بين جنبيه فؤاد رجل عظيم يهتم بجلائل
الأعمال .

٥. بعد شوقي عن وطنه في منفاه زاد من تعلقه واشتياقه لمسقط رأسه ودار
خلانه فربة الشعر جاءت طائعة مختارة في تيه المدل وإدلال الفاتنات ليعبر

بلغة رصينة ومشاعر جياشة عن حبه لوطنه ومن بعد ذلك يكون قد رسخ
قيمة عليا للشعر لا يشأها إلا كل خبير طب حاذق للغة.
٦. إن شعر شوقي القومي فيه صدق العاطفة وجمال التصوير وحسن
السبك.

توصي الدراسة بالبحث الدقيق عن دور الشعر في بعث الشعور
القومي تجاه الأوطان للتأكد الحقيقة الراسخة للعلاقة المتينة الموثقة بين أي شاعر
والمجتمع الذي يعيش فيه.

المصادر والمراجع

١. أبو شوقي: الأستاذ: حسين شوقي، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٧ م.
٢. الاتجاه القومي في الرواية: د. مصطفى عبد الغني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب "١٨٨"، الكويت، ١٩٩٤ م.
٣. الاتجاه القومي في الرواية، مصطفى عبد الغني.
٤. لاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: د. عمر الدقاق، ط٤، دار الشرق العربي سارع سوريا، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.
٥. الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ت: . عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧ م.
٦. الأدب العربي المعاصر في مصر: د. شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢ م.
٧. أعلام الشعر العربي الحديث "أحمد شوقي: محمد مندور": قدم له: إيليا الحاوي، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠ م.
٨. أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، مجلة العرب، عدد ١٢، ايلول عام ١٩٧٠ م.
٩. تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط١٢، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م.

١٠. التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧ م: . ماجد أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة- توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات "٣٤٤"، ١٩٨٣ م.
١١. الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر، إلياس بيطار.
١٢. ذكرى الشعارين، شاعر النيل وأمير الشعراء(دراسات- مرثي- مقارنات): جمعها ورتبها: أحمد عبيد، ط١، القسم الثاني، المكتبة العربية في دمشق، بدون تاريخ الطبع، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.
١٣. السلام وأزمة الهوية في مصر: فاروق يوسف أحمد، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢ م.
١٤. الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤ م.
١٥. شعراء الوطنية في مصر "تراجهمم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم": عبد الرحمن الرفاعي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٢ م.
١٦. عناصر الحنين إلى الوطن(دراسة مقارنة بين المعري وشوقي)، . ياسر عبد الحسيب رضوان،
١٧. الفكر السياسي للحصري: د. أحمد الرجبي، ط١، م. الأهالي، دمشق، سوريا، ١٩٩٧ م.

١٨. لسان العرب لابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، مادة القوم، دار المعارف، القاهرة، مصر "بدون سنة الطبعة".
١٩. ماهية القومية: ساطع الحصري، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٣ م.
٢٠. محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢ م: نجاح طلعت عطية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م.
٢١. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣ م.
- مصر العروبة: عباس خضر، مجلة الرسالة، العدد ٨٨٢، الأدب والفن في أسبوع، نشر بتاريخ ٢٩-٥-١٩٥٠ م.
٢٢. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، ط ٢، مكتبة لبنان ببيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
٢٣. معنى القومية العربية: د. جورج حنا، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٥٧ م.
٢٤. النيل في الأدب المصري، نعمات أحمد فؤاد، دار المعارف بالقاهرة، مصر، ١٩٦٢ م.

ملاحق

فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التعليمية بمدارس ومراكز التربية الخاصة «دراسة ميدانية محلية مدني الكبرى ، ولاية الجزيرة - ٢٠٢٠م»

أ. د. زينب محمد إبراهيم كساب • أ. فائقة خالد محمد عبد الله •

ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة، ومعرفة ما إذا كانت هناك فروق في تقدير أفراد العينة بفاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة تبعاً لمتغيرات الدراسة (نوع المدرسة، المؤهل العلمي). استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والاستبانة أداة للدراسة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: فاعلية الإشراف التربوي في تحسين الجانب المهني للمعلمين كان بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٦١٥.١) وانحراف معياري (٠.١١)، ظهرت فاعلية الإشراف التربوي في تحسين البيئة التعليمية بدرجة ضعيفة بمتوسط حسابي (٤١٧.١) وانحراف معياري (٠.٠٨٦)، وضوح، فاعلية الإشراف التربوي لتحسين المنهج الدراسي بمتوسط حسابي (٤٥٧.١) وانحراف معياري (٠.٠٧٩)، فاعلية الإشراف التربوي في تحسين الإدارة المدرسية كان بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٦٣٦.١) وانحراف معياري (٠.١٠٢) وهذا يعني أن المحصلة النهائية ضعف بدرجة عالية لفاعلية الإشراف التربوي بمدارس ومراكز التربية الخاصة، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بمدارس ومراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير نوع المدرسة، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مدارس ومراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير المؤهل العلمي. خلصت الدراسة إلى جملة من التوصيات أهمها: التطوير المهني للمعلمين بمدارس ومراكز التربية الخاصة والاهتمام بالبنى التحتية، تقترح الدراسة إجراء دراسات حول تطوير عملية الإشراف للحد من المشكلات التي تواجه مدارس ومراكز التربية الخاصة.

• باحثة.

• بروفيسور - جامعة الجزيرة - السودان.

Abstract

The study aimed to know the effectiveness of educational supervision in developing the educational process in schools and special education centers, and to find out whether there are differences in the evaluation of the sample members of the effectiveness of educational supervision in developing the educational process in schools and special education centers according to the variables of the study (type of school, academic qualification). The study used the descriptive and analytical method and the questionnaire as a tool for the study. The study reached several results, the most important of which are: The effectiveness of educational supervision in improving the professional side of teachers was in a medium degree with an arithmetic mean (1.615) and a standard deviation (0.011). The effectiveness of educational supervision in improving the educational environment appeared to a weak degree with an arithmetic mean (1.417) and a standard deviation (0.086). Clarity, the effectiveness of educational supervision to improve the school curriculum with an arithmetic mean (1.457) and a standard deviation (0.079). The effectiveness of educational supervision in improving school administration was of a medium degree with an arithmetic mean (1.636) and a standard deviation (0.102). This means that the final outcome is highly weak for the effectiveness of educational supervision. In special education schools and centers, there are no statistically significant differences in special education schools and centers due to the school type variable. There are no statistically significant differences in special education schools and centers due to the scientific qualification variable. The study concluded with a number of recommendations, the most important of which are: Professional development for teachers in schools and special education centers and attention to infrastructure. The study proposes conducting studies on developing the supervision process to reduce the problems facing schools and special education centers.

مقدمة

كان الإشراف التربوي قديماً عملية تبنى على مفهوم عدم الثقة بالمعلم وعدم قيامه بدور إيجابي في العملية التربوية وكان التركيز على سلوك المعلم داخل الصف وخصوصاً ما يرتبط بهذا السلوك من ناحية ضبط النظام وأساليب تلقين المادة وكان هم المفتش تسقط أخطاء المعلم وعثراته ليس من أجل توجيهه وتطوير عمله بل من أجل عقابه وتأنيبه (الخطيب ٢٠٠١م ص ٢١).

ولكن مع تغير النظرة إلى المدرسة ووظيفتها إلى مدير المدرسة وواجباته والي المتعلم وجعله محور العملية التربوية ومع تقدم البحوث في التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية الأخرى تطور مفهوم الإشراف التربوي حتى أصبح عملية ديمقراطية تعاونية يتم فيها تفاعل بين مختلف عناصر العملية التعليمية من معلمين وطلاب ومناهج دراسية وإمكانيات مادية وبشرية وبيئية ومحلية وكنتيجة لعملية التفاعل يطرأ تحسن على كافة عناصر العملية التعليمية حيث أن مخرجات العملية التربوية في مجملها غير تامة كنتيجة حتمية لضعف مدخلاتها فإن الأمل المرجو للخروج من هذا الواقع المتردي بالاهتمام بالإشراف التربوي الذي يهدف إلى تحسين التعليم، فإذا استطعنا أن نوجد إشرافاً تربوياً ديمقراطياً فإننا نكون بذلك قد خطونا الخطوة الصحيحة الأولى في السبيل المطلوب لتصحيح مسار العملية التعليمية من أجل تربية مثمرة .

غير أن الإشراف التربوي مازال في بلادنا العربية تفتيشاً وفي بعضها الآخر توجيهاً لذلك يجب إعداد المشرفين التربويين إعداداً إشرافياً دقيقاً وفق معايير علمية سليمة بحيث يستطيعون القيام بالدور المنوط بهم وهو تحسين التعليم، ويعتمد المشرفون التربويون في تحقيق أهدافهم على عدة أساليب

إشرافية مثل الزيارة الصفية وتبادل الزيارات والمداولة الإشرافية، الدروس التطبيقية، الإشراف الاكلينيكي والتعليم المصغر
مشكلة الدراسة:

يعتبر الإشراف التربوي عملية ثنائية التفاعل بين المشرف والمعلم بقصد تحسين العملية التعليمية ولا بد أن يكون مواكباً للمنهج المرسوم، وقد أظهرت كثير من الدراسات أن هنالك مشكلة في الإشراف التربوي .

وترى الباحثة من خلال دراساتها للإشراف التربوي وزياراتها للمدراس ومراكز التربية الخاصة عدم فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية ويعزى ذلك إلى عدم تنفيذ بعض المعلمين لتوجيهات المشرف التربوي وعدم توفير الدورات التدريبية للمشرفين تنحصر مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما مدي فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة؟ وتتفرع منه الأسئلة التالية:

١. ما فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة في تحسين الجانب المهني للمعلمين.
٢. ما فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة في تحسين البنية التعليمية.
٣. ما فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة في تحسين المنهج الدراسي.
٤. ما فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية من خلال تدريب مدير المدرسه في عده مهارات .

أهمية الدراسة:

للإشراف التربوي على مدارس ومراكز التربية الخاصة الدور المقدر في الإشراف على عمل المعلمين بالمدارس والتأكد من سلامة العمل التربوي في تطوير العملية التربوية بالمدارس والمراكز هذه المهنة ذات حساسية لا تتحمل الأخطاء بكافة أنواعها.

الدراسة التالية تتناول بالشرح والإفاضة موضوع الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة بمحلية ومدني الكبرى إذ يُعرف بالإشراف ويعرف أدوار المشرف التربوي ومن أهميتها التالي:
تنبع أهمية هذه الدراسة من الأهمية البالغة للإشراف التربوي في مدارس ومراكز التربية الخاصة ودوره في تطوير العملية التربوية وتنمية كفايات المعلمين.
توضيح مفهوم الإشراف التربوي على مدارس ومراكز التربية الخاصة في ضوء الاتجاهات الحديثة. يمكن أن تكون الدراسة مرجعاً للدارسين والمهتمين بالأوضاع التعليمية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. التعرف على فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة.
٢. العمل على تطوير الكفايات العلمية والعملية لدى العاملين في ميدان المدارس والمراكز لذوي الاحتياجات الخاصة.
٣. تقديم مقترحات لزيادة فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة.

فروض الدراسة:

هل توجد فروق فردية ذات دلالة إحصائية بين درجة تقدير المعلمين لفاعلية الإشراف التربوي على مدارس ومراكز التربية الخاصة يرجع لمتغير النوع (ذكر)، (أنثي).

هل توجد فروق فردية دلالة إحصائية بين درجة تقدير المعلمين لفاعلية الإشراف التربوي على مدارس ومراكز التربية الخاصة يرجع لمتغير نوع المدرسة.

منهجية الدراسة:

تجرى الدراسة عن طريق المنهج الوصفي التحليلي .

أداة الدراسة:

يتم جمع البيانات عن طريق الاستبانة المطبوعة للمعلمين بمدارس ومراكز التربية الخاصة بمحلية ومدنى الكبرى.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: الدراسة محددة بمراكز ومدارس التربية الخاصة بـود مدنى .

الحدود الزمانية: تجرى الدراسة في العام ٢٠١٩م - ٢٠٢١م

الحدود موضوعية الدراسة: فاعلية الإشراف التربوي فى تطوير العمليه التربويه بمدارس ومراكز التربية الخاصة.

مصطلحات الدراسة:

الإشراف التربوي:

عرفه طافش (٢٠٠٤، ص٧٣) بأنه مجموعة من الانشطه المدروسه التى

يقوم بها تربويون مختصون لمساعدته المعلمين على تنميه ذواتهم ، وتحسين

ممارساتهم التعليمية والتقويمية داخل غرفه الصف وخارجها ،وتذليل جميع الصعوبات الى تواجهم ،ليتمكنوا من تنفيذ المناهج المقرره وتحقيق الاهداف التربويه المرسومه ،بهدف احداث تغيرات مرغوبه فى سلوك التلاميذ وطرائق تفكيرهم فيصبحوا قادرين على بناء مجتمعهم والدفاع عن وطنهم .

مفهوم ذوى الاحتياجات الخاصة:

هم مجموعه من أفراد المجتمع يقصرون عن مستوى الأفراد العاديين الأمر الزى يتطلب الرعاية الخاصة بهم بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم وظروفهم الخاصة ،حتى يمكن الوصول بهم إلى مستوى أفضل من التوافق الشخصي او النفسي او الاجتماعي (عبد الله،٢٠٠٢).

محلية ود مدني الكبرى:

هي واحدة من محليات ولاية الجزيرة وهي عاصمة الولاية وتشمل خمسة وحدات إدارية وتقع عاصمتها على الضفة الغربية لنهر النيل الأزرق بها رئاسة الولاية والوزارات المختلفة كما في محلية ود مدني العديد من الجامعات والمعاهد العليا.

العملية التربوية:

هي مجموعه الإجراءات والنشاطات التي تحدث داخل الفصل الدراسي والهادفة الى تعليم المتعلم نظريا ومهاريا واتجاهات فعالة وايجابيه ،وهي أيضا النظام المعرفي الذى يتكون من مدخلات ومخرجات ، وللعلمية التعليمية العديد من العناصر التي تتفاعل فيما بينها لتعطى ثمارها الجيدة خلال الفترة الجيدة خلال الفترة المحددة (MAWD003. COM) .

الإطار النظري:

أولاً: تعريف الإشراف التربوي:

التعريفات: تعددت التعريفات لمصطلح الإشراف التربوي، فالشرف في اللغة هو العلو وشرف أي علا في دين أو دنيا، وأشرف أطلع من فوق. (الفيروز آبادي، ٢٠٠٠م، ص ١٠٦٤). ويذكر الرشيد (٢٠٠٠م، ص ٦٣) "أن المعنى اللغوي للإشراف اشتمل على معنى الفضل والعلو والشفقة والتميز وهذه المعاني تتلاءم مع تعريفات التربويين للإشراف التربوي". ويذكر السديري (٢٠٠١م، ص ١٥-١٧) عدداً من التعريفات للإشراف التربوي منها:

عرّف مكتب التربية لدول الخليج العربي أن الإشراف التربوي هو: "العملية التي يتم فيها تقويم وتطوير العملية التعليمية، ومتابعة كل ما يتعلق بها لتحقيق الأهداف التربوية، وهو يشمل الإشراف على جميع العمليات التي تجري في المدرسة، سواء أكانت تدريسية أم إدارية أم تتعلق بأي نوع من أنواع النشاط التربوي في المدرسة وخارجها، والعلاقات بأي نوع من أنواع النشاط التربوي في المدرسة وخارجها، والعلاقات والتفاعلات الموجودة فيما بينها".

نقلاً عن السديري (٢٠٠١) يعرف جاروبا وستانلي، (١٩٩٨، ٨٥) الإشراف التربوي أنه حالة تعليمية لكل من المدرسين ومشرفيهم، وأحياناً تعني ترك أفكار تعليمية قديمة واستبدالها بتعلم طرق جديدة للتفكير والتطبيق، وعلى المشرفين أن يتعلموا كيف يثقون برؤية المدرسين وفهمهم. وعلى المدرسين الثقة بأن المشرفين سيستخدمون المعلومات التي جمعوها لمساعدة المدرسين ومساعدة أنفسهم، وتظهر النتائج عادة بشكل أخوي وتعاوني ومحسن لعلاقة الطرفين في سبيل فهم أفضل لمجريات الأمور في الفصل الدراسي.

ويرى نشوان (٢٠٠٣، ص١٣٧) أن الإشراف التربوي هو "عملية تعاونية تشخيصية تحليلية علاجية مستمرة تتم من خلال التفاعل البناء المستمر بين المشرف، والمعلم بهدف تحسين عمليتي التعليم والتعلم".

الإشراف الفني هو "خدمة فنية تقوم على أساس من التخطيط السليم، الذي يهدف إلى تحسين عمليتي التعليم والتعلم"، أما قرجز Griggs فيعرفه على أنه "تنسيق وإثارة وتوجيه نمو المعلمين لغرض إثارة وتوجيه نمو كل طفل للمشاركة الذكية في المجتمع والعالم الذي يعيش فيه (الخطيب وآخرون، ٢٠٠١، ص١٢٧).

ويذكر حسين وسليمان (٢٠٠٦م، ص ١٣) تعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للإشراف وهو: عملية شاملة للموقف التعليمي بكل عناصره المعلم والطالب والمنهج والبيئة المدرسية كما أنه أداة اتصال وتفاعل بين المؤسسات التعليمية والإدارة، وتنمية شاملة لقدرات العناصر المشاركة في العملية التعليمية، كما أنه تحسين الواقع الميداني .

تعريف الباحثة:

الإشراف التربوي عملية تعاونية علاجية مستمرة تقوم على اساس التخطيط السليم الذي يهدف إلى تحسين عمليتي التعليم والتعلم .

ثانياً: أهمية الإشراف التربوي:

يعتبر الإشراف التربوي حجر الأساس في تطوير العملية التعليمية، وقد تزايدت أهميته بسبب المشكلات والقضايا التي تواجهها الأنظمة التربوية، مثل زيادة عدد المدرسين غير المؤهلين أو المبتدئين. ويذكر القحطاني (٢٠١١م، ص١٤) النقاط التالية للدلالة على أهمية الإشراف التربوي .

١. لم تعد التربية محاولات عشوائية بل عملية منظمة لها نظرياتها ومدارسها الفكرية المتعددة .

٢. يحتاج الإنسان بطبيعته إلى المساعدة والتعاون مع الآخرين وعمل المشرف يكمل عمل المعلم

٣. التحاق عدد من غير المؤهلين تربوياً للعمل في مهنة التدريس .

ثالثاً: أهداف الإشراف التربوي:

للإشراف التربوي مجموعة من الأهداف ذكرها الخطيب وآخرون (٢٠٠١، ص ٥٣) كالتالي:

١. تحسين موقف التعليم لصالح التلميذ، وهذا التحسين لا يكون عشوائياً، بل يكون مخططاً أي أن التوجيه (الإشراف) يهدف إلى التحسين المبني على التخطيط السليم والتقويم والمتابعة .

٢. مساعدة المعلمين على تحديد أهداف عملهم، ووضع خطة لتحقيق هذه الأهداف .

٣. الإشراف التربوي عملية تعاونية تشخيصية علاجية، لذا ينبغي أن يعمل الموجه على تشخيص الموقف التعليمي وإبراز ما فيه من قوة وضعف، وتوجيه المعلمين لعلاج الضعف وتحاشي المزالق وتدارك الأخطاء .

٤. يهدف الإشراف التربوي إلى حماية التلاميذ من نواحي الضعف في المادة الدراسية أو العلاقات الاجتماعية أو المثل والقيم التي يسلكها المعلم .

رابعاً: أساليب الإشراف التربوي:

حيث أن الإشراف التربوي عملية تجريبية تحليلية نقدية للمواقف التربوية ومدى ارتباطها بواقع العملية التربوية في المدرسة، ومدى مناسبة

الوسائل والأدوات والتجهيزات في المدرسة وصلاحيات المباني المدرسية لتحقيق الأهداف المحددة، ولهذا فإن للإشراف أساليب متعددة ذكرها (الأفندي: ٢٠٠٢م ص ٥١-٥٤) و (العاجز: ٢٠٠٢م ص ١٢٧) في الآتي:

١. الزيارات الصفية.
٢. اللقاءات التربوية والاجتماعات.
٣. ورشة العمل التربوية.
٤. الدروس النموذجية.
٥. الاجتماع الفردي بالمعلم.
٦. زيارة المدرسة.

خامساً: عناصر العملية التعليمية:

إن العملية التعليمية عبارة عن نظام معرفي تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

المدخلات - العمليات - المخرجات .

سادساً: خصائص العملية التعليمية:

تتميز العملية التعليمية بخصائص عديدة: ذكرها (الأغا. ٢٠٠٠م: ١٥) و(الأسطل، الخالدي، ٢٠٠٥م: ٢٩) فيما يلي:

١. فهي عملية شاملة لجميع أفراد الشعب، فهي عملية تتم علي مستوي جميع الطبقات ولجميع الأفراد.
٢. إنها المهنة الأم فهي عملية سابقة وأساسية لدخول أي مهنة أخرى.
٣. هي عملية شاملة مستمرة من المهد إلي اللحد فلا تتوقف عند زمن.
٤. لها أهداف محددة تسهم في تغيير سلوك الطلاب .

٥. تعتمد علي أنظمة وعمليات مستمرة يمكن ملاحظتها ومتابعتها ومراجعتها باستمرار

سابعاً: أهداف العملية التعليمية:

يلخص الحيلة (٢٠٠٧م: ٧١) أهداف العملية التعليمية في ثلاثة نقاط رئيسية:

١. مساعدة المعلم على اختيار المادة التعليمية المناسبة و طرق تعليمها وتقويمها.

٢. مساعدة المسؤولين في معرفة مدي نجاح عمليتي التعلم والتعليم.

٣. ساعد المتعلم في تنظيم جهوده و نشاطاته من أجل إنجاز ما خططته عملية التعليم.

ثامناً: مفهوم التربية الخاصة:

تعددت وتنوعت التعريفات للتربية الخاصة:

"هي كل البرامج التربوية المتخصصة والتي تقدم لفئات من الأفراد غير العاديين وذلك من اجل مساعدتهم علي تنمية قدراتهم إلى أقصى حد ممكن وتحقيق ذواتهم ومساعدتهم علي التكيف والتوافق في المجتمع الذي ينتمون إليه".

كما تعرف بأنها " ذلك العلم الذي يهتم بإعداد وتهيئته وتدريب الأفراد غير العاديين وذوو المشكلات الخاصة والعمل علي مساعدتهم وإيجاد حلول لمشكلاتهم بهدف إعدادهم لحمل المسؤولية والاعتماد علي النفس وإيجاد دور اجتماعي لهم داخل مؤسسات المجتمع بكافة أنواعها".

تاسعاً: أهداف التربية الخاصة:

١. الاكتشاف المبكر لحالات الإعاقة والموهبة لعلاجها أو رعايتها ويتم ذلك بواسطة أدوات القياس والتشخيص المناسبة لكل فئة من هذه الإعاقات .
 ٢. إعداد وتوفير البرامج التعليمية التي تناسب مع كل فئة من فئات التربية الخاصة .
 ٣. تقديم فرص تربوية كاملة ومتنوعة كي تنمو قدرات الأفراد وإمكانياتهم ومهاراتهم النمو الكامل مثل اختيار طرق التدريس الملائمة لكل فئة وكذلك الوسائل التعليمية والتكنولوجية حيث يعتبر كل شخص من هذه الفئات حالة منفردة تحتاج إلي وسائل وطرق تختلف عن الفئة الاخرى .
 ٤. توفير فرص الرعاية الاجتماعية للتلاميذ بما يتناسب وقدراتهم وميولهم .
- عاشراً: الدراسات السابقة:

دراسة سماهر عبدالله العتيق - الرياض - جامعة الإمام محمد ٢٠١٥م - بعنوان الصعوبات التي تواجه المشرف التربوي في متابعه عمل مدرسي مدارس التربية الخاصة بمدينة الرياض .

هدفت الدراسة إلى دراسة الأدوار التربوية العلمية المناطة بالمشرف التربوي بالقيام بها ومناقشة العراقيل التي تعيق مهنة المشرف التربوي في مدارس التربية الخاصة في الرياض . اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي . اختارت الباحثة (٣٠) مشرف ومعلم (مدارس المرحلة المتوسطة والابتدائية) كعينة للدراسة، ثم توزيع الاستبانة على عينة البحث .

النتائج:

١. قلة زيارات المشرفين للمدارس بسبب الأعباء المهنية الأخرى.
 ٢. الكادر المهني قليل التجربة والأقل تأهيل أكاديمي يؤدي صعوبات مهنية.
- دراسة ناصر فهد المالكي (٢٠٠٨م) - دولة الإمارات - جامعة الإمارات العربية
بعنوان: الكفايات المهنية في عمل المشرفين على مدارس ذوى الاحتياجات الخاصة.

هدفت الدراسة إلى دراسة معايير الكفايات المهنية المتعارف عليها، دراسة الإخلال بالكفايات المهنية وأثرها على عمل معلمي المدارس لذوى الاحتياجات الخاصة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. استخدم الباحث الاستبانة التي تم توزيعها على (٥٠) فرد هم عينة الدراسة.

النتائج:

١. تقل الكفايات المهنية لدى مشرفي المدارس وذوى الاحتياجات الخاصة.
 ٢. عدم تأهيل المشرفين ينعكس سلباً على أدائهم.
- دراسة نادية قسم الله عبدالله (٢٠١٢م) في جامعة كردفان بعنوان: تحسين دور المشرف التربوي في مدارس ذوى الاحتياجات الخاصة.

هدفت الدراسة إلى تحسين دور المشرف التربوي في مدارس ذوى الاحتياجات الخاصة في ضوء مفهوم الجودة من خلال التعرف على الأدوار الإشرافية المطلوبة من المشرف التربوي أن يقوم بها في الإشراف على المدرسة، ومعرفة مدى ممارسة المشرف للأدوار المطلوبة منه من وجهة نظر المعلمين ومدراء المدارس وبلغت عينة الدراسة (٥٠) معلماً وموجهاً وتحقيقاً أهداف الدراسة ثم استخدام الاستبانة وتوزيعها على أفراد عينة الدراسة واستخدمت

الأساليب الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن المشرف التربوي يمارس جميع مجالات دوره المهني بدرجة عالية وأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول درجة ممارسة المشرف الأدوار الإشرافية المطلوبة منه تعزي لمتغيرات الدراسة والمهنية (مدير - معلم) والمؤهل العلمي، كما وأظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة حول درجة ممارسة المشرف للأدوار الإشرافية المطلوبة منه تغذي لمتغير سنوات الخبرة.

٢. نزار صالح حسين - التربية - جامعة الخرطوم - ٢٠٠١م - الدرجة العلمية ماجستير: دور الإشراف التربوي في ترقية مهنة معلم التربية الخاصة.

للإشراف التربوي دور مهم في ترقية ومتابعة عمل المعلمين كما ذوى الاحتياجات الخاصة لذا هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهمية الإشراف التربوي في تطوير الكفايات التدريسية لمعلمي المرحلة الثانوية في مدارس ذوى الاحتياجات الخاصة بولاية الخرطوم من وجه نظر المعلمين استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والحصول على المعلومات ثم تصميم استبانة وزعت على مائة معلماً ومعلمة لعدد من المدارس من الولاية حيث شمل التوزيع جميع المحليات، وبعد معالجة البيانات إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS توصلت الدراسة إلى أن الإشراف التربوي يعد دوراً كبيراً في ترقية مهنة معلمي مدارس ذوى الاحتياجات الخاصة.

التقويم طرح اسئلة الكفايات المعرفية، التخطيط وتنفيذ الدرس، ولكن هنالك كفايات كان دور الإشراف فيها ضعيفاً وهي كفايات إدارة الصف في المدرسة ذات الاحتياجات الخاصة، الكفايات الشخصية، وبعض

الكفايات الفرعية الأخرى، توصى الدراسة بالالتزام بالمعايير العلمية والصفات الشخصية لاختيار المشرف التربوي توفير المعينات الفعالة للإشراف التربوي من يستطيع المشرف تأدية مهامه على أكمل وجه، تحسين وضع المشرف التربوي مهنيًا وثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، إقامة دورات مهارية أساسية في أساليب الإشراف التربوي، كما اقترحت الدراسة إجراء المزيد من الدراسات حول هذا الموضوع.

إجراءات الدراسة الميدانية:

يستعرض الباحث في هذا الفصل الإجراءات المنهجية وعرض ومناقشة النتائج مع التوصيات والمقترحات.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحث المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتناسب مع طبيعة

هذه الدراسة.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من مدارس ومراكز التربية الخاصة بمحلية مدني

الكبرى حيث بلغ عدد المدارس والمراكز بالمحلية (٢٤) مدرسة ومركز وبلغ

حجم عينة الدراسة الكلي (٦) مدارس ومراكز للتربية الخاصة، حيث وزعت

الباحثة (٥٠) استبانة.

جدول رقم (١)
إحصائية بعدد المدارس والمراكز الحكومية والخاصة

عدد المعلمين	خاص / حكومي	المدارس والمراكز
١٣ معلم	حكومي	مؤسسة الجزيرة للإعاقة الذهنية
٢٢ معلم	حكومي	مؤسسة أم كلثوم للتأهيل الصحي (أساس / ثانوي)
٥ معلمين	خاص	مركز الشريف للتوحد
٥ معلمين	خاص	مركز الزهور لذوي الاحتياجات الخاصة
٥ معلمين	حكومي	مدرسة فداسي للإعاقة الذهنية
٥ معلمين	خاص	مركز التوحد
٥٠ معلم ومعلمة		المجموع

أداة الدراسة:

استخدمت الباحثة الاستبانة وهي أداة لجمع البيانات المتعلقة بموضوع

البحث .

عرض ومناقشة البيانات:

تمهيد:

يتضمن هذا الفصل عرض البيانات ومناقشتها على ضوء أسئلة

الدراسة .

السؤال الأول:

ما فاعلية الإشراف التربوي في تطوير العملية التربوية بمدارس ومراكز التربية الخاصة. للإجابة على هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية

والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على كل محور من محاور الدراسة.

للإجابة على السؤال (أ) والذي نصه ما مدى فاعلية الإشراف في تحسين الجانب المهني للمعلمين.

جدول رقم (٢)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة وترتيب السؤال في المحور الأول فاعلية الإشراف في تحسين الجانب المهني للمعلمين

الترتيب	درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبرة	الرقم
٨	متوسطة	٧٠٧١١.٠	٥٠٠٠.١	تزويد المعلم بأساليب القياس والتقييم التربوي الحديثة المناسبة لكل فئة	١
١	متوسطة	٧٤٧٥١.٠	٨٢٠٠.١	تشجيع المعلمين على ترقية الجانب المهني	٢
٥	متوسطة	٧٣٠٩٥.٠	٥٨٠٠.١	المساهمة في تاهيل وتدريب المعلمين للعمل في مجال التربية الخاصة	٣
٢	متوسطة	٧٩٦٩٣.٠	٧٦٠٠.١	تنفيذ الخطط التي تضعها وزارة التربية والتعليم	٤
٣	متوسطة	٧٧٢٢٢.٠	٦٦٠٠.١	تحليل عملية التعليم والتعلم	٥
٣	متوسطة	٧٤٥٣٣.٠	٦٦٠٠.١	تدريب المعلمين على المهارات التدريسية الحديثة	٦
٩	ضعيفة	٦٤٥٥٥.٠	٤٦٠٠.١	تصميم دورات حديثة لتعلم مهارات التعامل الإنساني مع ذوي الاحتياجات الخاصة	٧
٦	متوسطة	٦٧٤٩١.٠	٥٦٠٠.١	مساعدة المعلمين في حل المشكلات التي تواجههم	٨
٧	متوسطة	٦١٣١٢.٠	٥٤٠٠.١	تشجيع المبادرات الشخصية للمعلمين	٩
	متوسط	١١٩٤٩.٠	٦١٥٦.١	المجموع	

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الاستبانة ٢٠١٨م

جدول رقم (٢) يوضح استجابات أفراد العينة حول فاعلية الإشراف التربوي في تحسين الجانب المهني للمعلمين حيث تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن كل عبارة من عبارات المحور الأول.

يتضح من الجدول رقم (٢) أن أكثر عبارات محور فاعلية الإشراف في تحسين الجانب المهني للمعلمين من وجهة نظر المعلمين هي العبارة الثانية التي تنص على (تشجيع المعلمين على ترقية الجانب المهني) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٨٢٠٠)، تليها العبارة الرابعة التي تنص على (تنفيذ الخطط التي تضعها وزارة التربية والتعليم) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٧٦٠٠)، تليها العبارة الخامسة والسادسة اللتان نصتا على (تحليل عملية التعليم والتعلم)، (تدريب المعلمين على المهارات التدريسية الحديثة) بدرجات متساوية في الوسط الحسابي بلغ (١. ٦٦٠٠)، بينما كانت أقل عبارات تحسين الجانب المهني للمعلمين موافقة العبارة السابعة (تصميم دورات حديثة لتعلم مهارات التعامل الإنساني مع ذوي الاحتياجات الخاصة) حيث حصلت على أقل متوسط حسابي (١. ٤٦٠٠) وتليها العبارة الأولى والتي تنص على (تزويد المعلم بأساليب القياس والتقويم التربوي الحديثة المناسبة لكل فئة) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٥٠٠٠) وتليها العبارة التاسعة والتي تنص على (تشجيع المبادرات الشخصية للمعلمين) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٥٤٠٠).

للإجابة على السؤال (ب) والذي نصه ما مدى فاعلية الإشراف في

تحسين البيئة التعليمية

جدول رقم (٣)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة لاستجابات أفراد عينة الدراسة حول فاعلية الإشراف في تحسين الجانب المهني للمعلمين

الترتيب	درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارة	الرقم
١	متوسطة	٧.٥٩٥.٠	٥٤٠.٠.١	المساعدة في تحسين البيئة المدرسية لذوي الاحتياجات الخاصة	١٠
٧	ضعيفة	٦٣١١٦.٠	٣٦٠.٠.١	الإسهام في تأهيل المباني المدرسية لتراعي احتياجات كل فئة من الفئات الخاصة	١١
٣	ضعيفة	٦٧٦٤٣.٠	٤٦٠.٠.١	اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب فيما يتعلق بالبيئة المدرسية	١٢
٣	ضعيفة	٦٧٦٤٣.٠	٤٦٠.٠.١	تصميم استمارة البيئة المدرسية بصورة قياسية	١٣
٨	ضعيفة	٤٨٦٩٧.٠	٢٦٠.٠.١	تشخيص المشكلات التي تعترض تطوير البيئة المدرسية	١٤
٥	ضعيفة	٥٧١٤٣.٠	٤٠٠.٠.١	مشاركة المعنيين بالعملية التعليمية في وضع الأهداف المراد تحقيقها	١٥
٢	ضعيفة	٦٤٦٥٠.٠	٤٨٠.٠.١	تحليل أنماط التفاعل في ضوء علاقة الزمالة	١٦
٦	ضعيفة	٦٣٥٣٥.٠	٣٨٠.٠.١	ملاحظة الحالة وتشخيص أسباب القصور واقتراح خطة علاجية	١٧
	ضعيف	٠.٨٦٤٨.٠	٤١٧٥.١		المجموع

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الاستبانة ٢٠١٨م

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن كل عبارة من عبارات المحور الثاني كما هو مبين من الجدول رقم (٣).

جدول رقم (٣) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على محور فاعلية الإشراف في تحسين البيئة التعليمية.

يتضح من الجدول رقم (٣) أن أكثر عبارات محور تحسين البيئة التعليمية من وجهة نظر المعلمين هي العبارة العاشرة والتي تنصل على (المساعدة في تحسين البيئة المدرسية لذوي الاحتياجات الخاصة) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٥٤٠٠)، تليها العبارة السادسة عشر والتي تنص على (تحليل أنماط التفاعل في ضوء علاقة الزمالة) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٤٨٠٠)، تليها العبارة الثانية عشر (اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب فيما يتعلق بالبيئة المدرسية) والثالثة عشر والتي تنص على (تصميم استمارة البيئة المدرسية بصورة قياسية) ولقد حصلتا على نفس الوسط الحسابي (١. ٤٦٠٠)، بينما كانت أقل عبارات تحسين البيئة التعليمية موافقة العبارة الرابعة عشر والتي تنص على (تشخيص المشكلات التي تعترض تطوير البيئة المدرسية) حيث حصلت على أقل متوسط حسابي (١. ٢٦٠٠)، تليها العبارة الحادية عشر والتي تنص على (الإسهام في تأهيل المباني المدرسية لتراعي احتياجات كل فئة من الفئات الخاصة) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٣٦٠٠)، تليها العبارة السابعة عشر والتي تنص على (ملاحظة الحالة وتشخيص أسباب القصور واقتراح خطة علاجية) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٣٨٠٠).

ويمكننا القول أن محور تحسين البيئة التعليمية كأحد محاور فاعلية الإشراف التربوي بدرجة كبيرة حيث حصلت على متوسط حسابي بلغ (١. ٤١٧٥). ترى الباحثة أن ضعف الإشراف التربوي أدى إلى عدم الإهتمام بالبيئة التعليمية.

المحور الثالث:

جدول رقم (٤) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة وترتيب السؤال في المحور الثالث .
للإجابة على السؤال (ج) والذي نصه ما مدى فاعلية الاشراف في تحسين المنهج الدراسي .

جدول رقم (٤)
يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة لاستجابات أفراد عينة الدراسة حول فاعلية الإشراف في تحسين المنهج الدراسي

الترتيب	درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارة	الرقم
٦	ضعيفة	٦٣٥٣٥.٠	٣٨٠.٠.١	الاهتمام بالمناهج الدراسية التي تتناسب مع تنمية مهارات ذوي الاحتياجات	١٨
١	متوسطة	٨٥٩٢٨.٠	٥٨٠.٠.١	تنفيذ الخطط المختصة بالمناهج التي تضعها وزارة التربية والتعليم	١٩
٧	ضعيفة	٦٦٢٧١.٠	٣٦٠.٠.١	اشراك المعلمين في رؤية ما يجب أن تكون عليه المناهج الجديدة	٢٠
٢	متوسطة	٧٨٧٩٢.٠	٥٤٠.٠.١	استخدام تقنية منهجية للحصول على المعلومات (استبانة، بطاقة، ملاحظة..)	٢١
٤	ضعيفة	٧٣٢٩٠.٠	٤٤٠.٠.١	تصميم برامج تشخيصية لمناهج التربية الخاصة	٢٢
٤	ضعيفة	٦٧٤٩١.٠	٤٤٠.٠.١	استخدام التقنيات الحديثة والوسائط المتعددة بشكل يتيح امكانية التفاعل او النشاط مع المعلمين	٢٣
٣	ضعيفة	٧٦١٥٨.٠	٤٦٠.٠.١	اتاحة الفرصة لاولياء الامور بالمشاركة في الانشطة اللاصفية للوقوف على الحالة العلاجية لاطفالهم	٢٤
	ضعيف	٠.٧٩٥٢.٠	٤٥٧١.١		المجموع

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الاستبانة ٢٠١٨م

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن كل عبارة من عبارات المحور الثاني كما هو مبين في الجدول رقم (٤).
جدول رقم (٤) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على محور فاعلية الإشراف في تحسين المنهج الدراسي.

يتضح من الجدول رقم (٤) أن أكثر عبارات محور تحسين المنهج الدراسي موافقة من وجهة نظر المعلمين هي العبارة التاسعة عشر والتي تنص على (تنفيذ الخطط المختصة بالمناهج التي تضعها وزارة التربية والتعليم) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٥٨٠٠)، تليها العبارة الحادية والعشرون والتي تنص على (استخدام تقنية منهجية للحصول على المعلومات (استبانة، بطاقة، ملاحظة) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٥٤٠٠)، تليها العبارة الرابعة والعشرون والتي تنص على (اتاحة الفرصة لأولياء الامور بالمشاركة في الانشطة اللاصفية للوقوف على الحالة العلاجية لاطفالهم) والتي حصلت على متوسط حسابي (١. ٤٦٠٠)، بينما كانت أقل عبارات تحسين المنهج الدراسي موافقة العبارة العشرين والتي تنص على (اشراك المعلمين في رؤية ما يجب أن تكون عليه المناهج الجديدة) حيث حصلت على أقل متوسط حسابي (١. ٣٠٠٠)، تليها العبارة الثامنة عشر والتي تنص على (الاهتمام بالمناهج الدراسية التي تتناسب مع تنمية مهارات ذوي الاحتياجات) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٣٨٠٠).

ويمكننا القول أن محور تحسين المنهج الدراسي كأحد محاور فاعلية الإشراف التربوي بدرجة كبيرة حيث حصلت على متوسط حسابي بلغ (١. ٤٥٧١).

تري الباحثة أن للإشراف التربوي أهمية بالغة في التواصل مع المعلمين وأولياء الأمور والوزارة مما يتيح استخراج منهج متكامل لهذه الفئة المهمة من ذوي الاحتياجات الخاصة.

للإجابة على السؤال (د) والذي نصه دور المشرف في تطوير الإدارة

المدرسية، بتدريب مدير المدرسة

جدول رقم (٥)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة ودرجة الموافقة لاستجابات أفراد عينة الدراسة حول دور المشرف في تطوير الإدارة المدرسية، بتدريب مدير المدرسة

الترتيب	درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبرة	الرقم
١	متوسطة	٨٧٣٤٢.٠	٨٢٠٠.١	للإشراف على فاعليته في اختيار وإدارة العلاقات الإنسانية	٢٥
٢	متوسطة	٨٧١٥٥.٠	٦٦٠٠.١	للإشراف فاعليته في إعداد الموازنة في مدارس ذوي الاحتياجات الخاصة	٢٦
٥	متوسطة	٧٨٤٨٠.٠	٥٨٠٠.١	للإشراف فاعليته في إدارة الأزمات	٢٧
٤	متوسطة	٧٨٢٤٦.٠	٦٠٠٠.١	للإشراف دور مقدر في المشكلات المهنية	٢٨
٦	متوسطة	٧٨٨٧٠.٠	٥٢٠٠.١	يحل الإشراف المشكلات المتعلقة داخل الفصل	٢٩
٣	متوسطة	٨٥١٤١.٠	٦٤٠٠.١	للإشراف فاعليته المقدرة في إعداد الخطط السنوية	٣٠
	متوسطة	١٠٢٣١.٠	٦٣٦٧.١		المجموع

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الاستبانة ٢٠١٨م

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن كل عبارة من عبارات المحور الثاني كما هو مبين في الجدول رقم (٥).

جدول رقم (٥) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات

أفراد العينة على محور فاعلية الإشراف في تحسين المنهج الدراسي.

يتضح من الجدول (٥) أن أكثر عبارات محور دور المشرف في تطوير

الإدارة المدرسية موافقة من وجهة نظر المعلمين هي العبارة الخامسة العشرون

والتي تنص على (للإشراف على فاعليته في اختيار وإدارة العلاقات الإنسانية) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٨٢٠٠)، تليها العبارة السادسة والعشرون والتي تنص على (للإشراف فاعليته في إعداد الموازنة في مدارس ذوي الاحتياجات الخاصة) حيث حصلت على وسط حسابي (١. ٦٦٠٠)، تليها العبارة الثلاثون والتي تنص على (للإشراف فاعليته المقدرة في إعداد الخطط السنوية) والتي حصلت على متوسط حسابي (١. ٦٤٠٠)، بينما كانت أقل عبارات محور دور المشرف في تطوير الإدارة المدرسية موافقة العبارة السابعة والعشرون والتي تنص على (للإشراف فاعليته في إدارة الأزمات) حيث حصلت على أقل متوسط حسابي (١. ٥٨٠٠)، تليها العبارة التاسعة والعشرون والتي تنص على (يحل الإشراف المشكلات المتعلقة داخل الفصل) حيث حصلت على متوسط حسابي (١. ٥٢٠٠).

ويمكننا القول أن محور دور المشرف في تطوير الإدارة المدرسية وتدريب المدير على عدة مهارات حصل على وسط حسابي (١. ٦٣٦٧). ترى الباحثة أن عدم اهتمام الإشراف التربوي بعقد دورات تدريبية تساعد المدير على التطوير والإلمام بالمهارات الإدارية أدى إلى ضعف إدارة وتنمية مدارس ذوي الاحتياجات الخاصة.

خاتمة

النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١. فاعلية الإشراف التربوي في تحسين الجانب المهني للمعلمين كان بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٦١٥ .١) وانحراف معياري (٠ .١١).
٢. ظهرت فاعلية الإشراف التربوي في تحسين البيئة التعليمية بدرجة ضعيفة بمتوسط حسابي (٤١٧ .١) وانحراف معياري (٠ .٠٨٦).
٣. وضوح، فاعلية الإشراف التربوي لتحسين المنهج الدراسي بمتوسط حسابي (٤٥٧ .١) وانحراف معياري (٠ .٠٧٩).
٤. فاعلية الإشراف التربوي في تحسين الإدارة المدرسية كان بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٦٣٦ .١) وانحراف معياري (٠ .١٠٢).
٥. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بمدارس ومراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير نوع المدرسة
٦. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مدارس ومراكز التربية الخاصة تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

التوصيات:

خلصت الدراسة إلى جملة من التوصيات أهمها:

١. التطوير المهني للمعلمين بمدارس ومراكز التربية الخاصة والاهتمام بالبنى التحتية.
٢. تقترح الدراسة إجراء دراسات حول تطوير عملية الإشراف للحد من المشكلات التي تواجه مدارس ومراكز التربية الخاصة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

ثانياً المراجع:

١. الأسطل ، إبراهيم والخالدي ، فريال ، ٢٠٠٥م (مهنة التعليم وأدوار المعلم في مدرسة المستقبل) دار الكتاب الجامعي - العين - الإمارات العربية المتحدة.
٢. الأغا، هلين طلعت (٢٠٠٠م)، دور المعلم المضيف في برامج التربية العملية ومدى ممارسته له من وجهة نظر المعلمين، رسائل ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
٣. الحبيب، عبد الرحمن. (٢٠٠٨م). التوجيه والإشراف التربوي في دول الخليج العربي. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض .
٤. حسين، سلامة وعوض الله سليمان. (٢٠٠٦م)، اتجاهات حديثة في الإشراف التربوي. الأردن.
٥. الحيلة، محمد محمود (٢٠٠٧م)، مهارات التدريس الصفي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٦. رداح الخطيب وآخرون . ٢٠٠١م الإدارة والإشراف التربوي - اتجاهات حديثة، - دار الكتب العربي - لبنان
٧. الرشيد، خالد. (٢٠٠٠م). "مدى معرفة مشرفي العلوم الشرعية الأهداف السلوكية ومراعاتها أثناء إشرافهم في المرحلة الثانوية". رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود. الرياض .

٨. السديري، محمد. (٢٠٠١م). "أداء الإشراف التربوي في إدارات التربية والتعليم بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية". رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض.

٩. عبد الله، عبد العزيز (٢٠٠٢م)، التربية في الوطن العربي، المكتب الجامعي، الإسكندرية.

١٠. فؤاد علي العاجز، مفهوم الإشراف التربوي في ضوء الاتجاهات الحديثة، أستاذ التربية المساعد بكلية التربية - الجامعة الإسلامية بغزه - ٢٠٠٠م

١١. محمود صالح محمود: واقع الإشراف التربوي في مجال تنمية كفايات المعلمين، رسالة ماجستير، ٢٠٠٥م.

١٢. محمود طافش، قضايا في الإشراف التربوي، الأردن، دار النشر ٢٠٠٥م.

١٣. نشوان، يعقوب: الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، الأردن - دار الفرقان، ٢٠٠٣م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١. الرشيد، خالد. (٢٠٠٠م). "مدى معرفة مشرفي العلوم الشرعية الأهداف السلوكية ومراعاتها أثناء إشرافهم في المرحلة الثانوية". رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود. الرياض.

٢. السديري، محمد. (٢٠٠١م). "أداء الإشراف التربوي في إدارات التربية والتعليم بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية". رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض.

٣. القحطاني، حميد. (٢٠١١م). "المشكلات التي تواجه مراكز الإشراف التربوي بالمنطقة الشرقية كما يراها المشرفون التربويون". رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض .
٤. محمد الأفندي، الإشراف التربوي، ١٩٨٩م، دار جامعة القاهرة للطباعة

و النشر

رابعاً: المعاجم:

١. الفيروز آبادي، مجد الدين. (٢٠٠٠م). القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة .
- خامساً: الانترنت:

1. www.maqdoo30.com.